الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية

الباحث
عبدالحسين الصالحي

بيت العلم للنابهين
بيروت - لبنان

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزات العلمية
في الأقطار الإسلامية

This one

93UR-UDP-WBRS

Digitized by Google

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بيت العلم للنابهين

ص. ب: ٥٧٣٣ - ١٤. المزرعة - بيروت ١١٠٥٢٠٧٠ - لبنان. هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

Digitized by Google

الحوزات العلمية
في الأقطار الإسلامية

البحاثة
عبد الحسين الصالحي

بيت العلم للنابهين
بيروت ـ لبنان

Digitized by Google

Digitized by Google

الإهداء

إلى الذين أخفض لهما جناح الذل من الرحمة

إلى والدي الرؤوف قدس سره الشريف

إلى والدتي التي فتحت أمامي آفاق العلم والمعرفة وتصدرت كرسي التدريس لعلوم القرآن في الحائر الشريف لأكثر من نصف قرن.

ولدكم

عبد الحسين

Digitized by Google

Digitized by Google

مقدمة الناشر

تعتبر الحوزات العلمية بمثابة الجامعات الشيعية التي تخرّج علماء الدين والفقهاء وأساتذة العلوم الإسلامية، في مقابل الجامعات الأكاديمية التي تخرج علماء ومفكري وأساتذة ما اصطلح على تسميتها العلوم العصرية، مع الإشارة هنا إلى أن الحوزات العلمية تدرس إلى جانب العلوم الإسلامية، كالفقه والأصول، المنطق، وعلم الكلام، والنحو، والفلسفة. كما سبقت الجامعات في تدريس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والعلمية.

وتنتشر هذه الحوزات العلمية في كثير من بلاد العالم الإسلامي، حيث يتواجد المسلمون الشيعة كالعراق، ولبنان، وإيران، وسوريا، وأفغانستان، والهند، وباكستان، والسعودية والكويت والبحرين، وقد برزت من هذه الحوزات على مدى العقود الماضية حوزتان، هما حوزة النجف الأشرف، وحوزة قم المقدسة، حيث تعتبران الأكبر والأشمل في العقود القريبة، إذ استقبلتا الآلاف من الطلاب من شتى بقاع الأرض، وقد خرجتا على مدى عقود من الزمن آلاف الطلبة الذين بلغ المئات منهم مرحلة الاجتهاد، وبلغ العشرات منهم على مدى تلك العقود

Digitized by Google

مرحلة المرجعية المطلقة والعامة، وكان لهم مقلدون في معظم الأقطار الإسلامية.

لقد سعى الأستاذ والباحث عبد الحسين الصالحي في هذا الكتاب إلى التأريخ وبصورة منهجية للحوزات العلمية، والجامعات الشيعية، والمراكز الثقافية، والمدارس على امتداد خط التاريخ الإسلامي، حيث لم يكن أحد من الباحثين قد تصدى من قبل لهذا الأمر.

وقد بدأ الأستاذ الصالحي بتعريف مفصل للحوزات العلمية، ثم تطرق إلى التأسيس وعلاقة الحوزة بالمسجد، ثم استعرض الحوزات في عصر الصادقين الإمام محمد بن علي الباقر والإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، ثم عرّج على الحوزات العلمية في العصر البويهي، وتناول لغة التدريس في الحوزات، وإقامة التعليم في الحوزات، ثم أماكن التدريس ومناهج التدريس وغير هذا من المواضيع الكثير والتي لا مجال لذكرها في هذه المقدمة الوجيزة، وبعد ذلك يشرع المؤلف بعرض تفصيلي للحوازت في العالم الإسلامي وتاريخ تأسيسها ومؤسسها أو مؤسسيها.

وهذا الكتاب هو الأول في هذا المجال، نأمل أن يثري المكتبة الإسلامية ويفيد البحث والباحثين والحمد لله رب العالمين.

٢٠/ جمادى الثانية/ ١٤٢٥هـ
٦/آب/ ٢٠٠٤م

Digitized by Google

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم والصلاة والسلام على سيد السفراء الإلهيين وخير خلقه وأشرف بريته وخاتم رسله محمدﷺ وعلى عترته المعصومين الذين جعلهم الله رحمة للعالمين وسراجاً منيراً إلى الخلائق أجمعين.

وبعد: كان والدي [قدس سره الشريف] من ألمع وجوه علماء الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة ولا يخفى على أحد أن الحائر الشريف هو قبلة أنظار المسلمين عامةً والشيعة خاصةً وفي المناسبات الخاصة ومواسم الزيارات تسير إليه قوافل الوافدين من كل فج عميق وبينهم عشرات من رجال الفكر وأساطين العلم ومراجع الدين والأعيان والرؤساء والأمراء، وعلى سيرة والدي (قدس سره) الذي كان يقوم بزيارة معظم القادمين إليها وكان يصحبني معه في بعض هذه الزيارات، ومما أتذكر كان عصر يوم عرفة قَصد والدي لزيارة شيخنا الأستاذ الشيخ آغا بزرگ الطهراني وقد صاحبته في هذه الزيارة وأنا في أوائل البلوغ من عمري ودار البحث في هذا المجلس حول تاريخ التشيع والتضحيات التي

Digitized by Google

قدّمها أصحابنا الإمامية لأجل عقيدتهم وإحياء تراث (أهل البيت عليهم السلام) الذي خلفته مدرستهم العملاقة وحرصهم على حفظه من الضياع فرأيت أن في كلامه لوناً جديداً لم أسمعه في حديث الآخرين من العلماء الوافدين إلى زيارة قبر سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام فتأثرت بشخصيته وتكررت زيارتي إليه أيام إقامته في الحائر الشريف، وعند رجوعه إلى النجف الأشرف لم يقطع صلتي به وكنت أزوره بين حين وآخر حتى اختصصت به وتخرجت عليه في علوم الحديث والرجال ولم يصدر في ذلك الوقت إلا بعضاً من مجلدات الذريعة وباشرت بالعمل معه في تدوين فهارس كتب الشيعة وكنت أسمع من المختصين في شؤون تاريخ الشيعة أن علماءنا الأعلام خلفوا أعظم تراثٍ علمي وأكبر حضارة عرفتها الإنسانية وقد بلغ عدد مؤلفاتهم أكثر من عشرة ملايين وقيل سبعة ملايين مؤلفاً إلا أنّ الموقف العدائي الذي وقفته الدول الحاكمة من الشيعة وإحراق مكتباتهم العامة والخاصة طوال التاريخ كالهجوم الوحشي عام ٤٥١ هجرية بقيادة طغرل بك السلجوقي المتعصب وإحراق مكتبة الشريف السيد المرتضى التي كانت تحتوي على ثمانين ألف (٨٠٠٠٠) كتاب من نفائس المخطوطات، ومكتبة أبو نصر شاپور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي الذي أسسه في عام ٣٨١ هجرية في محلة كرخ، ويصفها ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية بقوله (. . . وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر شاپور ابن أردشير وزير بهاء الدولة ابن عضد الدولة ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم

Digitized by Google

المحررة واحترقت فيما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلاجقة إلى بغداد سنة ٤٤٧ هجرية)[١]، وقال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥١ هجرية (.. في هذه السنة احترقت بغداد: الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها أردشير الوزير ونهبت بعض كتبها، وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها، وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بني مُقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لمّا وقع الحريق...)[٢] وفي عام ٦٥٥ هجرية أغار ابن الخليفة العباسي وقائد جيشه الأمير مجاهد الدين الدوادار على محلة الكرخ وقاما بإحراق المكتبات ونهب دور الشيعة وفي ذلك يقول ابن التغري في حوادث سنة ٦٥٥ هجرية: (.. ولا زال يثير الفتن بين أهل السنة والرافضة حتى تجالدوا بالسيوف وقتل جماعة من الرافضة ونهبوا فاشتكى أهل باب البصرة إلى الأمير مجاهد الدين الدوادار والأمير أبي بكر ابن الخليفة فتقدما إلى الجند بنهب الكرخ فركبوا من وقتهم وهجموا على الرافضة بالكرخ وقتلوا منهم جماعة وارتكبوا معهم العظائم...)[٣] ويشكو الوزير ابن العلقمي آخر وزراء الدولة العباسية في رسالته إلى تاج الدين بن

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٢/ ٣٤٢ الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٦م مطبعة السعادة.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ١٠/ ٧ ـ ٨ بيروت، دار الصادر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٣) ابن تغري: النجوم الزاهرة: ٧/ ٤٧ ـ ٤٨ القاهرة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م الطبعة الأولى.

Digitized by Google

صلايا[1] من نهب الكرخ وإحراق المكتبات قائلاً (. . . فكان جوابي بعد خطابي لا بد من الشنيعة بعد قتل جميع الشيعة ومن إحراق كتاب الوسيلة والذريعة فكن لما نقول سميعاً والأجر عندك الحمام. . .)[2].

ثم استشهد بقول الشاعر قائلاً:

أمورٌ تضحكُ السُّفهاءُ منها
ويبكي من عواقبها اللبيب

واستشهد بقول المتنبي أيضا:

قومٌ إذا أخذوا الأقلام من غَضَبٍ
ثم استمروا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا
مالاً يُنالُ بحَدِّ المشرفياتِ

وأيضاً تم إحراق مكتبة الفاطميين في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي حيث اهتم الفاطميون اهتماماً خاصاً باقتناء الكتب وتأسيس المكتبات، منها مكتبة دار الحكمة ومكتبة جامعة الأزهر الشريف ومكتبة القصر الفاطمي، وأحصى المؤرخون عدد كتب مكتبة القصر الفاطمي بأكثر من مائتين ألف مجلد من نفائس الكتب في مختلف العلوم كالفقه والحديث والتاريخ والأدب واللغة والفلك والكيمياء والطب والرياضيات وغيرها وعند استيلاء

(١) بن صلايا وهو أحد أمراء الشيعة في إيران.

(٢) تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى: ٨/ ٢٦٥ لطبعة الأولى مصر الحلبي.

Digitized by Google

صلاح الدين الأيوبي على القاهرة أمر بقتل الشيعة وإحراق المكتبات فتلف أكثر الكتب، وكذلك الحال في الموت في ضواحي قزوين عاصمة الإسماعيلية النزارية التي حاصرها المغول في سنة ٦٥٤ هجرية وقد استسلم ركن الدين خورشاه (٦٢٨ ـ ٦٥٥ هجرية) الإمام السابع والعشرين من أئمة النزارية في جمادى الثاني سنة ٦٥٤ هجرية وسقط آخر قلاع الموت في سنة ٦٥٨ هجرية بعد قتال بطولي ثم أحرقت أعظم مكتبة في التاريخ الإسلامي، التي كانت تحتوي على أكثر من نصف مليون وقيل مليونين من أنفس المخطوطات[1]. ومن الحوادث المؤلمة إحراق مكتبات أصفهان وذلك حين سقوط مدينة أصفهان عاصمة الدولة الصفوية في سنة ١١٣٥ هجرية على يد إحدى القبائل الأفغانية السنية المتخلفة حضارياً، وقيل إن حمامات وأفران اصفهان كانت تحمى لأكثر من شهر بواسطة كتب مكتبات مدينة اصفهان التي أحرقت بأمر من شيخ الإسلام الأفغاني المتعصب على أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وأما حادثة أحمد الجزار في جبل عامل فمعروفة، وقد نقلت مئات الألوف من كتب جبل عامل إلى عكا مقر حكومة الجزار وكان لأكثر من شهر تحمى أفران عكا بواسطة كتب الشيعة، وفي هذا يقول الشيخ إبراهيم آل سليمان العاملي في كتابه [بلدان جبل عامل] (. . . توالي الفتن والحروب فيه ذهب بأكثر كتبه ونفائس مخطوطاته وذهب كثير من مؤلفات علمائه التي لم تشتهر، وربما كانت تضاهي ما اشتهر أو تزيد عنه أو تنقص

(١) عبد الحسين الصالحي: دائرة المعارف تشيع الفارسية: ٣١٩/٨ ـ ٣٢٠ طهران الطبعة الأولى.

Digitized by Google

مع كونها من جيد التصنيف، وأعظم حادثة أتلفت معظم كتب جبل عامل فيها هي حادثة الجزار فقد نقلت منها الأحمال الكثيرة إلى عكا على ظهور الجمال وغيرها أياماً عديدة ومعظمها كان من كتب الأخبار عن أئمة أهل البيت عليهم السلام النفيسة الخط... وكان يكفي سبباً لإتلاف هذه الكتب كونها مختصة بالشيعة... فأوقدت بها الأفران في عكا...)[1] وفي سنة ٢١٦ هجرية أرسل عبد العزيز النجدي نجله سعود بن عبد العزيز على رأس جيش من اثني عشر ألف فارس (١٢٠٠٠) إلى كربلاء المقدسة وأغاروا في صبيحة ١٨ ذي الحجة الحرام سنة ١٢١٦ هجرية وأباحوا المدينة وقتل أكثر من سبعة آلاف (٧٠٠٠) شخصاً في اليوم الأول، وبينهم العلماء والفضلاء والنساء والأطفال والشيوخ، ونهبوا نفائس الروضة الحسينية والروضة العباسية وأحرقوا المكتبات وأزهقوا النفوس وهتكوا الحرم ونهبوا ذخائر تراثنا وقد فصّلت البحث عن هذه الحوادث المشؤومة في كتابي [كربلاء في حاضرها وماضيها] وكما أرخ هذه الحملة البغيضة الشاعر المبدع الشيخ محمد رضا الأزدي المتوفى سنة ١٢٤٠ هجرية في قصيدته التي تحتوي على خمسة وستون (٦٥) بيتاً مطلعها:

أريحا فقد لاحت طلايع كربلا
لنقبر أشلاء ونسعد مرملا
لنبكي دوراً راعها قارع الردى
فأوجف منها ما استقر وما علا

(١) الشيخ إبراهيم آل سليمان: بلدان جبل عامل: ٥٧٠ بيروت مؤسسة الدائرة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

Digitized by Google

لعمري لقد عبت عليها مصائب
وجلى عليها الرعب للتحف قسطلا

وختم قصيدته قائلاً:

ونادى به ناعي الصلاح مورخا
[لقد عاودتنا اليوم أرزاء كربلاء]
١٢١٦ هجرية.

ومن الحوادث المؤلمة في الحائر الشريف مذبحة فظيعة قام بها الطاغية محمد نجيب باشا الوالي العثماني في العراق وقد نشبت شرارتها يوم الثلاثاء ١٧ من شهر ذي القعدة سنة ١٢٥٨ هجرية حيث استولى على كربلاء المقدسة وأباحه ثلاثة أيام وتنص الروايات أن عدد القتلى بلغ أكثر من عشرين ألفاً (٢٠٠٠٠) بينهم الكثير من العلماء والفضلاء وأحرقت المكتبات العامة والخاصة، منها إحراق مكتبة الزعيم الشهير الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ هجرية وكانت تحتوي على أكثر من ثلاثين ألف كتاب بينها كتب فريدة، وكذلك هدم داره لأنه كان من مناهضين وأعداء العثمانيين، ونظم عبد الغفار الأخرس المتعصب قصيدة طويلة مدح بها نجيب باشا، وأشار إلى أن الوالي نجيب باشا ضحى بهم في العيد كما تنحر الغنم، ومن تلك قوله:

لقد خفقت في النحر ألوية النصر
وكان انمحاق الشر في ذلك النحر

Digitized by Google

ومدح شاعر متعصب آخر نجيب باشا لقيامه بتلك المجزرة قائلاً:

أحيين دنس دار مرقدك الألى
سموا الروافض وهو نعم المرقد
كم من وزير لم ينل تطهيرها
منهم فطهّرها النجيب محمد

فرد عليه جماعة من شعراء الشيعة منهم الشيخ عزيز النجفي قائلاً:

اخسأ عدو الله أن نجيبكم
رفض الهدى وعلى العمى يتردد
ولئن به وبك البسيطة دنّست
فأبشر بطهرها المليك محمد

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد لقد جدد بناء هذه الدار وتأسيس المكتبة فيها ثانية بعد هدمه وإحراق المكتبة في الواقعة المشؤومة الطاغية نجيب باشا مباشرة بواسطة جدنا الشيخ محمد صالح البرغاني الحائري التي انتهت إليه زعامة التدريس والمرجعية في الحائر الشريف وكانت قائمة حتى الطغيان البعثي العفلقي، وبعد مضايقات من قبل الأمن لقضايا سياسية ألقي القبض على كاتب هذه السطور ثم أطلق سراحي بعد وساطات كثيرة وتركت مسقط رأسي كربلاء العزيزة في منتصف الليل فتوجهت إلى إيران وتركت المكتبة ودارنا بيد أحد الأصدقاء الذي أعده نجله المراهق لقضية سياسية وترك دارنا ومكتبتنا فنهبت

Digitized by Google

المكتبة وهدم الدار على يد العفالقة البعثيين، وبعد سقوط النظام الفاشستي الدموي البعثي هرعت إلى كربلاء المقدسة ولم أجد من دارنا سوىٰ تلٍ من التراب، وحتى أن بعض المخطوطات التي سلمتها كأمانة لبعض الأصدقاء والذي منهم صديقنا فضيلة الشيخ محمد علي داعي الحق لم أتمكن من استرداده حتى هذه اللحظة وقد أجاد صديقنا العلامة الشهيد السيد حسن الشيرازي في وصف العفالقة قائلاً:

داسو عفاف المحصنات لأنهم
لقطاء لم يعرف لهم آباء
والناس عندهمُ شعوبيون قد
سادتهم الرجعية السوداء
وهم الشيوعيون إلا أنه
زادتهم الأموية النكراء
لو لم يكونوا ملحدين لما رضوا
بالمشركين وفيهمُ دخلاء
لكنهم راموا قيادة عفلق
إذ لم يكن فيهم له أكفاء
أوليس قد سماه يعرب عفلقاً
ولديه أحقاد الصليب دماء
وأبوه جاء لسوريا مستعمراً
والأم باريسية عجماءُ

هذا مما تيسر لي من ذكر إحراق بعض المكتبات العامة

Digitized by Google

والخاصة الشيعية وإتلاف مؤلفات علمائنا الأعلام بيد أعداء الحضارة والإنسانية، وأما الشيء الذي شغل بالي وكنت أفكر به دائماً هو الجامعة التي تخرج منها هؤلاء المفكرين والمؤلفين وأصحاب الفضيلة الذين خلفوا لنا هذا التراث العظيم والحضارة العملاقة في مختلف المجالات وجميع العلوم والفنون الذي حفل بها تاريخنا العلمي بموسوعات ضخام، ومؤلفات عظام زخرت بها المكتبات العلمية، ومما يؤسف له حقاً أنه لم يؤرخ من قبل الباحثين وأرباب الفضيلة بصورة منهجية كاملة تاريخ الحوزات العلمية والجامعات الشيعية والمراكز الثقافية والمدارس على امتداد خط التاريخ الإسلامي، وما تمتاز به كل مدرسة على سابقتها مما تجعلها جامعات متعاقبة ومتوالية في التكامل والنمو، كما لم يبحث أيضاً أحدٌ من أهل الاختصاص ومن قبل المؤرخين كيفية تطور المنهاج الدراسي فيها، وهذه مسألة مهمة تحتاج إلى كثير من العناية والدراسة.

على عادتي حين كنت أدون فهرست المخطوطات الذي لم يذكره شيخنا الأستاذ في موسوعته الخالدة [الذريعة إلى تصانيف الشيعة] أو أشاهد بعض الإجازات التي تخص تاريخ الحوزات العلمية فقد كنت أجمعها وأقيدها في ملف خاص حتى تكوّن منها هذا الكراس ورغم أن عملي هذا متواضع إلا أنّه جمع عندي مذكرات وملاحظات مهمة ترشدنا إلى زوايا من تاريخ المدارس العلمية الشيعية وضعت تلك الأوراق على رف من رفوف مكتبتي حتى هجرتي إلى إيران وتأسيس [دائرة المعارف تشيّع] الفارسية في طهران ونشرت تلخيص منها في المجلد السادس تحت عنوان

Digitized by Google

[الحوزة][1] وكما نشرت مقالات عديدة عن الحوزات الشيعية منها في مجلة [الحوزة] القمية التي تعنى بشؤون الحوزات العلمية[2] وإنما يمكن أن نؤرخ لحظة ولادة النهضة العلمية لأول مرة وذلك بتأسيس أول مدرسة للتعليم في الإسلام هو دار الأرقم بالمدينة حيث كان رسول الله ﷺ يجلس بمنزله ويلتف حوله المسلمون ليعلمهم تعاليم الإسلام، وذلك قبل أن ينشأ المسجد، ولا أدعي أني أتمكن من تقويمها في هذه العجالة بل أقول: بأني وضعت لبنةً فوق لبناتٍ آمل أن ينهض الباحثون بهذا العبء ويولون هذا الأمر ما يستحق من العناية والاهتمام. وكان ينبغي أن أفصّل فصول وتاريخ بعض الحوزات وأستدرك على البعض الآخر وأضيف بعض الحوزات التي لم يرد اسمها في هذا الكتاب غير أن إصرار بعض أرباب الفصيلة بطبعه دعانا لتقديمه بصورته الحاضرة على أمل أن نستدرك تلك الموضوعات في طبعات لاحقة مع صور المدرسين والحوزات العلمية.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

حرره بيمناة الدائرة الراجي عفو ربه الغني العبد الفاني
عبد الحسين الصالحي آل الشهيد الثالث عفى عنه وغفر الله لوالديه
حامداً مصليا مستغفراً إلى الله.
كربلاء المقدسة: المخيم يوم الجمعة ٧ ذي الحجة الحرام ١٤٢٤هـ
المصادف ٣٠ كانون الثاني ٢٠٠٤م

---

(١) انظر دائرة المعارف تشيع الفارسية ٦/ ٥٤٩ ـ ٥٧٧ طهران الطبعة الأولى.
(٢) مجلة الحوزة عدد: ٥٧ ـ ٥٦ و٥٨ و٦١ و٦٦ و٧٢ و٧٨ و٨٣ و٨٧.

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزة

تعني كلمة حوزة في العربية:

الناحية، والمجتمع، والمكان الذي يرتكز عليه الثقل.

وحوزة الإسلام هي بمثابة الحدود والثّغور والنواحي الإسلامية، وتعني أيضاً:

حازَ حوزاً وحيازةً... واحتازَ... احتيازاً الشيء:

ضمّه وجمعه إليه، حَصَلَ عليه.

والحَوز: الموضع الذي أقيم حواليه سدٌّ أو حاجز مُحْكمٍ منيع.

وحوزة الدار: ما ضم إليها من المرافق والمنافع.

والحوزةُ: الناحية التي يضمها المرءُ إليه، ويحصل عليها.

إلاّ أنّ كلمة الحوزة العلمية وجمعها «حوزات»، قد انصرفَتْ اليوم إلى اصطلاحٍ عمليٍّ ومتداولٍ، وشائع في أرجاء العالم، وخصوصاً عند المسلمين الشيعة، ويطلق هذا الاصطلاح على مركز أو مجموعة مراكز تحصيل العلوم الدينيّة حصراً.

Digitized by Google

كما يمكن أن نطلق تسميةً أوسع من هذا المصطلح... على مركز أو مراكز تحصيل العلوم الدينية... كأنْ نسميها جامعةُ العلوم والشريعة الإسلامية...، ومن هنا لا يصح تسمية الحوزة على مدرسة واحدة بل على المجموعة، فالمدرسة تعادلها المعهد أو الكلية وأما الحوزة فيعادلها الجامعة حيث تشتمل على عدد من الكليّات، وعلى سبيل المثال يقال: حوزة النجف الأشرف، أي مجموعة مدارسها ومعاهدها العلمية، وكذا الحال في حوزة قم المشرفة، فلا يطلق على مدرسة واحدة أو بعض المدارس، ومن الغلط الشائع إطلاقها في مثل لبنان حوزة فلان.

ومن حقّ هذه الحوزاتِ العلمية أن تفخر... ـ وخاصةً الحوزاتِ العلميةَ الشيعيةَ ـ كلَّ الفخر لأنها تمكنت من استلهام مذهب أهل البيت عليهم السلام الغني المتجدد، الذي ينبثق من علوم العِترة المعصومةِ مستوحاةً من شريعة الإسلام الحنيف، ومن سنّة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهي تراث ثقافي عظيمٌ ما بعده تراث، وهي علمٌ وثقافة ما بعدها علم وثقافة... قط.

وبهذا يحقُّ للحوزةِ الشيعية أنْ تُباهيَ وتفخر، لأنها أبقت على هذا المعين الثقافي الثّر الدفاق.

فالإبقاء على هذه الثقافة المتفرّدة، التي لا ترقى إلى مُستواها ثقافةٌ ما، هُو من صلب وجود الحوزة الشيعيةِ ومبررُ وجودها أصلاً، ذلك لأن ثقافةَ... وعلوم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ثقافةٌ شاملة، اهتمت بكافةِ المستويات الحياتية:

Digitized by Google

(العلمية، والاجتماعية، والريّاضيّة، والسياسيّة...).

وهي ثقافة لا تزال تحملُ ورقةً خضراء ذهبيةً متلألئةً إيذاناً بأنّها ثقافة متجددة حيّة تتفاعل مع أوجُهِ الحياة لتبقيها ربيعاً إنسانياً دائماً... مفعماً بالإيمان بالله العزيز الحميد، حتى غدتْ هذه الثقافةُ جوهرةَ تاريخ الحضارة الإسلاميّة، بكلّ مقوماتها، ناهيك عن كونها المعينَ الأساسيَّ الذي تنهلُ منه جميع المدارس الشيعيةِ إلى هذا اليوم.

ولقد أدرك (السيد حسن الصدر) هذه الحقيقةَ، فأشار إليها في كتابه: (تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام) الذي جاء فيه:

ـ «إنّ موفقيّة الشيعة في الفنون المختلفة، وعلى جميع المستويات، بل وفي كلّ قسم من أقسام العلوم الإسلامية، يفوق على موفقية سائر الفرق الأخرى، لما للشيعة من ثقافةٍ ناطقةٍ عظيمةٍ.. وثريّةٍ»!.

ومع الأسف، فإنّه لا يوجد مصدرٌ أو كتابٌ، يوضح لنا التاريخ الدقيق، لِتَشَكُّلِ الحوزاتِ العلميةِ وعددِها، ناهيك عن افتقارنا للدراسات التاريخيةِ الواضحةِ، التي تبين لنا ماضي وعمق هذه المؤسسات العلميّة في العصور السالفة!...

تأسيس الحوزات العلمية الشيعيّة:

يرجع تاريخ تأسيس الحوزات العلمية، إلى صدر الإسلام... إلى عهد رسول الله ﷺ، حيثُ كان يتّخذ من صحنِ المسجد الحرام في مكّة المكرمة، قبل الفتح حوزة لتبليغ رسالة

Digitized by Google

رب العالمين وللدعوة إلى الإسلام الحنيف، دين الله القوي العزيز وبعد بيت الله الحرام... أقدم من مسجد النبي ﷺ الذي بناه في المدينة بعد هجرتهِ الميمونَةِ إليها.

إلا أنّ مكةَ المكرمةَ في العام الثامن الهجري، غَدَتْ مركزاً لتعليم وتبليغ ونشر العلوم الإسلاميّة، في أرجاء الحجاز وشبه جزيرة العرب، بعد عام الفتح.

وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة، وضع حجر الأساس لبناء المسجد النبوي الشريف في المدينة المنوّرة، وذلك في السّنة الأولى، ليصبح بحقٍّ أوّل مركز علمي ثقافي في التاريخ الإسلامي العظيم، وليمارس كبار الصحابة والتابعين الشيعة، تدريسهم فيه لمنْ يروم ذلك!...

ولم يمضِ كثيرٌ على تأسيسه، حتى أصبح من أكبر المراكز العلميّة في مجال التدريس، في عصر الإمام (أبي عبد الله ـ جعفر الصادق عليه السلام) مِن سنة ٨٠ إلى ١٤٨ هجريّة.

العلاقة بين الحوزةِ والمسجد:

لقد أشرنا بادىء ذي بدء، إلى أنّ الحوزة انطلقت بشكلها العام من المسجد، إذ اعتبرنا أنَّ المساجد كانت أوّلُ ساحاتٍ للتدريس، وهي التي بذرت الفكرةَ الأساسَ في تشكيل مراكز الحوزات العلمية، واتسعت المساحاتُ الثقافية التي تحمل طابع التمدن الشيعي، وتعمقت آفاقُ النشاطات التعليمية رويداً...

Digitized by Google

رويداً داخل الحوزات، فأتاحت توفير الإمكانات بشكل أفضل، استطاع أن يسهم بصورة وبأخرى، في تهيئة الأماكن المناسبة. لتحصيل العلوم الدينيّة، فأضحت الحوزاتُ والمدارس العلميّة. والمساجدُ مكمّلةً ومتكاملةً في الرّد على المسائل الفقهية. وبهذا كانت الحوزاتُ والمساجدُ مكملةً لبعضها.. بعضاً، في الممارسات العباديّة والعلميّة!.

المدارسُ والجامعاتُ الأولى:

وعلاوة على تشكيل الحوزات العلميّة... أوائل القرن الثاني الهجري في عصر الصادقين، فإنّ الشيعةَ هم أولُ من أقدم على تأسيس وبناء المدارس والجامعات الإسلامية آنذاك.

فبعد ثورة سيد الشهداء، وسبط الرسولﷺ، ومرور عدّة قرون من الجهاد والانتفاضاتِ الثورية الدامية، تمكّن الشيعة في أوائل القرن الرابع الهجري، من تشكيلِ دولتين عظيمتين مقتدرتين هما:

أ ـ الحكومة الإسماعيلية الفاطمية (٢٩٧/٥٦٧):

كانت حدودها تناظر حدودَ أكبرِ إمبراطوريةٍ عرفها التاريخ قبلها فهي ممتدةً على مساحات شاسعة، من بلاد الشام إلى المغرب الأقصى، ومن سيسيل حتى اليمن، ولا تزال ماثلةً في الأذهان إلى يومنا هذا مقترنةً بنماذج كثيرةٍ ومتعدّدةٍ منها الأثر البارز للشيعة الفاطميين في مصر ممثلاً بالأزهر الشّريف، هذه الجامعةِ الكبرى التي عدّها المؤرخون، من أقدم جامعات العالم،

Digitized by Google

والتي يذكّرنا اسمُها مضيئاً في أذهاننا اسم السيدة الكبرى: (فاطمة الزهراء عليها السلام).

بنيت جامعة الأزهر، في جمادى الأولى من عام [٣٥٩هـ] بأمر من (جوهر) الكاتب الصّقلي... القائد الفاتح الفاطمي في القاهرة التي كانت أوّل عاصمةٍ للتشيّع على مدى التاريخ[١].

وكذلك الأمر بالنسبة للمكتبة المسماة بـ (دار الحكمة) أو دار العلم التي أنشأت بأمر من الحاكم بأمر الله (ابن عزيز) عام (٣٩٥هـ)، وأن جميع الموجودات من الكتبِ التي كانت في القصور السلطانية، ثم نقلت إليها.

وفي دار الحكمة هذه، اشتغل قرّاء القرآن الكريم، وعلماء الفلك، والأطباء، وأساتذةُ اللغة والنحو، وسائر العلوم الأخرى، بممارسة أعمالهم وفق مناهج متقنة ومدروسةٍ، وأنّ الأملاك التي كانت تابعةً لتلك الإدارة.. قد أوقفت على هذه الدّار!.

ب ـ الحكومة البُوَيهية (٣٢١ ـ ٤٤٨هـ):

وهي الدولة الشيعية الثانية، وحكايتها:

إنّ (أحمد معز الدولة) دخل بغداد عام (٣٣٤هـ) بجيشه الجرار فبايعهُ الخليفة العباسي (المستكفي بالله).

وقد أمر (معز الدولة) البويهي، بصك النقود بالأسماء الثلاثة التّالية:

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ٢/ ٨٩.

Digitized by Google

أخوه (علي عماد الدولة) و (حسن ركنُ الدولة) و (أحمد معز الدولة)، فصار له ذلك.

وتزامناً مع شروع حكومة (آل بويه) في إيران والعراق، تأسَّست أيضاً المدارسُ الشيعية وتوسعت خاصّةً في المناطق التي فيها كثافة سكانية شيعية!.

ولقد كان من أمر (فناخسرو ـ عضد الدولة) البويهي عام (٣٦٧هـ) أن يعمد إلى بناء مدرسةٍ كبيرة، باسم المدرسة (العضديّة)، التي كانت بمثابةِ الأقسام الثقافية المرتبطة بالروضة الحسينية، والتي أصبحت في عام (١٣٦٨هـ) جزءاً من باحة الصحن الشريف، فأخليت بالتَّدريج، وخربت حجرات الباحة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حيث كانت محلاً لسكنى طلاب العلوم الدينية.

أما بالنسبة لتأسيسِ أول جامعة سنية، وباتفاق جميع المؤرخين وهي المدرسة (النظاميّة) في بغداد، التي افتتحها الخواجه (نظام الملك) في شهر ذي القعدة من عام (٤٥٩هـ)، أي بعد مضي أكثر من قرن على فاعلية ونشاط المدارس الشيعية!...

المسيرة الفكرية والتاريخ السياسي للحوزات:

إنّ العمل والاهتمام بمسائل الاجتهاد، كان منحصراً جداً ومقتضباً، بسبب استمرار مسيرة الإمامة إلى عام (٢٦٠هـ) ولا يخفى على أحد، بأن وجودَ الأئمة المعصومينﷺ والاستفادة من وجودهم المبارك، قد ألغى الحاجةَ إلى الاجتهاد، إذ اقتصر الأمرُ

Digitized by Google

في الأعم الأغلب على نقل أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.

والجدير بالذكر أن الأئمة المعصومين عليهم السلام وجهوا تلامذتهم نحو استلهام مدارس التعقل والتفكر، والاجتهاد، والاستدلال، بحيث انعكس هذا التوجيه فيما بعد على قسم من الأفكار المختلفة، وأعمال القيل والقال، التي بدأت في القرنين الأوّل والثاني الهجريين، وقد انعكس في كتب الرّجال الشيعية الثلاثة وهي:

فهرست الشيخ الطوسي (ره)، والنجاشي (ره)، والكشي (ره) حيث بان الأمر في الكتب الثلاثة متبلوراً بالفكرة بشكل أعمق.

وفي أوائل عصر الغيبةِ الصغرى إلى نهاية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، سيطر أهلُ الحديث أو الإخبارية رويداً رويداً على سماء الحوزات العلمية، إذْ كانت حوزة (قُمْ) العلمية قائمةً آنذاك، وهي من أهم الحوزات العلمية الشيعية في تلك الفترة، وكذلك كانت سائر الحوزات العلمية الشيعية في العراق، بمحض اختيار هذا الأمر. وكان الجميع مخالفاً لأدنى مسألة اجتهادية أو استدلال عقلي، فالإخبارية بدلاً من التعامل العلمي وإقامة البرهان والدليل، فقد أوغلوا في تكفير المخالفين لهم، ناهيك عن المسألة (المهدوية) التي كانت من المسائل المهمة والمثيرة للبحوث في تلك الفترة، حيث كانت السّببَ الأساس في اتهام الشيعة بشكل وبآخر، ممّا بعث على الاضطراب الشديد في الحوزات، وبروز النظريات الخاصة بالأئمة المعصومين أيضاً عليهم السلام، إلى وقت سماح الدولتين الشيعيتين من (آل بويه) بحريةِ

Digitized by Google

القلم والفكر، وتأسيس سلسلة من المدارس الفلسفيّة والإشادة إلى عدد من المتكلمين والمقتدرين الإمامية بالشروع في المباحثات العقلية والتفكير المنطقي والفلسفي، مما حَدَّ من سيطرةِ أهل الحديث والإخبارية ومنهم:

الشيخ أبو أحمد عبد العزيز جلّود (م٣٣٢هـ) والشيخ أبو منصور صرام (م ح٣٥٠هـ) وعلم الهدى الشريف الرضي (م٤٠٦هـ) والشريف السيد المرتضى (م٤٣٦هـ) وشيخ المشايخ أبو عبد الله محمد المعروف بالشيخ المفيد (م٤١٣هـ) والشيخ أبو إسحاق الثعالبي (م٤٢٧هـ) والشيخ الرئيس أبو علي بن سينا (م٤٢٨هـ) وأبو صلاح تقي الدين الحلبي (م٤٤٧هـ) وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (م٤٦٠هـ) وغيرهم.

ولقد جاهدت هذه النخبةُ بشدةٍ ضدّ مدرسة الأخباريين إلى أن أخرجوهم من الحوزات العلمية.

لقد كتب الشيخ المفيد كتاب «مقابيس الأنوار في الرد على أهل الأخبار»[1]، وكتب الشريفُ السيد المرتضى رسالةً في الردّ على أصحاب العدد.

وخلاصة الأمر فإنّ أهل العقل والاستدلال، وأصحاب الاجتهاد تمكنوا من الاستحواذ عليهم، والإمساك بالإمكانيات والقدرات التي كانت متاحة للأخبارية، وبذا ظهرت على ساحة التّاريخ القدرةُ العلمية الكبرى في إيران، والعراق، في ظلّ حكومة (آل بويه) الشيعية، وذلك في القرن الرابع وأوائل القرن

(١) الذريعة: ٢١٠/ ٣٧٥.

Digitized by Google

الخامس الهجري، بحيث تبلورت حضارة الإسلام العظيم، في هذه البرهة الزمنيّة، على يد علماء الشيعة، من خلال وجود الحوزات العلمية الشيعية، وبدأت الإنسانية تأخذ الكثير الكثير من هذا الميراث الثقافي، وبذلك سمحت هذه الحقبة بجمع الكتب الأربعة الروائية الشيعية:

(الكافي ـ الاستبصار ـ التهذيب ـ من لا يحضره الفقيهُ).

وكذا الكتب الرجالية الأربعة، التي تعتبر محوراً ومَداراً للتشريع، عند فقهاء الإماميّة، وبهذا أحكمت أركان المذهب الشيعي بشكلٍ لا يستهان به.

وبعد ازدهار مدرسة الفلسفة والكلام الشيعية، على عهد دولة لخلفاء خاصةً في بغداد (عاصمة الخلافة العباسيّة)، وبعد استثمار زعماء الحوزات العلمية الشيعية والمتكلمين للفرص السانحة، في ظلّ حكومة (آل بويه)... انتقل الحوزويون من خطّهم الدفاعي، إلى خط المواجهة العلمي الجادّ... بمجابهة الفئات والفرق الإسلامية، غير الشيعية، واستطاعوا حينها وباقتدار أن ينشروا الفكر الشيعيّ المتميز، كما دعوا الفئات والفرقَ المخالفة إلى اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام، مما حدا بالكثير منهم لأن يردوا على التشيع زرافاتٍ ووفرادى.

ناهيك عن اعتبار التشيع نظرية أيديولوجية، ترفض التعامل مع البلاط العباسي بأي شكل من الأشكال، ومن ثَمّ فهي فكرٌ نيرٌ يقف ضد الظلم الذي يمارسه الولاةُ والأمراء، في المجتمع آنذاك.

Digitized by Google

إنّ هذه الحركة الفكرية هي التي جعلت الخوف والهلع ينتابان ويسيطران على البلاط العباسي، فراح أمراء البلاط العباسي يتحالفون ويتعاهدون مع الأمراء الأتراك، ـ لأنهم سُنَّة ـ ضدّ الأمراء الشيعة الإيرانيين بحيث صار هذا العرق سبباً أساسياً ومشؤوماً لظهور الحكومة السّامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩) التي كان حدودها إلى ما وراء النهرين وخراسان على يد الخزنويين، متمثلة في قيادة الغلام التركي «إليتكين»، وبذلك سقطت حكومة (آل بويه) (٣٢٠ ـ ٤٤٨) على يَدِ السلاجقة، فاحتلّ (طغرل) بك السلجوقي بغداد عام (٤٤٧)، وبثّ بذور الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، بشكل مكثف، علاوةً على إباحته قَتْلَ الشيعةِ، وحرق آثارهم الثقافية، ومن جملتها: المكتبة الإمامية بالكرخ ببغداد، وهي أعظم مكتبة شيعية في العالم الإسلامي كان قد أسسها (أبو نصر) وزير (بهاء الدولة) البويهي.

لقد ضمّت هذه المكتبةُ جلَّ الكتب المخطوطة بأيدي الخطاطين الماهرين والمتميزين في أمور التحرير والكتابة[١].

وكذا الهجوم على منزل شيخ الطائفة (الطوسي) وهو ما دفع به للهرب من بغداد ملتجئاً إلى العتباتِ المقدسة في كربلاء والنجف، بعد إحراق مكتبتِهِ ومسنده[٢].

ناهيك عن إحراق مكتبة الشريف السيد (المرتضى)، التي كانت مُشتملة على ثمانين ألف كتاب نفيس، فريدٍ ومقصور

(١) معجم البلدان: ٢/ ٣٤٢.

(٢) دائرة المعارف الشيعية: ٣/ ٢٨١.

Digitized by Google

عليه، إضافة إلى تعريض علماء الدين الإسلامي الشيعة للتعذيب، وإكراههم على الهرب من أماكنهم بإحراق منازلهم، وإحراق مائة مجلد من القرآن الكريم، كان بعضها بخطّ (ابن مُقلة) الخطاط، نتيجةً للحريق المريع الذي قام بهِ عمداً السلاجقة لمكتبة الوزير (أردشير)، علاوةً على المدارس والمكتبات والحوزات العلمية الشيعية المنتشرة في أرجاء البلاد في ذلك الحين، وكلّ ذلك كرهاً منهم وبغضاً، لِقيادة وعلماء المذهب الشيعي، ورؤساء الحوزات العلمية الشيعية، التي كانت تمثلُ المركزَ الرافضَ للظلم والجور، اللذين يمارسهما البلاط العباسي، بحق أفراد الأمّة المسلمة.

وللخروج من أزْمَتِهِ، فقد وضع البلاط العباسي يدَهُ بيد الأمراء السُّنّة الأتراك لتتوحد جهودُهم ضدّ الأمراء الشيعة الإيرانيين، وهذا الأمر هو الذي أوجد فاجعة كبرى، بحق الحوزات العلمية الشيعية في ذلك الوقت.

كتب الدكتور (شلبي) حول تأسيس المدرسة النظامية في بغداد ما يلي:

[لقد كانت أهمية تأسيس المدرسة النظاميّة، تفوق الاهتمام العادي، لامتيازات منها:

إنَّ الخلافة العباسية، والمجتمع السني قد هدّد من قبل الأمراء الشيعة من (آل بويه) والخلفاء الفاطميين في مصر، ولهذا السّبب المهم، وضع الحجر الأساس للمدرسة النظامية، كيما يتحقق من خلالها، بلوغ السُّنّة لأهدافهم الخاصة، ناهيك عن

Digitized by Google

تأييدهم للخلافة العباسيّة، وبهذا وجد المذهبُ السّني منفذاً لحياةٍ أخرى جديدة][1].

ولم تمضِ فترةٌ طويلة، حتى نهضت الحوزتان العلميتان الشيعيتان تدريجياً، في مواجهة المدرسة النظامية في بغداد:

أولاً: حوزة كربلاء القديمة.

ثانياً: حوزة النجف الأشرف.

ولم يمضِ وقت طويل حتى عاد شيعةُ بغداد مجدداً، في فرصة ذهبية متاحة إلى الإمساك بمكانة ومنزلة جديدتين، إلى الحدّ الذي يفتخر فيه خلفاء بني العباس من أمثالِ (المستنصر بالله) بأنّه وبواسطة علماء الشيعة، وبيدِ الحوزويين، يرتدي الخرقةَ، تحت قبة أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام)[2].

وبعد سقوط بغداد عام (٦٥٦هـ) استمرت الحوزات الشيعية الكبرى كعادتها في مسيرتها الفكريّة، والكلاميّة، والاستدلالية، وفي إدارة الحكومة والقيادة بواسطة العلماء الأعلام مثل خواجه (نصر الدين الطوسي) (م٦٧٢هـ) والعلاّمة (الحلّي) وأمثالهما من الذين يبتّون في تعيين وترتيب الأمور.

إلاّ أن قيام الصفويين عام (٩٠٧هـ) واستقرار عاصمتهم في قزوين قد شهد مجدّداً انحدار أهل الحديث أو الاخبارية، بشكل تدريجي، إلى الحوزات العلمية، خاصّةً حوزة قزوين، حيث كانت

---

(١) تاريخ التعليم في الإسلام: ١٠٠.

(٢) الأنوار الساطعة: ٩٤.

Digitized by Google

آنذاك من الحوزات الشيعية الكبرى، وفي حينها برزت سلسلة من النزاعات الفكريّة بين أهل الحديث ومدرسة أهل العقل، وما أن بلغت تلك المنازعات قمّتها، حتى أغلق الشاه (عباس الصفوي) (١٠٠٢هـ) جميع المدارس الفلسفية في قزوين وأسّس محاكم خاصّة، تبحثُ وتفصل في قضايا العقائد.

وكان الشاه شخصياً في أغلب الموارد، يقوم بإعدام الفلاسفة بعد محاكمتهم، ونتيجة لهذا الأسلوب الخشن، وغير الإنساني، تحرّكت قوافل الفلاسفة... والرياضيّين، ممّن يؤيدون المذهب الاجتهادي، إلى الهند، حيثُ استقبلهم سلاطينها بحرارة، وبذا تأسست الحوزةُ الشيعية الهندية هناك، وعندها... انقسمت مدرسة (أهل البيت عليهم السلام) إلى قسمين:

مدرسة أهل العقل في مقابل مدرسة أهل الحديث، فَطَفَا على السطح تأليفُ ونشر الرسائل الساخرة نثراً ونظماً.

فالشيخ (البهائي)... الذي كان خلافاً لوالده من المدرسة الاجتهادية... قد حرر رسالة ساخرة ضدَّ الاخباريين أسماها الخبز والحلاوة، وردّاً على (البهائي)، قام الملا (رفيع) بنشر رسالة تحت عنوان الخبز والجبن، وهكذا برزَ الكثير من الرسائل الساخرة، مع إخفاء اسم المؤلّف، تجنباً لما قد يصدر من الدولة من أذًى يلحق به، مثل: الخبز والكباب، الخبز واللبن، الخبز والملح... وغيرها، وقد ضبط أكثرها وسجل في الذريعة.

إنّ النقاضَ الاخباري (محمد أمين) الاسترابادي عام (١٠٣٣هـ) نشر كتابه «الفوائد المدنية» وقد زاد في قدرات

Digitized by Google

الاخباري بالكامل مما بعث على وضع مدرسة أهل الاجتهاد تحت ضغوط شديدة، إلى الحدّ الذي بلغ فيه إخراج وطرد الملاّ صدرا الشيرازي (١٠٥٠هـ) من الحوزة ونفيه إلى قرية كهك وهي من قرى قُم.

واستمرّت المناقشات فترة ليست بالقصيرة، حتى أدّى الأمر إلى اضمحلال حوزة اصفهان عام (١١٣٥هـ) على يد (محمود أفغان)، ممّا اضطر علماءَ هذا المركز الثقافي الكبير، إلى الهرب إلى نواحي بعيدة وقرى آمنة في إيران والعراق... والهند، إلاّ أن حوزة كربلاء كانت لا تزالُ فاعلة ونشطة حتى صعود (نادر شاه) سدّة الحكم حينها قام نصر الدين الحائري الموسوي، زعيمُ حوزة كربلاء، بزيارة إلى السفارة في اسطنبول، لكسب اعتراف العثمانيين بالمذهب الشيعي باعتباره أحد المذاهب الخمسة الإسلاميّة، لكنه استُشهد هناك عام (١١٦٠هـ)[١].

وبعد السيد (الحائري) أضحى (الوحيد البهبهاني) زعيماً لحوزة كربلاء، وهو المشهود له بنبوغ خاص في الاستدلال والتحليل والتفكير العقلي، وفي النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري، اضمحلّت المدرسة الإخبارية، بعد سنين تحكمت فيها بالحوزات الشيعية لتجلِسَ في المحل المناسب لها[٢].

وبعد وفاة (الوحيد البهبهاني) خلفه على زعامة الحوزة العلمية في كربلاء السيد (محمد مجاهد)، وبرزت في تلك الفترة،

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ٢٢٤.

(٢) مقدمة برفقة الشيعة: ٦٠.

Digitized by Google

في الجزيرة العربية... حركتان متطرّفتان، على أساس أفكار خاطئة، يرفضها جميع مسلمي العالم:

ـ **الأولى**: هي الحركة التي ظهرت على أفكار عالم المذهب الحنبلي المتعصّب (محمد عبد الوهاب) النجدي عام (١٢٠٦) المعروفة باسم الوهّابيّة.

ـ **والثانية**: هي الحركة الشيخية التي قامت على أساس أفكار الشيخ (أحمد بن زين الدين) الإحسائي عام (١٢٤١هـ) الذي أدخل بعض أفكار المغالاة على المعتقدات الشيعية.

إنّ هاتين الحركتين، كانتا السبب الأساسي، في إيجاد مشاكل كبرى للحوزات العلميّة الشيعية، بل جلبت معها الفتنَ المتفاقمة التي سالت بسببها دماء غزيرة، وأزهقت أنفُسٌ بريئة، لا تزال آثارها إلى يومنا هذا، باقية وملموسة في عالمنا الإسلامي.

ومن الحوزات العلميّة، والتاريخية، والسياسيّة المهمّة للحوزات الشيعية، هي حوزة سامراء، بزعامة الميرزا الأوّل محمد حسن مجدد الشيرازي (م١٣١٢هـ)، هذه الحوزة التي واصلت الإبداع الفكري والاجتهاد بجديّة، ناهيك عمّا صدر عنها من تحريم للتنباك، الذي يعدُّ أحدَ المنعطفات السياسية، في تاريخ إيران المعاصر[1].

وبعد ذلك... يأتي دور نهوض الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني عام (١٣٢٩هـ)، صاحب «الكفاية»، وزعيم حوزة

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/٤١٦.

Digitized by Google

النجف، ومن المؤسسين الأصليين للثورة الدستورية المسمّاة بـ (المشروطة)[1].

بعد ذلك... جاءت انتفاضة الميرزا الثاني الشيخ محمد تقي الشيرازي عام (١٣٣٨هـ)، قائد العالم الشيعي، وزعيم الحوزة العلمية في كربلاء، وهو ممن له فتاوى في ضرورة محاربة الإنكليز، وهو من المطالبين باستقلال العراق[2].

إنّ للحوزات العلميّة الشيعية العالميّة، طفراتٍ فكريّةً كبيرةً ونشاطاً جهادياً سياسياً واسعاً وعميقاً في التاريخ المعاصر، مثل الجهاد ضد كشف الحجاب، الذي حصل في العهد البهلوي الأول، ومثل الحوادث الدّموية التي جرت في مسجد كوهرشاد في محافظة خراسان، ومثل جهاد حوزة البحرين، ونهضة حوزة كربلاء، على أيّام التسلط الشيوعي في العراق، و (عبد الكريم قاسم)... وغيره.

وآخره... نهضةُ الحوزة العلميّة في قم بقيادة الإمام الخميني، التي وصلت إلى النتيجة بصورةٍ كاملةٍ ووضّاءة.

لغة التدريس في الحوزات العلمية:

تنقسمُ لغة التدريس في الحوزات العلمية الشيعية إلى قسمين، فأمّا دروس المقدّمات فتكون فيها الكتبُ الدراسيةُ على قسمين أيضاً، أحدهما عربي والثاني فارسي، كما وأنَّ طلبة

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ١٤١.

(٢) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ١٩٠.

Digitized by Google

لحوزات العلمية خارج إيران ينتخبون أساتذتهم حَسْبَ ألسنتهم ولغاتهم الأم وقوميّاتهم، فالناطقون باللغة العربية ينتخبون كتبهم بالعربيّة وكذا أساتذتهم العربَ، ويلتحق أتباعُ سائر القوميات لأخرى بأساتذتهم الذين يتكلّمون بنفس ما يتكلّمون به من لغات.

أمّا بالنسبة لدوراتِ السطوح، فيقتصر التدريسُ على اللغتين: العربية، والفارسية، في حوزات إيران والعراق، وسائر لبقاع الأخرى.

وذلك بسبب التفاوت اللفظي والمعنوي بين الفارسية والعربية... لذا كثيراً ما نشاهدُ مشاركة الطلبة العرب، في حلقات الأساتذة الناطقين باللغة الفارسية، وعلى العكس من ذلك... نرى مشاركة الطلبة الإيرانيين في حلقات التدريس للأساتذة العرب.

أمّا بالنسبة لمرحلةِ بحث الخارج، فإننا نشاهد التدريس مقتصراً على اللغة العربية، في حوزات العراق، وسائر البلدان العربيّة... كالبحرين والشام، ولبنان وغيره من الدّول العربيّة.

أمّا في إيران... فلا يزال الأساتذةُ يَشرحون، ويوضحون آراءهم وموادَّهم الدراسيّة، باللغة الفارسية إلى يومنا هذا!...

أوقات التعليم في الحوزات العلمية:

لا يمكن القولُ بأنّ هناك زماناً معيناً ومحدّداً للتدريس في لحوزاتِ العلمية الشيعية، فغالباً ما تكون أوقات الدرس في مرحلة المقدّمات والسطوح متفقاً عليها بين الطالب والأُستاذ، إذ

Digitized by Google

قد يصلان إلى اتفاق يكون فيه زمانُ الدرسِ بعد أداء فريضةِ الصُّبح، أو بعد طلوع الشمس، أو قبل غروبها، وكذا بعد صلاةِ المغرب والعشاء.

وعليه فالأمرُ الطبيعيُّ: مشاهدةُ حلقات الدرس، في الحوزات العلمية، وسواءٌ أكانَ ذلك في إيران، أم في العراق، أو في سائر المراكز الشيعية، على طول ساعات اليوم، وفي أوقاتٍ متباينة.

أما بالنسبة لزمان تشكيل دروس بحث الخارج، وهي المرحلة النّهائية في الحوزات الشيعية، فإنّه يكون في الأعمّ الأغلبِ قبل الظهر أو بعده، أو بعد صلاة المغرب والعشاء، فذلك في الحوزات الشيعية الكبرى مثل حوزة كربلاء المقدسة، وقم المشرفة، والنجف الأشرف، التي تَشتملَ على عدة حلقات لدروس بحث الخارج، وبحَسب التّوافق بين فضلاء تلك الحوزات والأساتذة والمجتهدين، تنظّم حلقاتُ الدرس بحيث لا تكون كلها في آنٍ واحد، حتى يتسنى لطلاب العلوم الدينية المشاركة في أكثر من حلقة، وأنّ المدّة الزمنية لكل حلقةٍ من حلقاتِ المقدمات، والسطوح، وبحث الخارج لا تقلُّ عن ساعة، ولا تزيدُ على الساعةِ ونصف السّاعة.

أماكنُ التدريس في الحوزات:

إن أماكن التدريس تكون حيث تشكيل الحلقات الدراسية في الحوزات الشيعية، في إيران، والعراق، وسائر مراكز السكان الشيعية بالنسبة لدروس المقدمات، والسطوح، غالباً ما تكون في

Digitized by Google

المدارس الدينية ذاتها، وخاصّةً في غرفة الأستاذ، أو في بيتِهِ، أو في قاعة تدريس تعرفُها أكثر المدارس القديمة باسم «المَدرس»، ويمكن أن يكون الدّرس داخل غرف العتبات المقدسة في العراق، أو على السطوح في فصل الصيف الحار، أو قد يكون الدرس في الأقبية، التي يطلق عليها (السّراديب)، ومفردها (سرداب) حيث تشكلُ هناك حلقاتُ الدرس، مثلما هي الحال في تشكيلها داخل الحُجرات، ومسقفات الباحات المشرفة على مراقِد الأئمةِ المعصومين عليهم السلام، ولأنّ أساتذةَ ومدرسي هاتين الدّورتين (المقدمات والسطوح) كُثُرٌ... فعليه يكونُ عدد الطلاب في الغالب، لهاتين الدورتين، مبتدئاً من طالبٍ واحد، إلى عشرة طلاب أو أكثر في حدّه المتوسّط.

الإجازات والعطل الرسميّة في الحوزة:

إن العطل الرسمية في الحوزات العلمية الكبيرة والصغيرة منها... تتشابهُ تقريباً في جميع الحوزات الشيعية، ويكون متفقاً عليها بالكامل فيما بينها، باستثناء بعضها، ذلك بتأثير الاختلاف الإقليمي والمحلي، وما شابه ذلك.

وهذه العطل هي:

١ ـ يوما الخميس والجمعة، من كل أسبوع، لإتاحة الفرصة للطلبة كي يراجعوا دروسهم التي تعلموها على مَدى الأسبوع، وكذا قضاء الأعمال الشخصيّة الخاصة بهم.

٢ ـ الأسبوعان الأوّلان من شهر محرّم الحرام،

Digitized by Google

والأسبوعان الأخيران من شهر صفر، وذلك بمناسبة أيام العزاء على سيد الشهداء عليه السلام في عاشوراء، وأربعين الحسين عليه السلام، علاوةً على إقامة مجالسِ العزاء وذكر مصيبة كربلاء عند كلِّ تجمُّعٍ شيعي.

٣ ـ شهر رمضان المبارك بكامله، حيث تغلق الحوزات العلمية أبوابها وتمتنع عن متابعة الدراسة والتدريس بالكامل، وفي هذا الشهر الفضيل يتحرك بعضُ طلبة العلوم الدينية للتبليغ بالمعارف الإسلامية، يتحركون إلى المدن والقرى الأخرى، بينما يبقى بعضهم الآخر في حوزاتهم، للمشاركة في تفسير القرآن الكريم، ودروس الأخلاق، وسائر المعارف، التي تليق بشهر رمضان المبارك.

٤ ـ أيّام وفيات الأئمة المعصومين عليهم السلام، ورحلة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والأيّام الفاطميّة المتصلة بمصيبة الزهراء البتول (سلام الله عليها).

٥ ـ أيّام الأعياد الإسلامية، مثل:

عيد الفطر، عيد الأضحى، عيد الغدير، النوروز ـ في بعض الأقطار ـ، الخامس عشر من شعبان وأوّل ونصف شهر رجب المرجب، وولادة وبعثة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

٦ ـ وفاة كل مرجع من كبار مراجع تقليد الشيعة، وذلك موكول إلى مقامه العلمي، فقد تعطّل الحوزاتُ يوماً واحداً أو أكثر حتى تصل إلى ستة أيّام في بعض الأحيان، وذلك حسبَ الموقع العلمي... وحسبَ مكانة ذلك المرجع.

Digitized by Google

التدريس في الحوزات العلمية:

ينقسم التدريس في الحوزات العلمية الشيعية إلى قسمين مُهمّين هما:

دورة السطوح، والدورة العليا للسطوح، وطلاب العلوم الدينية (من العرب وغير العرب)، ومن كلا الدورتين، يمتلكون الكتبَ نفسها وينتفعون بها، كما أنّ أسلوب دراستهم واحد، ولا يوجد فرق كبير بين الدورتين إلاّ أنّ الدراسة على مستوى دورة السطوح، تتبنّى الفقه، أمّا في الدورة العليا للسطوح، فإنهم يوغلون في أصول الفقه، وكلتا الدورتين تنشغلان بقراءة بعض كتب المقدّمات للعلوم العقليّة.

إن الكتب الدراسية في السطوح، والسطوح العليا، هي بمثابة ذخائر غنية ونادرة، فبِها وبالسّعي الحثيث الموفق استطاع آلاف من فقهاء الشيعة الممتازين، شقَّ طريقهم، علاوة على مئات الفقهاء الذين أضحوا أصحاب أساليب إبداعية مبتكرة، وذلك باستلهام علوم مدرسة (أهل البيت عليهم السلام) الغنيّة، منذ القرن السادس الهجري، باعتبار أن تلك الكتب تضمُّ أساساً صلباً، وعمقا فقهياً نادراً، ناهيك عن العمق... الأصولي الكلامي الفلسفي، فأصبحت بذلك وسيلةً يستخدمها الأساتذة في تدريسهم وفي أطروحاتهم..

وطبيعي أن يكون في الحوزات العلمية الشيعية طلبةٌ لهم نبوغ واضح وفهم أوسع من أقرانهم، فما أن ينتهوا من كتاب، حتى يبرز النابغ فيهم على فهمِهِ وإدراكهِ لإقامة الدرس في المادةِ

Digitized by Google

نفسها، للطلبة الدارسين من دورته والمرتبطين بدروس (المقدمات والسطوح).

أسلوب وطرق التدريس في المراحل الثلاث:

(المقدمات، السطوح، بحث الخارج) فكلها تنتمي إلى جذور عريقة، وقد سبق أن لاحظنا كيفية تدريس هذه المراحل في مدرسة الإسكندرية أيضاً:

مدينة الإسكندرية: بنى الإسكندر المقدوني هذه المدينة، من سنة ٣٠٤ ـ ٣٣٣ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ثم صارت بعد ذلك مركز حكومة البطالسة، ومنذ البداية كانت الإسكندرية مَوضع اهتمام العلماءِ والأساتذة اليونانيين، وبالتدريج أصبحت من أكبر المراكز العلمية، والأدبية، والفلسفية، على المستوى العالمي، حيث أسَّس (بطليموس) فيها مكتبةً كبرى، كان فيها حين التأسيس (٧٠٠,٠٠٠ طومار) (بابيروس).

أمّا بالنسبة لأسلوب التدريس في مدرسة الإسكندرية، فكان على ثلاثِ مراحل هي كالتالي:

فَلَقد جرى أسلوب التدريس في مراحل المقدمات والسطوح في الحوزات العلمية الشيعية كما يلي:

يقرأ الأستاذ العبارات الموجودة أمامه في كتابه وكتاب الطالب، ثم يشرع بشرح العبارة على النّحو المطلوب لحصول الفهم، بعدها يبين الإيضاحات اللازمة، ويعقّبُ عليها بأقوال الآخرين، على المسألة التي طرحت ليبحث ويحقق في نقاط

Digitized by Google

الضعف والقوة فيها، ثم يشرح دقائق البلاغة والبيان فيها. وهكذا الأمر بالنسبة للطلبة حين ينفردون فيما بينهم لغرض المباحثةِ وإقامة الدليل والبرهان، فيطرحون المسألة، ويشرحُ أحدهم ما فهم منها، مع تبيان نقاط الضعفِ والقوةِ فيها، ويشير إلى دقائق البلاغة والبيان وغير ذلك، مثلما فعل أستاذُهُ... وبذا يصبح لدى الطالب ملكةٌ في موارد البحث.

أمّا بالنسبة لأسلوب درس بحث الخارج (المرحلة العليا والنهائية) في الفقه والأصول، فهو بنفس أسلوب المدرسة الإسكندرانية القديمة أي: إنّ الأساتذة والمجتهدين ينتخبون متناً لأحد الكتب الفقهية أو الأصولية، أثناء درس الفقه، أو الأصول، وحسب ذوقهم، ثمّ يشرعون ـ وبدون مراجعة الكتاب أو الاستفادة منه ـ إلى ذكر سلسلةٍ من الروايات، والأحاديث، وأقوال المتقدمين والمتأخرين، استناداً إلى ما حفظوا في أذهانهم، وفي بعض الأحيان، يطرحون آراء علماء المذاهب الأربعةِ العامةِ: الحنفي، والحنبلي، والشافعي، والمالكي.

ثم يتطرّقون إلى علة صحة آراء الشيعة، وحسن آرائهم في المسائل المختلف عليها، وموارد الإيجاب والسّلب فيها، وبعد هذا وذاك يخرجون نتيجة مداولاتهم وبحثهم وآرائهم مع الأدلّة.

ولأن مجتهدي ومدرسي بحث الخارج، في هذه المرحلة، لا يراجعون الكتاب، ولا يستخدمونه أثناء تدريسهم، فهم يعملون بما تجود عليهم به حافظتُهم، ليقدموه إلى طلابهم.

لذا عرفت هذه المرحلة بمرحلة بحث الخارج، وبذا نرى

Digitized by Google

أن أكثر الطلبةِ يرجعون إلى مظان البحث الذي طرحه الأستاذ، فيراجعونه في الكتبِ، ثمَّ يشرعون فيما بينهم بالبحث والتحقيق، ليُثيروا مسألةً يراجعون فيها الأستاذ مجدداً في أقرب فرصةٍ متاحة، لكي يوضحها لهم، وما كتبوه من مسائل أثناء بحثهم، يطلق عليها اسم تقريرات.

تحوّل أسلوب التدريس:

إن أسلوب التدريس في الحوزات الشيعية، قد يختلف حسب المناطق، وحسب الأدوار التاريخية، وعليه فإنّ هذه الفروق جديرة بالذكر...

ففي عصر الأئمة المعصومينﷺ، اقتصر الأسلوب على نقل وسماع الحديث فقط، وإذا ما شاهدنا الدروس والبحوث العلمية الأخرى، ابتداءً من القرن الرابع وما بعده لرأينا كنوزاً من التحقيقات والإبداع المبتكر الخلاّب، منها تنسيق أبواب الفقه على يد شيخ الطائفة الطوسي (م٤٦٠هـ)، وبعده الشيخ (عماد الدين الطوسي) المعروف بابن حمزة (ز٥٦٠هـ)، الذي ألّف كتاب الوسيلة، حيث يعدُّ من المتغيرات الكبرى، في تاريخ المسيرة التكاملية للفقه الشيعي، وهي المرة الأولى، التي يبدعُ فيها مؤلفٌ ابتكاراً جديداً في تنظيم أبواب الفقه، وإيراد كل باب في محلّ خاصٍ به.

وبالنتيجة فإنَّ أسلوب التدريس تحرّك تدريجياً إلى حيث التكامل، ليصبح في كلّ علم من علوم الفقه، والأصول، والكلام، والمنطق، والفلسفة، والعرفان، وكل كتابٍ منفصل عن

Digitized by Google

الكتب الأخرى، وذلك بواسطة علماء التأليف، ليصل الكتابُ تدريجياً إلى الكمال، ثم ليكون قابلاً للتدريس في الحوزات!...

مراحل التدريس في الحوزة:

لقد تغير أسلوبُ التدريس في الحوزة بمرور الزمان، وحتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

فقد كان الطالب يرد إلى مكتب الدرس (الملالي)، وبعد التعرّف على الحروف، يتعلّم كيفية قراءة القرآن الكريم، ليعلموه بعد ذلك وباختصار، مقدمات الصرف والنحو، وما شابه وشاكل ثمّ بعد ذلك يحث الخُطى إلى الحوزة القديمة.

ولكن بعد افتتاح المدارس الجديدة، وانقراض مكاتب التعليم (الملالي) ترى أن الطالب بعد إكمال المرحلة المتوسطة (الأولى أو الثانية)، يلتحق بالحوزة لدراسة المراحل الثلاث، من المقدمّات والسطوح وبحث الخارج.

دورة المقدمات:

في هذه الدورة ينشغل الطلبة بتحصيل علم الصرف والنحو، والبلاغة، في حدود معينة، والمنطق، واللغة، والأدب العربي؛ فدورة المقدمات لا تحدد بمدة زمنية ثابتةٍ، باعتبار أنّ بعض الطلبة الأذكياء، يمكن أن ينهوها في مدّة عامين، وبعضهم الآخر، يستمر في التعليم من سنتين إلى أربع سنوات، لكي ينهي دورة المقدمات هذه.

Digitized by Google

دورة السطوح:

وتنقسم هذه المرحلة إلى قسمين:

سطوح الفقه، والسطوح العليا الشاملة لأجزاءٍ من الفقه والأصول، ومقدمات فلسفية، والفلك، والنجوم وتفسير القرآن، وغير ذلك.

أمّا المدة الزمنية لهذه الدورة فهي في حدود الأربع إلى خمس سنوات.

دورة بحث الخارج:

في هذه الدورة يتم تدريس الفقه والأصول، على مستوًى عالٍ، حيث يكون الأستاذ حافظاً لدرسه ومعتمداً على حافظته في نقل الروايات، والأحاديث ودون الإمساك بأي كتاب، أثناء إلقاء الدرس، الأمر الذي جعل اسم هذه الدورة... هو بحث الخارج؛ والطالب في هذه المرحلة يحاول إكمال ما تعلمه في دورة السطوح، والدورة العليا للسطوح، وهذا يتعلّق بمتابعات الطالب نفسه، وبطريقة تفكيره.

فقد يبحث الطالب في أقسام بحث الخارج، ويحقق بها، فإن تمكن من الفلسفة والعرفان، وسائر الدروس الأخرى، استطاع في بعض أوقاته من ممارسة التأليف والتدريس.

فالطلاب المتقدمون، يحاولون جهد إمكانهم، تطبيق تقريرات الأستاذ مع المصادر الموجودة لديهم، ويحققوا فيها تحقيقا كاملاً، ثمّ يحرروا ما يرونه مناسباً، ليقدموه إلى الأستاذ ليكتسبوا تأييده بإمضاء منه بعد مراجعته.

Digitized by Google

أما المدة الزمنية، التي يمكن فيها إنهاء هذه الدورة، فما بين ثمان إلى عشر سنوات، بناء على استعداد الطالب وتقبله للدروس، فضلاً عن تبحر الأستاذ العميق، في هذه الدورة.

أمّا مدة الحصة الواحدة فتكون ما بين الساعة والساعتين، كما أن بعض الطلبة يحاولون الحضور في حلقات دروس لعددٍ من الأساتذة، وبذا يصبحون في هذه المرحلة، ذوي استعدادات مختلفة، تدفع بهم إلى الأمام في حوزاتهم، ليبلغوا درجة الاجتهاد، وهي آخر مراحل التكامل في العلوم الحوزوية، لينالوا بعدها من أساتذتهم الرخصةَ أو الإجازةَ على ما يصطلح عليها.

إنّ بعض هذه الإمضاءات أو الإجازات، لها آثار قيمةٌ علمية وأدبية، فأساتذة الحوزة قد كتبوها لطلابهم الممتازين، لتبقى لهم ذكرى من القرون السالفة في عالم اليوم.

الدورة الثانية لبحث الخارج:

تعتبر هذه الدورة هي المرحلة العليا النهائية في الحوزة، وهي دورة إكمال المطالعة واستيعاب الطلاب لعلم الأصول والفقه الاستدلالي والمباحث الدقيقة وما يتفرع منها، وأشهر الآثار التي يدرسها الأساتذة ويطالعها الطلاب في هذه المرحلة الدراسية هي:

قوانين الحكمة في الأصول للميرزا (أبو القاسم القمي) وحواشيها للسيد (علي القزويني) المعروفة بحاشية القوانين.

ضوابط الأصول للسيد إبراهيم الموسوي القزويني المعروف

Digitized by Google

بصاحب الضوابط، وكذا الفقه حيث طرح آراء، وأقوال العلماء المتأخرين مثل: الشيخ مرتضى الأنصاري، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والميرزا حسن النّائيني، وآقا ضياء العراقي وأمثالهم من الذين يطرح الأساتذة نظريّاتهم واستدلالاتهم، هذا بالإضافة إلى الإدراك والاعتقاد الصحيح اللذين يطرحهما الأستاذ في بحثه واستدلاله.

كتب الشيخ جعفر آل محبوبة، حول دروس بحث الخارج وكتبه الدراسية:

«إنها حلقة ومحفلٌ موسع، يجتمع فيه المئات وربّما أكثر من ألف طالب بحسب اقتدار وقدرة بيان وحسن تفهيم الأستاذ لمن حوله، وإنّ إقامة هكذا حلقات دراسية في هذه المرحلة لا يحتاج الأستاذ معها إلى كتاب خاص، بل يستخرج وبحسب قدرته على الاستنباط، وإحاطته بالعلوم بعد الجهد الجهيد، وسهر الليالي، يستخرج الطالب المواضيع التي ينبغي أن يتطرق إليها في درسه من الكتب المختلفة؛ وبعد طرح الزائد وقشره جانباً يعيد الأستاذ إلى الأذهان لبَّ المواضيع، ليشرع بالبحث والدّرس الحقيقي وتسمّى هذه الدورة بدرس بحث الخارج.

ولا يخفى على أحد بأنّ الفاضل الذكيَّ، يتميز عن الآخرين، وسائر الطلبة أثناء بحثهم فيما بينهم، وأن قدرة الاستنباط والملكةَ، تظهر جليةً عليه»[1].

أما مدة التحصيل العلمي في كل من مرحلتي بحث الخارج

(١) ماضي النجف وحاضرها: ٣٧٩.

Digitized by Google

يصل إلى ما بين ثماني إلى عشر سنوات، وكل درسٍ مدتُهُ من ساعة إلى ساعة ونصف، وطلبة العلوم الدينية على الأغلب لا يخضعون إلى أكثر من دورة واحدة، في دروس بحث الخارج وبحسب سعي الطالب وذكائه ينال بعضهم مقام الاجتهاد الشامخ.

إلا أنّ بعض الطلبة، يشارك في عدّة دورات من دروس بحث الخارج، لكنهُ لا يصل أبداً إلى مقام الاجتهاد، وغالباً ما ينشغل هكذا أفراد بفَنّ الخطابة، وإمامة مسجد المدن أو قراهم.

ولم يكن لدرس بحث الخارج يوماً حدودٌ ولا امتحانٌ، فجميع الطلبة يمكنُهم الالتحاق بالحلقة التدريسية، بدون شرط، أو سؤال وجواب، (باستثناء قليل من الحوزات التي أصبح لها قوانين خاصّة وامتحانات متعلقة بها) وكيفية التدريس في حوزات بحث الخارج، والكتب التدريسية لهذه الدّورة تختلف اختلافاً كبيراً مع المرحلتين التي سبقتها؛ وطيّ الفقه الشيعي، للأدوار المختلفة والقرون المتعددة، منذ عهد التّابعين، وعصر الصادقين عليهم السلام فبالسعي الموفق استطاع الآلاف من الفقهاء الممتازين الشيعة الوصول إلى حدّ قريب من الكمال، فلا كمال إلاّ لله وحدَه سبحانه.

إن البحث في تبيان الأدوار المختلفة للفقه المتكامل الحالي، خارجٌ عن موضوع هذا المقال، والخلاصة تكمن في أنّ حوزة الشيعة العُليا... منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولغايةِ عصر الغيبة الصغرى اكتفت على الأكثر بالاستماع إلى الأحاديث، وقليلاً ما شاهدنا فقهاً اجتهادياً استدلالياً في تلك الحقبة الزمنية.

Digitized by Google

ومع القرن الخامس الهجري، وازدهار حوزات بغداد في عصر (آل بويه) (٣٢١ ـ ٤٤٨هـ) بانَ الفرقُ رويداً رويداً في نهج وأسلوب التدريس، في الحوزات الشيعية العليا، وخاصة في زمن شيخ الطائفة أبي جعفر ـ محمد الطوسي (م٤٦٠هـ)، حيث طرح أسساً جديدةً في الفقه الشيعي، بل وضع الحجر الأساس العصري لفقه الإماميّة، بأسلوب مختلف اختلافاً كلياً عن الذين سبقوه، فهو بعد تأليفه كتابيه التهذيب والاستبصار ألّفَ كتابين آخرين باسم المبسوط والخلاف في الأحكام، وهي من أفضل كتب الفقه التطبيقي الشامل لحدود سبعين كتاب، حيث لخّص ونسّق فيهما جميع أبواب الفقه إلى أقصى ما يكون، وعمل أيضاً على تقسيم المسائل وأكثر الفروع بالرغم من إدخال المؤلف بعض المفاهيم غير الشيعيّة، إلا أنه أحدث ظاهرة جديدة وشاملة في فقه الإمامية ومسيرة تكامله، ليترك ميراثاً نفيساً للحوزات العليا، وبذلك وجدت المدرسة الفقهية للشيخ (الطوسي) ترنيمةً رفيعة وسامية.

وفي القرن السادس الهجري، ازدهرت الحوزة العلميّة في كربلاء، بزعامةِ ابن حمزة الطوسي (م٥٧٥هـ)، الذي رتّب أبواب الفقه في كتابيه الوسيلة والواسطة[1]، بشكلٍ لم نَرَ مثله مطلقاً في آثار السابقين، وفي القيمة العلمية لكتاب الوسيلة.

إذ يكفيهِ أن مؤيد الدين ابن العلقمي (م٦٥٦) وزير (المستعصم بالله) آخر خلفاء بني العباس، قد أشار في رسالته إلى

(١) دائرة المعارف الشيعيّة: ١/ ٦١م.

Digitized by Google

(تاج الدين بن صلايا) إلى كتاب الوسيلة، من بين جميع الكتب الفقهيّة الشيعية التي جاء فيها:

(لا بُدّ من الشنيعة بعد قتل جميع الشيعة، ومن إحراق كتاب الوسيلة...)[1]، فَمِنْ هذه الرسالة، يمكن أن نتعرّف على مقدار الأهمية والشهرة التي حظي بها هذا الكتاب.

وبعد احتلال بغداد، وازدهار الحوزة العلمية في الحلّة، أضيفت جملةٌ من الكتب التدريسية، والآثار المهمة الفقهية إلى الدورة العليا للحوزات منها:

شرائع الإسلام، والمختصر النافع، ونكت النّهاية، والمعتبر، إلى جانب كتبٌ أخرى مثل: قواعد الأحكام، وإرشاد الأذهان، ومختلف الشّيعة، وتذكرة الفقهاء، وتلخيص المرام، ونهاية الأحكام!..

وقبل التّسلط الكامل لمدرسة أهل الحديث، أو الاخبارية، على الحوزات الشيعية، كان لمدرسة قزوين خبايا مليئة ليس لها نظير، تحوي أسساً متينةً، واستدلالاتٍ قويةً في جميع البحوث والمناقشات الفقهية وذلك نتيجةً لورود آثار جديدةٍ على المدارس والحوزات العلمية في قزوين، منها:

جامع المقاصد، تأليف المحقّق الكركي، ومنهج السّداد... لعبد العالي الكركي، والحبل المتين، للشيخ البهائي، وغيرها ممّا لم يشاهد قبل ذلك من استدلالات فقهية عميقة ودقيقة

---

(١) طبقات الشافعية: ٢٦٥/.

Digitized by Google

في تلك المدارس والحوزات على هذا النحو.

وبعد سقوط اصفهان، على يَدِ الجماعات الأفغانية، وانحلال حوزتها العلميّة (إحدى الجامعات العالمية الكبرى)، استطاع الوحيد البَهْبَهاني آقا محمد باقر (م١٢٠٥هـ) في (١١٣٥هـ)، من إنهاء مرحلة أهل الحديث أو الاخباريّة، من حوزة كربلاء، بعد تسلطهم المطلق لما يقارب القرنين على الحوزات الشيعيّة، وذلك بنبوغه الخاص وفكره العميق؛ ووضع مدرسة أهل العقل، وأصحاب الاجتهاد مكان مدرسة أهل الحديث.

ونتيجةً لتلك الظروف، فقد تغيّر أسلوب التدريس في الحوزات العلمية الشيعية في جميع أرجاء العالم، وخاصّةً في الحوزات الأم للعتبات المقدسة في العراق، وإيران، وعندها ولأوّل مرة، وضع الفقهُ الموسوعي (نموذج لدائرة المعارف) في جميع أبعاده، وآخر تحوّلاته الأساسية، وتغييراته الكليّة في النظام الحقوقي، وهو الذي يطلق عليه اليوم اسم الفقه الشيعي.

إنّ بروز ظاهرة المدرسة الجديدة، وإيجاد تحقيقات عميقة وقويّة مع كثير من الابتكارات بواسطة المدرسة الأصولية، وأصحاب الاجتهاد، في جميع أبواب الفقهِ والأصول، والبحوث المتفرعة عنها، اتخذت الحوزة قالباً راسخاً وهي لا تزال محافظةً عليه، وعلى شكله الخاص، حتى عصرنا الحاضر.

Digitized by Google

الاختبارات والامتحانات في الحوزات العلميّة:

لا توجد امتحاناتٌ في الحوزات العلمية الشيعية، كالتي تجري في المدارس والجامعات الحديثة، كما لا توجد دورات اختبار، ولا إعطاء مؤهّل دراسي علمي مصدق في كلّ عام.

ومع ذلك فإن فترة مرجعيّة آية الله البروجردي (م١٣٨٠هـ)، كانَ قد عمل بنظام الامتحانات للحوزات العلميّة، في كل شهر لتقييم ميزان المسؤولية الذي تنوء به الحوزة، وخاصة لطلاب العلوم الدينية الذين يتسلمون حقوقاً شرعيّةً، ومعاشاتٍ في أوّل كل شهر.

إلاّ أنه لم يكن هناك مؤهلٌ مصدّق، أو شهادة رسميّة تعطى لطلاب الحوزة العلميّة.

وبعد مرور مدة زمنية على الثورة الإسلامية في إيران، شرّع قانون ينصُّ على أن دورة المقدمات، تعادل شهادة الثانوية العامة، ودورة السطوح تعادل شهادة البكالوريوس ذي الثلاث سنوات، والدورة الكاملة للفقه والأصول تعادل الدكتوراه، وتمنحُ حوزة قُم مؤهل التخرُّج المتعلق بهذا الأمر، إلاّ أن سائر الحوزات الشيعية في جميع أرجاء العالم، لا زالت تعمل وفق الطريقة القديمة التي ذكرناها. وغنيٌّ عن البيان، أن الحوزات الأخرى الشيعية عديمة الالتزام، فكلُّ فردٍ من أفرادها متروكٌ لشأنه، فلا فرق بين الطالب المجدّ، والطالب الذي قضى عمره في الحوزة متهاوناً في دروسه، فالطالبان في مستوى واحد.

إننا نُقرُّ بأن للحوزات طرقاً وأساليب مختلفةً في تقييم

Digitized by Google

الطلبة، وأنّها مستمرةٌ في عملها الجاد منذ أقدم الأزمنة، حتى عصرنا الحالي، فمن طرق التقييم:

الحضور المستمرُّ للطالب في حوزة الأستاذ، والبحث وإيراد الإشكالات على درسه، وإدراك الأستاذ لمعيار فهم واستعداد الطالب، وإيجاد العلاقات الودودة بين الطالب والأستاذ، وتوجيه الأساتذة لطلابهم بالشكل المطلوب، وتحرير بيانات وتقريرات الأستاذ من قبل الطالب، بعد إبداء ملاحظته على مصادر الدّرس، وبحث وتحقيق الطالب، في إشكالات المسائل، ومراجعة الأستاذ في ذلك، وتقديم التقارير التي يمكن من خلالها، لفت نظر الأستاذ إلى حجم المعلومات التي يمتلكها الطالب..

إنّ مؤلفات الطلبة، وسعيهم في تحقيق بعض إشكالات المسائل، ومحاولة لفت نظر الأستاذ إلى مقدار إدراك واستنباط الطلبة، وحجم مستوى المعلومات التي لديهم، وما شابه وشاكلَ، علاوة على السّعي الجدي، الذي يولّد حركةً مستمرةً في رفع السطح العلمي للطلاب، فإنّها بالنهاية تمكنُ الأستاذ من تشخيص قدرة فهم واستيعاب الطلبة، وحجم ومستوى معلوماتهم المحصلة، وبالنتيجة... يتأتى للأستاذ منح إجازة الاجتهاد، لهذا الطالب أو ذاك، تقديراً واعترافاً بما وصلَ إليه، من درجة عليا في العلم والفضل.

ولمنح إجازة الاجتهاد طريق آخر هو:

شهادة الشهود العدول، بأنّ الطالبَ المعنيَّ قد أكملَ الدورات الثلاث، بكل موفقية، وبلغ درجة الاجتهاد، وعليه يمكن للأستاذ منح إجازة الاجتهاد، لهذا الطالب.

Digitized by Google

الألقاب والعناوين الحوزويّة:

إن لطلاب العلوم الدينية في الحوزة ألقاباً تقييمية، تستخدم على أساس سني تحصيل الطالب وذكائه، وتتغير هذه الألقاب والعناوين، بمرور الزمان، وإن كتب الرجال وبعضاً من إجازات العلماء حملت إلينا بعض الألقاب والعناوين، وقد أعطى الأصحابُ والتابعين لعلماء الدين ألقاباً، ضبطت كالتالي:

ثِقَةٌ، عينٌ، جليلٌ، رفيع المنزلة، جليل القدر، شيخ الأصحاب، الرئيس الأقدمُ، نقيبُ العلماء، القاضي، قاضي القضاة!...

وأوّل من لقب بلقب آية الله هو الشيخ أبو منصور حسن الحلي (م٧٢٦هـ).

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ومنذ عصر الميرزا الأول السيّد محمد حسن ـ المجدّد الشيرازي (م١٣١٢هـ)، إلى عصرنا الحاضر، كانت الألقابُ الشائعة والمتداولة هي:

١ ـ الفاضل: وهو لقب من أنهى مرحلة المقدمات بموفقية.

٢ ـ ثِقَة الإسلام: وتطلق على الطلاب الذين أنهوا مرحلة السطوح في الفقهِ والأصول بموفقية، وهم مشغولون فعلاً في تدريس المقدمات.

٣ ـ حجّة الإسلام: وتطلق على الطلبةِ المشغولين بدورة بحث الخارج في الفقه والأصول، ويدرّسون في نفسِ الوقت دورة السطوح للطلاب الآخرين من هذه المرحلة.

Digitized by Google

٤ ـ حجة الإسلام والمسلمين: وهي من العناوين التفخيميّة، وتمنح للعلماء الذين أنهوا دورتي بحث الخارج، من الفقه والأصول، ونالوا درجة الاجتهاد.

٥ ـ آيةُ الله: وهي لقبٌ من العناوين التفخيميّة، التي تطلق على الحوزويين الذين هم من ذوي المقامات العالية الاجتهادية، من الذين لهم صلاحيّة الإفتاء والقيادة، بالإضافة إلى كونهم من الذين يشتغلون في إحدى الحوزات... بتدريس دورات بحث الخارج فقهاً وأصولاً، حتى ولو لم يتملك أحدهم رسالة عمليّة.

٦ ـ آية الله العظمى: وهي من الألقاب التفخيمية أيضاً، ويطلق على كل شخص يعتبره الشيعةُ والحوزويون في جميع أنحاء العالم، من المقامات العالية، من الدرجة الأولى ممن لهم رتبة اجتهاد وصلاحية الفتوى والقيادة، وأنّ الأمة أجمعتْ على مرجعيّتِهِ وتقليده، بالإضافة إلى امتلاكه لرسالة عمليّة، ويمارسُ التدريس في إحدى الحوزات العلمية الشيعية ـ الكبرى، مثل حوزة: قم، كربلاء، النجف.

فضلاً عن تدريسهِ لدورة بحث الخارج، ويتبنّى تربية الطلاب، والنّظارة على الحوزة[1].

المصادر الماديّة ونفقات الحوزات العلمية:

لم تكن الحوزات العلمية الشيعية يوماً مرتبطةً بحكومةٍ أو بدولة أو بحاكم، ولم تتبع الحوزات أفكار وعقائد وأساليب

(١) دائرة المعارف الشيعيّة: ١/ ٢٤٠.

Digitized by Google

الحكام، ولم تقبل الحوزات أيَّ عائد مادي، أو مصدر مالي يرتبط بأحد، وبناء على هذا الأساس... فإنّ الحوزة منذ تأسيسها، احتفظت باستقلالها المادي والمعنوي، بعيداً عن الانصياع للشخصيّات أو الحكومات، أو أيّة جهةٍ أخرى.

فطبيعة عمل، وأسلوب تعامل الحوزات، يقتضي ألاّ تكون تابعةً لصاحب أمرٍ ولا ممولٍ يفرض عليها قراراته، فيلزمها بالمصادر الماليّة، وما إلى ذلك!...

لقد طوت الحوزاتُ العلمية، سنيناً طوالاً، بدون قبض مادي أو معاشي، ملتزمة بإدارة نفسِها بالأسلوب القديم الذي التزمت به، إلاّ أنها بعد ذلك ـ وقد يكون هذا في أوائل القرن العاشر الهجري ـ شرعت بدفع الحقوق الشرعيّة، لطلاب وأساتذة العلوم الإسلامية.

إنَّ مخارج الحوزة الأوليّة، ومخارج إدارتها، غالباً ما تكون من النّذور... وما تنفقه الأمةُ، وهي لا تزال إلى يومنا، بهذه الكيفية، وخاصّة من الموقوفات أي ما يجود به الخيّرون، في سبيل إدارة ورونق المدارس العلمية القديمة، وهو مصدر كافٍ لتأمين مثل هذه المدارس.

أمّا المصدر الثاني، فهو من الخُمس، الذي تدفعه الأمّة الشيعيةُ إلى المراجع والمجتهدين، وذلك بفتوى يطلقها الفقهاء، لترتيب تطوّر، وتقدّم العلوم الإسلاميّة... قال تعالى في محكم كتابه:

Digitized by Google

﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾[1].

والخُمس هو على أرباح الأمّة، حيث يكون قسمٌ منه غَنَائم حرب، أو معادن، أو كنوز، أو من الأرباح السنويّة الخالصة المكدسة من العمل... أو من اختلاط أموال الحلال بأموال الحرام، إذ يتمُّ دفعها إلى المجتهدين وهي على قسمين:

ـ قسم منها يحسبُ ضمن سهم إمام الغائب (عجل الله فرجه) ويستخدم لحفظ الدين، ومن جملته دفع نفقات الحوزات خاصّة، وسواءٌ أكان ذلك الدفع على شكل رواتب للمدرسين، أم رواتب لطلاب العلوم الدينية.

وكذلك من أموال الزكاة، التي ألزم بها الحق ـ تبارك وتعالى ـ عباده في القرآن الكريم، حيث تجب على المسلمين، ولا يخفى على أحد بأنها أحدُ فروع الدين، يؤخذ منها قسمٌ معينٌ لإدارة الحوزة؟

ونشاهدُ اليومَ، وبكلّ وضوح، أنّ الحوزات العلمية، وبترتيب مدروس، يدار أمورها من خلال الأموال التي أشرنا إلى ذكرها ومصادرها!..

الكتب الدراسية في الحوزات:

إنّ الكتب الدراسية المتداولة في حوزات الشيعة، تتطور بمرور الزمان فلكلّ دورةٍ وزمانٍ، مجموعةٌ دراسية خاصة من الكتب، إلا أنَّ هذه الكتب ثبتت في النهاية في القرن الثالث عشر

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

Digitized by Google

للهجرة، فأصبحت في كلّ الحوزات على مستوى علمي واحد.

تنقسم الدراسةُ في الحوزات إلى ثلاث دوراتٍ:

مقدمات، وسطوح، وبحث خارجي، ففي دورة الطلاب للطلاب غير العرب: إيرانيين، ترك، هنود، أفغان، فإنهم يقرأون كتبهم باللغة الفارسية، إلاّ أنه في الوقت الحاضر أصبحت جميع الكتب باللغة العربية ويبقى طبيعيّاً جداً، أن يفضل الطالبُ ـ خاصة في مرحلة المقدمات ـ أستاذه من الناطقين بلغته الأم!...

تفصيل الكتب الدراسيّة في الفروع المختلفة:

إنّ أشهر مجموعة دراسية في علم الصرف والنحو، هو كتاب جامع المقدمات، فاسمهُ يدلّ عليه، وهو يشتمل على عدّة كتب باللغة الفارسية والعربيّة.

وفي علم الصرف، يدرسون كتاباً من تأليف مير سيد شريف الجرجاني (٨١٦هـ). وفي التصريف، كتاب عزالدين إبراهيم الزنجاني (٦٥٥هـ)، وشرح التصريف للتفتازاني (٧٩١هـ)، وفي علم النّحو، تأليف الميرزا محمد سليمان التنكابني، والهداية، تأليف عبد الجليل بن فيروز القزويني، ويعرف بعضهم بأنّ هذا المؤلف، مأخوذٌ أصلاً عن كتاب ابن حيان الأندلسي، الفوائد الصمدية، تأليف الشيخ البهائي (١٠٣١هـ)، وقد كتبه لابن أخيه عبد الصمد، مقالة نموذجية، من تأليف الزمخشري (٥٣٨هـ) وشرح النموذج لمحمد عبد الغني الأردبيلي.

وإلى جانب جامع المقدمات، توجد مجموعة أخرى من

Digitized by Google

الكتب المتداولة في الصرف، وهي عبارة عن: شرح (النّظام)، وعلى متنه كتاب الشافية، لابن الحاجب (م٦٤٦هـ)، وشرحه لنظام الدين الأعرج النيشابوري، وشرحِهِ الآخر لرضي الدين الأستر آبادي المعروف بشرح (الرضي).

وهناك في علم النحو، كتبٌ معروفة ومهمة هي:

الكافية (لابن الحاجب)، وشرح (رضي الدين آستر أبادي) الذي كتبه في (٦٨٣هـ)، المسمى الفوائد الضيائية، وشرح الجّامي المشهور بين الطلاب، وهو أفضل كتاب متداولٍ في الدرس والبحث، وشرح (السيوطي) المسمى البهجة المرضية، وهو متداولٌ بين الطلاب الشيعة.

وختاماً الكتاب المشهور المعتبر تذكرة مغني اللبيب لابن هشام (م٧٦٢هـ)، أمّا في علوم المعاني والبيان والبديع، فالمشهور بين الطلاب كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني (م٧٣٩هـ)، وهو ملخص لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي (م٦٢٦هـ)، وشرح هذه الخلاصة معروفٌ بكتاب المطوّل، وشارحه العلامة (التفتازاني).

إنّ فهمَ واستيعاب اللغة العربية، شرطٌ لازمٌ لدراسة الفقه والأصول، إلاّ أنَّ الطلاب، ولفهم البحوث الأصولية، يحتاجون إلى تعلم علم المنطق، وفي المرحلة النهائية يُلمّون بالحكمة والفلسفة، و (للجرجاني) رسالة في المنطق باللغة الفارسيّة وهي مدرجةٌ في جامع المقدمات، ويدرس الطلبة بعد المنطق، حاشيةَ الملا (عبد الله) يقرأونَها أو تقرأ لهم، ومتن هذا الكتاب هو

Digitized by Google

تهذيب المنطق (للتفتازاني) وشرحه للملاّ عبد الله اليزدي الشهبادي (م٩٨١هـ)، وشرح الشمسيّة لقطب الدين الرازي (م٧٦٦هـ)، ومتنه للكاتب (القزويني المعاصر الخواجه نصر الدين الطوسي) و (لقطب الرّازي) شرح أيضاً في مطالع الأنوار (لسراج الدين الأزموي) وهو أفضل كتاب في المنطق، كتب وتداول بين الطلاب، وشرح منظومة المنطق للحاج الملاّ هادي السبزواري (م١٢٨٩هـ)، وهو متداول أيضاً في الحوزات الشيعية.

وفي الحكمة والكلام كتب متداولة، في حوزات الشيعة وهي عبارة عن:

شرح المنظومة للملاّ هادي السبزواري، شرح التجديد ومتنه للخواجه نصر الدين الطوسي، وأول شرح له كان للعلامة الحلّي (م٧١٦هـ)، إلاّ أن الشرح المتداول بين الطلاب هو شرح القوشجي (م٧٨٩هـ)، وآخر هو شرح اللاهيجي (م١٠٨١هـ) باسم شوارق الإلهام، وفي الماضي، شرح الهداية ومتنه لأثير الدين الأبهري (م٦٠٦هـ)، وشروحه للقاضي (الميبدي الاسترابادي)، وكان متداولاً، إلا أنّ شرح الهداية للملاّ (صدرا) هو المتداول في المراحل النهائية، في حوزات درس العرفان، وكذلك كتاب التمهيد لابن تركه (م٨٣٥هـ)، وفصوص الحكم لابن عربي (م٦٣٨هـ)، وشروحه المتعدّدة والمختلفة، وفي الختام... مفتاح الغيب لصدر الدين قونوي (م٦٧٢هـ) وشرحه للفناري (م٨٣٤هـ) باسم مصباح الأنس.

لقد كان تحصيلُ العلوم المختلفة متداولاً بين الطلاب، مثل علم الرياضيات، والفلك، والطب، وتعدُّ الحوزات أيضاً مركزاً

Digitized by Google

لتدريس العلوم الدقيقة، ففي علم الطب كان شرحه (النفيسي) يقرأ للطلبة، ومتنه لابن نفيس القرشي (م٦٨٧هـ) وشرحه لنفيس بن عوض الكرماني (م٨٤١هـ)، وتبعه شرح الأسباب لِنفسِ الشارح وأخيراً كتاب القانون (لابن سينا)، ومقدمات علم الطب، الذي كان الطلبة يتعلمونه من كتاب قانونجه جغيني (م٨١٥هـ)، وفي العلوم الرياضية، تحرير أصول إقليدس للخواجه (نصير الدين الطوسي)، وخلاصة الحساب للشيخ (البهائي)، وفي علم النجوم، رسالة بالفارسية في الفلك (للقوشجي) (مع شرح اللاري)، وشرح ملخص (للجغيني)، والتذكرة للخواجه (نصير الدين الطوسي).

كلُّ هذا كان يتعلّمه ويتدارسه الطلاب في الحوزات، وهو الآن غير متداول في الحوزات العلمية الشيعية، وعلى ما يبدو اعتبر في عداد المتروكات.

إلاّ أن جميع الكتب التي ذكرناها، طبعت مرات عديدة، وكانت تدرس في الحوزات العلميّة الشيعية، في مراحل المقدمات، والسطوح وبحث الخارج والعالي.

إنّ علم الفقه هو استنباط الفروع الشرعية من الأصول الكليّة: الكتاب، السنة، العقل، الإجماع.

وينبغي أن يكون قبل كلّ شيءٍ مبني وموافق للسنة والحديث، والكتب المهمة لجوامع الحديث، التي هي مستمسكات الأحكام الفقهيّة، وهي عبارة عن: الأصول الأربعة، الكافي للكليني (م٣٢٩هـ)، من لا يحضره الفقيه لابن بابويه (م٣٨١هـ)، وهناك كتب أحاديثيّة تأتي في المرتبةِ الثانية هي:

Digitized by Google

وسائل الشيعة للحرّ العاملي (م١٠٦٢هـ)، الوافي للملاّ محسن فيض الكاشاني (م١٠٩١هـ)، بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي (م١١١١هـ) ومستدرك الوسائل للميرزا محدّث نوري (م١٣٢٠هـ).

ومعرفة الحديث وأحوال المحدثين تتوفّر أيضاً في كتب، «الدراية» و «الرّجال»، وهي عبارة عن:

الوجيزة للشيخ البهائي، البداية للشهيد الثاني، وفي علم الرجال أيضاً... هناك كتبٌ قديمةٌ مثل رجال الكشي، والعيّاشي، والطوسي، وهي من كتب القرنين الرابع والخامس، ومنتهى المقال أيضاً (لأبي علي) في القرن الثالث عشر الهجري، وهناك العشرات من الكتب المهمّة والمعتبرة لم نذكرها توخياً للاختصار.

كتب الحوزة في علم الأصول والفقه:

يدرسُ الطلاب في الحوزات العلمية، كتباً وآثاراً قيمة وثمينة في الفقه، وأصول الفقه، نثبتُها هنا تبعاً لترتيب تاريخ التأليف، وهي عبارة عن:

١ ـ شرائع الإسلام: في مسائل الحلال والحرام، تأليف الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر الحلي (م٦٧٦هـ)، المعروف بالمحقق الحلي، وهو خال العلاّمة الحلّي، وهو كتاب جامع للمتون الفقهيّة، ومشتملٌ على جميع أصول وفروع المسائل، وتماه أبواب الفقه ابتداءً من الطهارة، وحتى الحدود والديات

Digitized by Google

ويحمل أكثر من أربعين شرحاً، لعلماء من الدرجة الأولى، وأنّ متن شرائع الإسلام وشروحه، يدرس في أغلب الحوزات العلمية الشيعية في العالم.

٢ ـ النافع في مختصر الشرائع: وهو من آثار المحقق الحلي مؤلف الشرائع أيضاً، وهو ملخّص لما جاء في متن الشرائع، وقد سمّاه بهذا الاسم، ويعدّ من أفضل المتون المختصرة، في فقه الإماميّة.

٣ ـ إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان: وهو معروف بالإرشاد، وهو من آثار الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن المعروف بالعلاّمة الحلي (م٧٦٢هـ)، ويشتمل هذا الأثر، على خمسة عشر ألف مسألة، في جميع أبواب الفقه، من الطّهارة إلى الديات، وقد كتبه. برجاء وطلب من ابنه فخر المحققين، وقد كتبتْ شروحٌ كثيرةٌ على الإرشاد، ضبط منها الشيخ (آقا بزرك الطهراني)، ستاً وثلاثين شرحاً[١]، والإرشاد في وقتنا الحالي متروك في الحوزات، فهو لا يدرّس ولا يستفاد منه.

٤ ـ تبصرة المتعلمين في أحكام الدين: وهو معروف بالتبصرة، من تأليف العلامة الحلي، وهو شامل لجميع أبواب الفقه، على طريقة الفتوى، وفي الذريعةِ: أنّ له سبعة وعشرون شرحاً[٢].

٥ ـ اللمعة الدّمشقيّة: من آثار الشيخ شمس الدين أبو عبد

---

(١) الذريعة: ١/ ٥٠١.

(٢) الذريعة: ٣/ ٣٢١.

Digitized by Google

الله محمد العاملي... المعروف بالشهيد الأول، استشهد قتلاً في ٧٨٦هـ، (رحمه الله)، كتب مؤلّفه هذا في السجن، بمدّة سبعة أيام، بالرغم من أنّه لم يتوفر لديه مصدرٌ يعتمد عليه غير (النافع في مختصر الشرائع)، وكتبت على هذا الأثر شروح مفصلة[1].

٦ ـ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية: أثر الشيخ زين الدين العاملي، المعروف بالشهيد الثاني، استشهد قتلاً أيضاً في ١٩٦٦هـ، يقع الكتاب في مجلدين، وقد شرح بنحو جميل، وتحقيق عميق، اللّمعة الدمشقية، ويعرفُ هذان المجلّدان، بشرح اللمعة، وهو من الكتب المهمة في دورة السطوح، في سائر الحوزات الشيعيّة في العالم.

٧ ـ معالم الدين في ملاذ المجتهدين (ويعرف بمعالم الأصول)، وهو من تأليف الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن العاملي (م١٠١١هـ)، وهو ابن الشهيد الثاني، في أصول الفقه.

إنّ هذا الأثر القيّم، في علم أصول الفقه، كان موضعَ استقبال جميع المدرسين والطلاب، في الحوزات الشيعية المختلفة، وقد كتبت عليه شروحٌ كثيرةٌ من قبل كبار علماءِ الإماميّة، وكان كتاب المعالم مشهوراً، ولا يزال من قبل الفاضلين، حتى نعتوا صاحبَهُ (بصاحب المعالم).

٨ ـ الوسائل: واسمه الأصلي، فرائد الأصول، وهو من تأليف الشيخ مرتضى الأنصاري (م١٢٨١هـ)، ويشتمل على خمس رسائل، في بحوث:

---

(١) الذريعة: ١٨/ ٣٥٢.

Digitized by Google

القطع، الظن، البراءة، الاستصحاب، التعادل والتراجيح الكلية في علم الأصول، وهو من الكتب المهمة في دورة السطوح.

٩ ـ المكاسب: أثر الشيخ مرتضى الأنصاري، المعروف بشيخ الفقهاء (م١٢٨١هـ) في أبحاث: البيع والتجارة في جميع أبعادها، ويعدّ أفضل كتاب في الفقه الاستدلالي، والاجتهادي، في الحوزات العلميّة الشيعيّة.

١٠ ـ كفاية الأصول: تأليف الآخوند الملاّ محمد كاظم الخراساني (م١٣٢٩هـ)، المعروف بصاحب الكفاية، ويقع في مجلدين: الأوّل منهما في بحث الألفاظ، والثاني في الأدلة العقلية.

١١ ـ أصول المظفّر: أثر الشيخ محمد رضا المظفر النجفي (م١٣٨٣هـ)، في علم الأصول والأثر الثاني (للمظفّر) في المنطق، وطلاب العلوم الدينية، دورة بحث الخارج، يعرفونه أكثر من غيرهم، في دروسهم في هذه المرحلة، وأصول الفقه والفلسفة، والمنطق، وينبغي للدارسين مطالعته وتعلّمه بمجلديه.

١٢ ـ أصول الصّدر: تأليف آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصّدر، (الشهيد ـ قتلاً في عام ١٤٠٠هـ)، وهو شامل لأبحاث سهلة من أوّل إلى آخر السطوح العالية، وهو مورد استفادة لجميع طلاّب العلوم الدينيّة.

لقد شرح الأساتذة في الحوزة العلمية، كتب دروس البحث لطلبتهم بدون مراجعة لمتن الكتاب أو لأثر من آثار الفقهاء

Digitized by Google

السابقين، لما لديهم من ملكة علميّة، وحافظة ذهنية، وممارسة علمية على مدى سنين، للبحوث التي يقررونها في الأصل والفرع، والمسائل المرتبطة بما تم بحثه، وغالباً ما يكون درس الأستاذ غير خال من مشاكل عسر الفهم، وغير خالٍ من الإشكالات بوجه عام، وذلك بسبب ما قد يغيب عن ذهنه.

وعليه فالأستاذ يطالع بجديّة كتب علماء السلف، حتى تكون له الهيمنة الكاملة في موقع الدّرس، وأن عد هذه الحالات كثيرٌ، وخارج عن موضوعنا.

وأهم الآثار التي يستخدمها الأساتذة بعنوان: كتب المطالعة ندرجها بترتيب تاريخ تأليفها وهي:

١ ـ الأسفار: تأليف محمد قوامي الشيرازي، صدر المتألهين، المعروف بالملاّ صدرا، (١٠٥٠هـ)، في الكلام والفلسفة.

٢ ـ معارج الأحكام في شرح مسالك الأفهام وشرائع الإسلام: تأليف السيد حسين القزويني المعروف بمير حسينا (١٢٠٨هـ)، وهو تقريرات في درس بحث الخارج.

٣ ـ فقه الملائكة: من آثار الشيخ الملاّ محمد الملائكة (م١٢٠٠هـ) وهو في اثني عشر مجلّداً.

٤ ـ مفتاح الكرامة: وهو من آثار السيد جواد العاملي النّجفي (م١٢٢٦هـ) وهو شرح على قواعد الأحكام للعلامة (الحلي).

Digitized by Google

٥ ـ رياض المسائل: تأليف السيد علي الطباطبائي اليحائري (م١٢٣١هـ).

٦ ـ منهج الاجتهاد: أثر الشهيد الثالث الشهيد قتلاً في ١٢٦٣هـ، وهو شرح على شرائع الإسلام في (٢٤) مجلداً.

٧ ـ دلائل الأحكام في شرح الإسلام، تأليف السيد إبراهيم الموسوي القزويني صاحب الضوابط (م١٢٦٢هـ).

٨ ـ جواهر الكلام، أثر الشيخ محمد حسن النّجفي (م١٢٦٢هـ)، وهو شرحٌ على شرائع الإسلام، للمحقق الحلّي في أربعين مجلداً طال تأليفُهُ مدّة أربعين سنة.

٩ ـ مجمع المسائل في شرح المختصر النّافع، تأليف الملاّ علي البرغاني، في اثْنيّ عشر مجلداً، بأسلوب الفقه الاستدلالي.

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزات العلميّة في المدن المختلفة
حوزة مكة المكرمة

حوزة مكّة المعظمة: شرعت هذه الحوزة منذ نزول الوحي على الرّسول الأكرمﷺ، في غار حراء، بالسورة المباركة «العلق» والآية الشريفة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، وبالبعثة النبويّة الشريفة وفيها كان النبيﷺ مأموراً بإبلاغ الوحي، وتعليم النّاس القرآن الكريم، وعلى مدى (١٣) سنة من البعثةِ إلى الهجرة.. نزل ما يقارب ثلثي القرآن الكريم، في مكة المكرّمة، وبحكم الآية الشريفة:

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

ولهذا السّبب ابتدأ الرسولﷺ بأقرب الناس إليه وهو (علي ابن أبي طالبعليه السلام)، وبسيّدة الإسلام (خديجة الكبرىعليها السلام)، حيث شرع معهما في تعليمهما القرآنَ الكريم.

لقد شكّلت حلقاتُ الدرس الإلهية في منزل (خديجةعليها السلام)،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

Digitized by Google

وشعب (أبي طالب)، وسوق عكاظ، والكعبة المكرّمة، واستمرّت لتشمل منزل الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي (م٥٥هـ)، ولم تكن هذه الحلقاتُ مرتبطةً بمجموعةٍ، أو شعبةٍ، أو عقيدةٍ خاصة، باستثناء ارتباطها بأوامر الإسلام العامة، وقد تمّت هذه الدروسُ في أول الأمر بشكل سرّي، بسبب العداوةِ الشديدةِ التي أبداها زعماءُ قريش مثل: (أبو سفيان، أبو لهب، أبو جهل) وأمثالُهم حيث كانوا يحاولون الوقوف أمام نشر أحكام القرآن، وإقامة التكاليف الإلهية.

ولكن بعد فَتح مكة، شكلت حلقاتٌ لنشر الأحكام القرآنية، وهداية النّاس من خلال الإجابة على أسئلتهم، وما لديهم من أمور مهمّة، في المسجد الحرام، وفي بعض نقاط مدينة مكة المكرّمة، حيث كان المعلمون يمارسون أعمالهم بحريّة، في تعليم الناس أمورَ دينهم، وأكثرهم يعدّون من روّاد مدرسة (علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام) و (ابن عباس) أيضاً.. فمنهم:

١ ـ أبو عبد الله عكرمة (٢٠ ـ ١٠٧هـ)، أبوه (عبد الله)، وهو من بربر المغرب العربي، كان غلاماً (لابن عباس)، وكان يجلس في منزل (ابن عباس)، لتعليم الناس وحَلّ مشكلاتهم الدينية.

كتب (ابن عساكر) في تاريخ دمشق (١٧ ـ ١٤٠) عن قول (قتادة):

«أعْلَمُ النّاسَ بالحلالِ والحرام: الحسنُ بن علي عليه السلام، وأعلمهم بالمناسك: عطاء بن رباح، وأعلمهم بالتفسير: عكرمة».

Digitized by Google

٢ ـ عطاء بن رباح ـ أبو محمد (م١١٤ أو ١١٥هـ)، إيراني الأصل، ومن تلامذة (ابن عباس)، عَدَّه الطوسي، وابن سعد، والذهبي في كتب الرجال من أصحاب عليعليه السلام، مفتي وشيخ الإسلام بمكّة، كان يجلس في المسجد الحرام، ويجتمع إليه عددٌ من طلاب العلوم الدينية، وبعض المسلمين، ليستمعوا إلى ما يطرح من أحاديث.

وقد جاء في سِير أعلام النبلاء ذِكْرُ ثمانين شخصاً من تلامذته، وقال سليمان رفيع:

«دخلتُ إلى المسجد الحرام، فرأيتُ الناسَ مجتمعةً من حول رجل، فسألتُ: مَن يكونُ الرجل؟. قالوا: عطاء بن رباح.

٣ ـ الإمام أبو محمد عمرو (٤٥ ـ ١٢٦هـ)، ابن دينار المكّي، وهو من الأئمة النابغين، ومن أصحاب... الإمام الباقرعليه السلام، هاجر من اليمن إلى الحجاز، وفي المسجد الحرام اختصّ به مسند الحديث والتدريس، وصفه الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٠٠)، بأنّه الإمام الكبير، وشيخ زمانه، وأورد الذهبيُّ أسماءَ (٢٣) شخصاً، من عظماء المحدثين، تتلمذوا على يده، ثم كتب يقول:

«كانت حوزةُ درس (أبي محمد عمرو) من أفضل وأكمل الحوزات الشيعية في المسجد الحرام، في ذلك العصر».

وإنّ الشيعة والسنة كانوا يشتركون في حلقاتِ درسه على السّواء، وقال فيه: أبو عماد الحنبلي، في شذرات الذّهب (١/ ١٧١):

Digitized by Google

«كان أبو محمد مهيمناً ومقتدراً جدّاً، في الفقه والعلم».

٤ ـ أبو الوليد عبد الملك (١٤٩/ ١٥١هـ) ابن عبد العزيز بن جرح المعروف بابن جريح، وهو من كبار فقهاء الشيعة، ومن أصحاب الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام، وعَدّه ابن سعد في الطبقة الرابعة من النّابغين في مكة، ووصفه في سِير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥)، بأنّه الإمام العلامة الحافظ، وشيخ المسجد الحرام، وقد أورد شرح حاله تفصيلاً، وكتبوا فيه فقالوا:

إنّه أول فرد شرَعَ في ترتيب علمه، وما حفظ، وأنه سمع الحديثَ عن (عكرمة) و (عطاء)، و (أبو محمد)، و (الطاووسي).

وكتب (الكشّي) في رجاله (٣٣٣):

«إنه كان من العامّة، إلا أنهُ أحبَّ أهلَ بيت العصمة عليهم السلام حُبّاً شديداً» وعَدّه الوحيد البهبهاني، في التعليقة الرجالية، من ثقاة رواة أحاديث الشيعة.

٥ ـ أبو خالد مسلم (١٠٠ ـ ١٨٠هـ) ابن خالد شيخ فقهاء مكّة، وقد تعلّم الكثيرُ من العلماء في حوزته، من جملتهم الإمام الشافعي، وعدّه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٤٩٩)، في رجال الطبقة الخامسة، من التّابعين، وذكره الشيخ الطوسي، في رجاله (٣٠٩)، بأنّه من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام وفي جملة رواة الحديث.

وكتب في العبر عنه: بأنّه كان عابداً فقيهاً يصوم الدهر.

Digitized by Google

ولقد استمرت حوزة مكة، بولاية (أبي قتادة الأنصاري)، وبعده (جارية بن قدامة التميمي)، في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام في مكة، إلاّ أنها وبعد استشهاد (علي عليه السلام)، في حكومة (معاوية)، قلَّ فيها التعلّم والتعليمُ، لما لاقى الأصحابُ والتابعون من ضغوط شديدةٍ عليهم.

وأثناء حكومة (الحجّاج بن يوسف الثقفي)، في العراق، لجأ أكثرُ الشيعةِ والأصحابِ إلى مكة، كانت تلك الأيام متزامنةً مع ولاية (عمر بن عبد العزيز) على مكّة، لذا استمرت الحوزات في تشكيلها والتزامها بالتعليم.

وبعد استشهاد (زيد بن علي بن الحسين عليه السلام)، وكذلك في عصر الإمام محمد الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام، أضحت مكةُ مجمعاً للمتحدّثين، وشيوخ الرواة، وعلماء الإمامية والزيدية (٥٦/ ١٤٨هـ).

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريْيَن، حينما كانت دولتا الفاطميين وآل بويه وآل أحمد، حاكمة، وجدت حوزات الإمامية، رونقاً كبيراً لها في مكة، حيث كان علماء الإمامية مثلُ أبي طالب أحمد بن علي (م ح٢٨٣هـ)، من أحفاد أصغر أبناء الإمام زين العابدين عليه السلام، وابنهُ السيد الحقيقي، صاحبَيْ كتاب «تاريخ الرجال وكتاب الرجال»، مِنَ المدرسين الكبار، في حوزة الإمامية، في مكّة المكرّمة.

وقد برز من زعماء العلماء والمحدثين، في مكة آنذاك أفرادٌ مثل عتبة بن عبد الله الحمصي والشيخ أبو الحسن علي بن مندة

Digitized by Google

(٣٨٠هـ)، الذي نقل الكثير من أحاديث الأئمةِ الاثني عشر.

وقد ضبط اسمه في كتاب (كفاية الأثر) في النّصّ على الأئمة الاثني عشر.

وما أن انتهى بناء المنزل الكبير لأبي منصور خمارتاش بن عبد الله القزويني بين (٤٩٥ إلى ٥٠٠) حتى عاد هذا المنزل وقفاً (للحجاج بن يوسف الثقفي)، بَعدَ أن كان مركزاً من المراكز الثقافية (لأهل البيت عليهم السلام) في مكة.

ومن علماء الاخباريّة والأصولية الإمامية، في العصر الصفوي أيضاً محمد أمين الاسترابادي (م١٠٣٣هـ) والملاّ خليلا القزويني (م١٠٨٩هـ) وكان السيد نصر الدين الموسوي الحائري في عصر (نادر شاه أفشار) يقيم المراكزَ العلميّةَ، الواحدَ تلو الآخر، في مكة المكرمة، علاوة على إدارته للحوزة الإمامية فيها وقد استشهد الشيخ البرغاني الحائري، على أثر ضرباتٍ شديدة، من أحد المعاندين في المدينة، ليدفن في قبور البقيع عام (١٢٨١هـ).

Digitized by Google

حوزة المدينة المنورة

لقد تمَّ بناءُ مسجد الرسول الأعظمﷺ بشكل متزامن مع هجرتهﷺ في السنة الأولى، ليكون أوّل مركز ثقافي تعليمي وتربوي، في التاريخ الإسلامي، وكان زعيم هذه الحوزة، وأوّل معلم فيها هو شخص الرسول الأكرم محمد المصطفىﷺ، وذلك وباستمرار نزول الوحي في المدينةِ، ونزول سورة أو آية، أو قسم من سورة، فيجب على الرسولﷺ تلاوتها للخاص والعام، ومن ثم تفسيرها وتأويلها في المسجد، الذي يضمُّ بعضَ المتعلمين أيضاً، وهم الذين سُموا (كتّابَ الوحي)، الذين كان عليهم أن يكتبوا الآية والسورة بكلّ طريقة!.

كان الرسول الأكرمﷺ، في هذا المسجد الشريف، وفي هذه الحقبة الزمنية، يدعو الناسَ إلى عبادة الله، والمسلمين إلى القراءة والكتابة، وتهيئة وسائلها، علاوةً على حفظ وقراءة الآيات القرآنية، ناهيك عن تشويق المتعلمين منهم بتعليم غيرهم، ليصبح الجميع يقرءون ويكتبون.

وبهذا الشكل بدأت حوزة المدينة بدراسة القرآن الكريم، وبواسطة أوّل معلم لهذه المدرسة، التي استمرت على ما هي عليه

Digitized by Google

في حياة الرسول ﷺ. ثم تبنّى الصحابة هذه الاستمرارية.

كان الطالب الأول في هذه المدرسة، وزعيمُ هذا الصراط المستقيم، هو ابن عم النبي ﷺ، (علي بن أبي طالب عليه السلام). وصهره، ففيه أورد الشيخ المفيد بسنده نقلاً عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال: «علي وشيعته هم الفائزون».

وما أن رحل الرسول ﷺ، إلى الرفيق الأعلى في جنّة النعيم، حتى انقسمت الأمة الإسلامية إلى قسمين:

قسم يؤيدُ الإمامةَ، وآخر يُؤيد الخلافة، وقد رفض حواريو النبي ﷺ أمثال: عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وأبو ذر الغفاري، وجابر الأنصاري، وعبد الله بن عباس وأمثالهم، رفضوا الخلافة، والتزموا خطّ الولاية المطابق لنص الوصاية، وأحاديث الغدير ومنزلة الثقلين، وغير ذلك.

وعليه فقد استمر علي بن أبي طالب عليه السلام، وأصحابُهُ الأوفياءُ كالسابق ـ كما كانوا في حياة رسول الله ﷺ ـ، استمرّوا على تعليم القرآن، ونشر أحكام الدين، وتفسير الآيات الإلهية، وتدريس وتربية المسلمين، حتى لم تمض فترة طويلة، ليصبح مسجد النبي ﷺ حوزةً كبرى، تدرّسُ العلومَ الدينيّة والقرآنية.. بسعي حثيثٍ وجادٍّ، من (علي عليه السلام) وأصحابه.

كانت رواية الحديث هي إحدى المسائل المهمّة، بحيث صارت فرعاً من هذه العلوم، وقد شُرّع المنع عام خلافةِ أبي بكر ابن أبي قحافة، إلا أنها رغم ذلك استمرت على ذلك النّحو.

Digitized by Google

وقد نقل الذهبي عن الحاكم بسند متصل بعائشة أنّها قالت:

«دوّن أبي خمسمائة حديث عن رسول الله ﷺ وخبأها عندي، إلى أن طلبها يوماً ثم طلب ناراً ليحرقها جميعاً[1]، وقد استمرّ هذا الخطر حتى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩هـ) فهو الذي أمر برفع المنع عنها، إلا أن آخرين استمروا بالمنع حتى عصر بني العباس.

بينما بقي علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه وشيعته يروون الحديث سرّاً وعلانيةً ولا تزال إلى الآن آثار روايتهم قائمةً عند المسلمين، وهي حاوية على تمام التعاليم والعلوم الإلهية.

وكانت فاطمة البتول عليها السلام ابنةُ رسول الله ﷺ، في طليعة الأفراد الفاعلين في حوزة الإمامة، في المدينة حيث قامت فاطمة الزهراء سيدةُ نساء العالمين، بنشر انحرافات الخلافة، بنقل أحاديث الرسول ﷺ، مباشرة إلى المؤمنين، حين كانت تتردد سراً وعلانيةً على المهاجرين والأنصار، لافهامهم حقائق القضايا، ولاطلاعهم على مَظَانّ الأمور.

لقد استمرت نشاطات حوزة المدينة العلمية بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام والحسنين عليهما السلام في تعليم وتربية الأصحاب والأعوان، وهداية المسلمين، حتى تصل إلى حياة عثمان بعدَما اضطر أمير المؤمنين عليه السلام إلى ترك المدينة متجهاً صوب البصرة، ومن ثم إلى الكوفة، بعد مقتل عثمان (٣٥هـ) ووصوله عليه السلام إلى الخلافة، رغم الفتنة التي أثارها دعاةُ الحقد.

---

(١) تذكرة الحفّاظ: ١٢/٥.

Digitized by Google

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، ورجوع الحسنين عليهما السلام إلى المدينة، بدأت حوزةُ مسجد النبي صلى الله عليه وآله نشاطاً وفاعليةً جديدين، فقد أخذا على عاتقهما تدريس علم الحديث، وأحكام الدين في مسجد جدّهما بشكلٍ خاصٍ بهما عليهما السلام، ويقول الشيخ الطوسي:

إنّ واحداً وأربعين شخصاً من أصحاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كانوا يحضرون درسه في ذلك المسجد.

ويذكرُ أسماءهم، وأما أصحاب الإمام الحسين أبي عبد الله سيد الشهداء، فهم ألف شخص استشهد قسمٌ منهم في طف كربلاء، ففازوا فوزاً عظيماً.

وبعد رجوع الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، من واقعة الطفّ، إلى المدينة (٦١هـ)، اجتمع حشدٌ كبيرٌ من عشاق الفضيلة وطلاّب العلم حوله، لينهلوا من علومه الرفيعة وتعليماته السّامية، فوصل عدد أصحابه إلى مائة وثلاثة وسبعين طالباً، ثم جاء دور الإمام محمد الباقر عليه السلام (٦١ ـ ١١٨هـ) بعد الإمام زين العابدين عليه السلام (٩٥ هـ)، ليتسلّم مقعد التدريس في حوزة المدينة.

والجديرُ بالذكر أنّ ما يثير الانتباه، في حوزة المدينة، على عهد هذين الإمامين الجليلين عليهما السلام:

هو أنّه علاوةً على نقل واستماع الحديث، وبيان أحكام الدين، والتدريس في أبواب الفقه والتفسير فقد بدأ في عهدها بحثٌ كلاميٌّ مهم، تمخضَ عن انبثاق مدرسة التعقّل والتفكّر أوسع.

Digitized by Google

وقد ورد في مراحل التحقيق، والاستدلال في البحوث الكلامية والفلسفيّة والمنطقية، بأن هذا هو السّببُ الأساسي في بروز ظاهرة الصراع العقائدي، والتّلاقح الفكري، وبعد وفاة الإمام الباقر عليه السلام، وقيام الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام بالقيادة العلميّة، وهو كما نعلم الإمام السّادس، أصبحت حوزة المدينة إحدى المدارس العلميّة الإسلامية الكبرى، حيث كانت تضاهي مدارس عالمنا المعاصر بطرازها، ونظام وأسلوب التدريس فيها، وفي هذه الحقبة الزمنية التي بدأ فيها ضعف حكومة (بني أميّة).. ثم سقوطها، واستلام (بني العباس) للخلافة، أُتيحت الفرصة للإمام الصادق عليه السلام، فاغتنمها أفضل اغتنام، فسعى سعيهُ الحثيثَ في بسط الأحكام الإلهية، ونشر العلوم القرآنية، وتوسيع دائرة العلم والحكمة، وتربية أفراد كثيرين من مختلف الجنسيات عبر هذه الحوزة العلمية.

فقد كتب الطبرسي في أعلام الورى (٢٧٦ وما بعدها):

«كانت حوزة الإمام التعليمية مكاناً للبحث والدراسة في شتى أنواع العلوم والفنون والحكم».

وقد بلغ عدد أصحاب الحديث وتلامذة الإمام، أربعة آلاف شخص، إلى درجة أنّ أغلب المؤسسين لفروع المذاهب (كالحنبلي، والشافعي، والمالكي، والحنفي) عدّوا من تلامذة مدرسة الإمام عليه السلام، وأنّ شهرة المذهب والفقه، والعلوم المختلفة الإمامية، إنما هي منعوتة بالمذهب الجعفري... والفقه الجعفري، نتيجةً لتتبعات وإلهام هذا الإمام العظيم عليه السلام.

Digitized by Google

ومن الأساتذة الذين برز اسمهم في مدرسة المدينة سعيد بن المسيب المخزومي المدني (م٧٩هـ)، وهو من التّابعين ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وممّن تربى في كنف علي عليه السلام، وقد ذكره السيد محسن الأمين فقال فيه: (إنّه كان أحد الفقهاء السبعة في المدينة)[١].

ومن الأساتذة الآخرين في هذه الحوزة: أبو محمد أو أبو عبد الرحمن القاسم بن محمد بن أبي بكر (م١٠٨هـ) وهو من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام، جاء ذكره في طبقات ابن سعد... (٥/ ١٨٩) نقلاً عن عبد الرحمن بن أبي الموالي قال:

«رأيتُ القاسم بن محمد يأتي المسجدَ أوّلَ النهار، فيصلي ركعتين ثم يجلس بين الناس فيسألوه».

وقال الذهبيُّ في سير أعلام النبلاء (٥/ ٥٥)، وابن خلكان في وفيّات الأعيان (٤/ ٥٩): (أنّه كان من أفضل أهل زمانِهِ).

وكانَ أبو عبد الله محمّد أو أبو القاسم، المعروف بمحمد بن الحنفية (م/ ٨١هـ) ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، من علماء حوزة المدينة، وقد وصفه ابن خلكان بالعلم والورَع الشديد[٢].

وكتب السيد محسن الأمين ما يلي:

«قالت الكيسانية بإمامة محمد ابن الحنفية، لِما لهُ من علمٍ

---

(١) أعيان الشيعة: ٧/ ٢٤٩.

(٢) وفيات الأعيان: ٤/ ١٧٠.

Digitized by Google

واسع، وعدوه هو المهدي المنتظر ـ عج»[1].

وكان حسن بن محمد، وهو ابن محمد ابن الحنفية (م١٠١هـ)، من فقهاء المدينة الكبار، ومن التّابعين والفقهاء أيضاً في المدينة: أبو الزناد عبد الله (م١٣٠هـ) الذي ذكره الشيخ الطوسي والخطيب والبغدادي وابن حجر العسقلاني وحسبوه من أصحاب الإمام السجّادعليه السلام، وهو من مدرسي وفقهاء المدينة.

ونقل الذهبي عن عبد ربّه قائلاً:

«دخل أبو الزناد مسجد النبيصلى الله عليه وآله ومعه من الأتباع... يعني طلبة العلم.. فَمن سائل عن فريضةٍ، ومن سائلٍ عن الحساب، ومن سائلٍ عن الشعر، وعن الحديث، وعن كثير من المعضلات»[2].

ومن أساتذة الحوزة الآخرين... وكلٌّ منهم مشهورٌ بالعلم والتقوى، وغالباً ما كانوا من أصحاب الإمام السّجادعليه السلام، أو من أصحاب الصادقينعليهما السلام وهم:

أبو عثمان ـ ربيعة (م١٣٠هـ) المعروف (بربيعة الرأي)، وأبو حارث ـ محمد (م١٥٧هـ)، ابن عبد الرحمن القرشي المدني أبو عبد الله ـ عبد العزيز (م١٨٤هـ) (ابن أبي حازم) وآخرين ذكروا في كتب الرّجال، وكلهم كان لهم دورٌ في الحركة الفكريّة، والنهضة العلميّة، لمهد هذا العلم مسجد النبيصلى الله عليه وآله وقد ساهم كلٌ منهم بازدهار الثقافة الشيعية، وجميع هذه الخدمات لآلاف الأساتذة

(١) أعيان الشيعة: ٩/ ٤٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٤٦.

Digitized by Google

والعلماء، ما هي إلا نتيجة للجهد الحثيث، والسعي المديد، وقيادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في عهد حكومة الأمويين، وبدء خلافة العباسيين، حين كان المسلمون يصرون على كسب العلم والتفقه في الدين.

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٧) رواية عن عمرو بن أبي المقدّم. قال فيها:

«متى ما نظرت إلى جعفر بن محمد عرفت أنّه من أصل النبي صلى الله عليه وآله، وقد رأيته واقفاً في الجمرة وهو يقول سلوني سلوني».

وروى صالح بن أبي الأسود قال:

«سمعت جعفر بن محمد في الجمرة يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّه لا يحدثكم أحدٌ بعدي مثلَ حديثي».

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، تقلّد الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام (١٢٨ ـ ١٨٣هـ) الملقب بباب الحوائج قيادة مدرسة الإمامة، والتحق الكثير من الأصحاب بإمامته عليه السلام، وبعضهم الآخر اتبع إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فتشكلت منهم الفرقة الإسماعيلية، التي نصبتهُ إماماً لها، وانفصلت عن حوزة الإمامة وهي قائمة إلى الآن، علاوةً على فرقة ثالثة باسم الناووسية، وهم أتباع عبد الله بن ناوُس الذي لا يعتقد بوفاة الإمام الصادق عليه السلام، بل يعتقد بغيبته، على أنّه سيظهر فيما بعد، وعليه أخذ عبد الله بن ناوُس جانباً بعيداً عن مركز الإمامة، وبهذا الشكل أصاب حوزة المدينة الضعفُ والوهن، وقد ابتلي الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أيضاً،

Digitized by Google

وهو يمارسُ نشاطه المستمرَّ في حوزة المدينة بحكومة الخلفاء الأربعة (السفاكين) من (بني العباس) الذين بلغت قدرتهم أوْجها في زمن (المنصور الدّوانيقي، المهدي، الهادي، هارون الرشيد)، ومع ذلك استمرت حوزة المدينة، رغم الصعوبات المحيطة بها في تدريس علوم الحديث، والعلوم الإسلامية الأخرى، ونشر مذهب (أهل البيت عليهم السلام) بقيادة الإمام موسى الكاظم عليه السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وفي منزلِهِ عليه السلام، إلى حين أمر الخليفةُ (هارون الرشيد) القاضي بنقل الإمام الكاظم عليه السلام إلى بغداد، ومن ثم إلى سجن السندي بن شاهك حيث استشهد هناك عليه السلام سنة (١٨٣هـ).

وبعد استشهاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، تسلّم ابنه البارَّ أبو الحسن علي الرضا بن موسى عليهما السلام، قيادة الأصحاب وطلاب مدرسة الإمامة، وجلسَ على مقعد تدريس العلوم الإسلاميّة، ونقل الحديث، وقيادة حوزة المدينة، وسواءٌ أكان ذلك في مسجد النبي صلى الله عليه وآله أم في منزله عليه السلام، وكان عليه السلام شديد الحذر في عمله حتى مات (هارون).

ولكن بعد هذا وبسبب الاختلاف والحرب بين أبناء (هارون) (الأمين والمأمون)، وانتصار (المأمون) الذي وقف إلى جانب العلويين، ضد سياسة (العباسيين) الخشنة، وبعد انتقال الإمام علي بن موسى عليهما السلام إلى خراسان، وفرضِ ولاية العهد عليه من قبل (المأمون)، الذي لقبه [بالرضي من آل محمد صلى الله عليه وآله]، ولهذا السبب عادت حوزةُ المدينة إلى وضعها السابق.

واندرست بعد ذلك حوزة المدينة تدريجياً إلى زمان الغيبة

Digitized by Google

الكبرى (٣٢٩هـ) ثم انتقل نظام الحوزة فيما بعد إلى بعد المدن في العراق وإيران.

وقد تركت مدرسةَ المدينة آثاراً كبيرةً على الساحة العلمية سجّلها التاريخ نذكر منها:

مصحف فاطمة عليها السلام، وقد كتب الشيخ آقا (بزرك) عنه قائلاً:

«إنّ هذا الكتاب هو من ودائع الإمامة، وهو محفوظٌ عند الحجة ابن الحسن» (عج)[١].

تفسير أمير المؤمنين عليه السلام: وهو أوّل أثر في تفسير القرآن الكريم، ويحوي ستين نوعاً من أنواع العلوم القرآنية[٢].

نهج البلاغة: يحتوي على الخطب والحكم والرسائل وكلمات أمير المؤمنين وقد جمعَه الشريف الرضي (٤٠٠هـ).

الصحيفة السجّاديّة: المعروفة بأدعية «أهل البيت عليهم السلام».

التفسير المنسوب للإمام محمد الباقر عليه السلام.

التفسير المنسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام[٣].

مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة: منسوب للإمام جعفر الصادق عليه السلام.

الإهليلجة: من إملاء الإمام الصادق عليه السلام.

---

(١) الذريعة: ٢١/ ١٢٦.

(٢) دائرة المعارف الشيعية: ٤/ ٤٧٠.

(٣) دائرة المعارف الشيعية: ٤/ ٤٧٤.

Digitized by Google

رسائل متعددة كتبها الإمام الصادق عليه السلام في مسائل مختلفة..

الرسالة المعروفة برسالة عبد الله النجاشي.

الرسالة المنقولة عن الأعمش: وهي مسطورة في خصال الصّدوق.

رسالة إلى الأصحاب... نقلها الكليني عن إسماعيل بن جابر، وذكرت في روضة الكافي.

رسالة إلى أصحاب الرأي والقياس.

رسالة في الغنائم ووجوب الخُمس.

وفي تحف العقول: مجموعة رسائل للإمام في محبّة «أهل البيت عليهم السلام» وفي التوحيد، والإيمان، والكفر، والفسق، والعبادات، والمعاصي.

وكذلك رسائله عليه السلام في علوم التّوحيد، التي أوردها تلميذه جابر بن حيان ووصايا الإمام عليه السلام إلى عبد الله بن جندب وإلى أبي جعفر محمد بن النعمان.

وجاء في كتاب نثر الدُّرر وغيره: أن السيد محسن الأمين ذكر أربعة وعشرين أثراً، من آثار الإمام الصادق عليه السلام بأسمائها[1].

وصيّة الإمام موسى الكاظم إلى (هشام بن الحكم) وهي منقولة في تحف العقول.

الرسالة الذهنية أو المذهبية في الطب، وهي من آثار الإمام

---

(١) أعيان الشيعة: ١/٦٦٨.

Digitized by Google

الرضا عليه السلام وهي المعروفة بطبّ الرضا.

فقه الرضا في أبواب الفقه، منقولة عنه عليه السلام.

صحيفة الرضا أو مسند الرضا عليه السلام وتشتمل على مائتين وأربعين حديثاً، مسندة بأسانيد مختلفة، ومروية بهذا الإسناد[1].

وسبعة آثار للإمام الرضا مذكورة في أعيان الشيعة (١/ ٦٦٩ وما بعد).

وفي ختام حديثنا عن حوزة المدينة، لا بدّ لنا من ذكر خصائص هذه الحوزة وهي:

أنّ تدوين أول الآثار في مختلف العلوم القرآنية والإسلاميّة والفقه والكلام وغيرها كان بأيدي الأساتذة أو الطلاب الذين كانوا يدرسون ويدرّسون في هذه الحوزة.

وأنّ ابتكارها أو الإشارة إليها، من أجل تنظيمها، تمّ على يدِ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك أوّل تفسير قرآني، وأول أثر فقهي، في المسائل المختلفة، وأوّلُ أساسٍ في علم النّحو، وأول صحيفة حاوية لمسائل الحلال والحرام، وغير ذلك... كلها كتبت أو ألفت بيدِ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام أو بيدِ أصحاب العلماء مثل الصحابي أبي رافع وأبي الأسود الدؤلي وهشام بن الحكم، وأمثالهم[2].

---

(١) الذريعة: ١٥/ ١٨.

(٢) رجال النجاشي: ١/ ٦١، تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٣١٠، دائرة المعارف الشيعية.

Digitized by Google

حوزة الرَّسّ

من أقدم المدارس الشيعة تقع هذه الحوزة في جبل القدس ضمن سلسلة جبال الرس على بعد ستة أميال من المدينة المنورة تأسست على يد الشريف القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي الرسي المولود في سنة ١٦٩ هجرية وتوفي سنة ٢٤٦ هجرية من أعاظم فقهاء وأئمة الزيدية أديب شاعر فارس مقاتل، وهو شقيق ابن طباطبا الشريف محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام الذي خرج في الكوفة سنة ١٩٩ هجرية وبعد وفاة شقيقه مسموماً في الكوفة أعلن دعوته سنة ١٩٩ هجرية في المدينة المنورة، والتجأ إلى جبال الرس في ضواحي المدينة المنورة وبايعه الناس وتصدر هناك للتدريس والإمامة وكان زعيماً رئيساً، ومن ولده حسين بن الحسن بن القاسم الزيدي صاحب اليمن ومن أئمة الزيدية فيها وقد ذكرتها في حوزة اليمن في مقالتي في دائرة المعارف تشيع الفارسية[١] وخلف تراثاً نافعاً ذكره شيخنا في الإجازة السيد أحمد الحسيني الأشكوري في كتابه مؤلفات الزيدية وكارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

---

(١) عبد الحسين الصالحي: دائرة المعارف تشيع الفارسية: ٨/ ٢٤٢ طهران الطبعة الأولى.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة المدائن

شارك الصحابي الجليل، صاحبُ رسول الله ﷺ المشهور، أبو عبد الله سلمان الفارسي (م٣٦هـ)، في حرب القادسية (١٤هـ)، ولم يرجع إلى المدينة المنوّرة، فقد بنى هذا الصحابي بيتاً صغيراً بيديه، إلى جانب إيوان المدائن وسكن فيه، ولقد أضحى الإيوان المذكور، ومنزله مركزاً من مراكز تجمع المسلمين، ومحلاً لإقامة الصلاة، وحوزةً لتعليم القرآن وذكر مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام، ويمكنُ أن يكون هذا المكان.. أوّل حوزة خارج أراضي الحجاز، وكان مدفن سلمان أيضاً في هذا المنزل[1].

ومنذ ذلك الزمان، حتى أواسط القرن الرابع عشر الهجري، صار الشيعةُ يتردّدون، ويزورون هذا المكان مرتين في العام، ويؤمُّه الخاص والعام على السواء، فالزيارة الأولى لهذا المكان، تأتي في أيام العيد التاريخي المسمى (بنوروز) والثانية في النصف من شهر شعبان حيث ولادة الحجّة ابن الحسن ـ عج وفيه يقوم

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ٩٥ ـ ٢/ ٦٦٤.

Digitized by Google

الشعراء والخطباء بذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام، وما زالت بعض الأسر الشيعية ملتزمةً بهذه العادة.

Digitized by Google

الحوزة العلمية في كربلاء

يعتقد بعضهم بأن هذه الحوزةَ قامت وباشرت أعمالها، بعد عاشوراء الإمام الحسين عليه السلام (٦١ هـ)، بإلهام من حماسة وثورةِ سيد الشهداء أبي عبد الله ـ الحسين عليه السلام، وذلك لأن الإمام عليه السلام، خلال سيره ومجيئه من المدينة إلى مكّة، فإلى العراق، وبعد إلى مدينة كربلاء، ليعبّرُ عليه السلام ويفسّر القرآن ويبين أحكام الدين الحنيف لأصحابه، في كلّ مكان كان عليه السلام يمر به، وأن خطب الإمام عليه السلام وبياناته، واستشهاده عليه السلام مع أصحابه الأوفياء، في تلك الأيام، غدت منبعاً ومصدراً للنهضة الفكريّة، والاجتماعية، والسياسية، حتى شملت تدريس العلوم الإسلامية في كل العالم الإسلامي، منذ ذلك اليوم، وحتى عصرنا الحاضر.

إن أرباب المقاتل والمؤرخين، ومن جملتهم: الطبري في تاريخه، قد ذكر الخطب التي ألقاها الإمام عليه السلام في مسيرته التاريخية، ولقد جمع العلامة السيد مصطفى الاعتماد، خُطَبَ الإمام عليه السلام في كتاب أسماه بلاغة الحسين عليه السلام[1].

كما هناك من طبعها باسم موسوعة كلمات الإمام

(١) دائرة المعارف الشيعية: ٣/ ٤٠٢.

Digitized by Google

لحسين عليه السلام في (١٤١٥ هـ).

وقد باشرت حوزة كربلاء أعمالها، كما ذكرنا، بتداء باجتماع زائري الأضرحة المباركة بدءاً من مشهد الإمام لحسين عليه السلام، وانتهاءً بسائر الشهداء، تحت خيمة كبيرة عند لسور، آنذاك. وقد استمرت هذه الحالة بحضور الإمام لسجاد عليه السلام والإمام الباقر عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام، وخاصة في لأيام التي كانوا فيها في حزن فصارت تقليداً يقومون به كلّ عام حزناً على فاجعة الإمام الحسين عليه السلام، خاصة أثناء زيارة الإمام لصادق عليه السلام، حينما كان يسافر إلى كربلاء، فاكتسب ذلك لاجتماع بوجوده عليه السلام رونقاً، لما يلتقيه من محدّثين وفقهاء شيعة، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى تبدّلت صحراء كربلاء الجافة، إلى أرض عامرة، وصارت مركزاً من المراكز العلمية والثقافية لشيعية.

لقد ابتدأت الحوزة العلمية في كربلاء، اجتماع الشعراء والفقهاء، والمحدّثين الشيعة، ومنْ ينقل الأحاديث، حتى أضحت يوماً كسوق عكاظ، مركزاً لقراءة الأشعار البليغة، من قبل شعراء الشيعة، وذلك في أواخر القرن الأوّل، والقرن الثاني، بالتّدريج، وبحضور الأئمة الموجودين، أصبح المكان محلاً لتفسير القرآن، ونقل الحديث، ثم تحوّل بواسطة الشيخ أبي القاسم حميد بن زياد بن حماد (م ٣١٠ هـ) من علماء الحديث ومن أعظم الفقهاء الشيعة.

تحوّل المكان إلى قاعة اجتماع لتدريس أحكام الدين، ولمسائل الفقهية، والعلوم الدينية، مما دفع المشتاقين للتحقيق والتعليم، وطلاب العلوم لأن يتسابقوا صوب كربلاء، بعدها

Digitized by Google

كانت مدرسته محلاً لتربية الطلبة البارزين والمقتدرين ومن جملتهم:

أبي جعفر محمد الكليني بن يعقوب (م ٣٢٩ هـ)، وهو صاحب كتاب الكافي أحدِ كتب الأصول الأربعة، التي يستند عليه الإمامية، والشيخ أبي حسن، علي بن إبراهيم القمي (وفي ٣٠٧ هـ)، صاحب كتب التفسير المعروف بتفسير القمّي.

جامعة كربلاء العلمية في عصر الصادق والكاظم عليهما السلام:

تزخر كتب الشيعة الإمامية بروايات وأحاديث متواترة ومستفيضة تشير إلى أن الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، كانوا يحثون المسلمين على زيارة قبر سيد الشهداء الإمام الحسن عليه السلام في كربلاء المقدسة، وقد يطول بنا المقام لو أردنا استقصاء الأحاديث، فقد أورد بعضها ابن قولويه القمي المتوفى سنة ٣٦٧ هجرية في كتابه «كامل الزيارات»[1] والعلامة المجلسي المتوفى سنة ١١١٠ هجرية في موسوعته الخالدة «بحار الأنوار»، والشيخ محمود البرغاني الحائري المتوفى سنة ١٢٧١ هجرية في مؤلفاته الخاصة الزيارات، فليراجع.

وكان الأئمة المعصومون عليهم السلام وأصحابهم وكذلك العلماء والمحدثون والفقهاء والشعراء في طليعة موكب الزائرين والوافدين والمجاورين قبر الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام، فالإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام (٣٦ ـ ٩٥ هـ) ونجله الإمام

(١) ابن قولويه القمي: كامل الزيارات ص ٥٣ ـ ٢٩٨ الطبعة الحجرية، النجف الأشرف سنة ١٣٥٦ هجرية.

Digitized by Google

محمد الباقر عليه السلام (٥٦ ـ ١١٤ هـ)، هما ممن شهد واقعة الطف الخالدة، وكذلك حضر الإمام السجاد عليه السلام أثناء دفن جثمان الإمام الحسين الذي استشهد يوم العاشر من محرم ٦١ هجرية وألقى خطابه القيم ومحاضراته في فضائل ومناقب أبيه عليه السلام وأخذ العهد والميثاق من عشيرة بني أسد للحفاظ والاهتمام بالمرقد المطهر وكانت زيارته الثانية إلى كربلاء المقدسة بعد أربعين يوماً من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، يقول ابن طاؤس المتوفى سنة ٦٦٤ هجرية: «قال الراوي لما رجع نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام وبلغوا العراق قالوا للدليل مُر بنا على طريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع.. وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً...»[1].

من أبرز الأسماء التي تلمع في تاريخ جامعة كربلاء العلمية العملاقة من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين وفدوا إلى كربلاء المقدسة في مطلع القرن الثاني الهجري، هما الإمام السادس أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق (٨٠ ـ ١٤٨)، والإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨ ١٨٣ هـ).

مدرسة الصادق عليه السلام العلمية في كربلاء المقدسة:

انتقل الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى مدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن الثاني الهجري أيام الحاكم العباسي أبي العباس

(١) علي بن موسى المعروف بالسيد ابن طاوس: اللهوف في قتلى الطفوف ص ٨٦، منشورات لمطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، سنة ١٨٣٥ هجرية.

Digitized by Google

السفاح (جلس ١٣٢ هـ ـ توفي ١٣٦ هـ)، ثم عاد إلى المدينة المنورة أيام المنصور (جلس ١٣٦ هـ ـ توفي ١٥٨ هـ).

لقد أكدت المصادر القديمة نزوح الإمام الصادق عليه السلام إلى العراق، ولكن أيام إقامته في العراق لم تؤرخ من قبل الباحثين بصورة واضحة، ذكر ابن قولويه عم محمد بن عبد الله بسنده عن صفوان بن مهران عن الصادق عليه السلام قال: «... سرنا معه من القادسية حتى أشرف على النجف فقال هو الجبل الذي اعتصم به ابن جدي نوح عليه السلام.. ثم قال اعدل بنا فعدلت فلم يزل سائراً حتى أتى الغري فوقف على القبر فساق السلام من آدم على نبي ونبي عليه السلام وأنا أسوق معه حتى وصل السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله ثم خرّ على القبر فسلم عليه... ثم قام فصلى أربع ركعات وصليت معه وقلت: يابن رسول الله ما هذا القبر فقال: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب عليه السلام...»[1]، وقد نقل الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري نقلاً عن البحار عام نزوح الإمام الصادق عليه السلام إلى كربلاء المقدسة سنة ١٤٤ هجرية، وقال: «وفي سنة ١٤٤ هجرية قدم الصادق جعفر بن محمد عليه السلام لزيارة جده أمير المؤمنين عليه السلام فلما أدى مراسم الزيارة خرج وسكن شمال كربلاء»[2]، وتسمى تلك الأراضي التي حل بها الإمام الصادق عليه السلام بالجعفريات.

وقد حل مع الإمام الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة جماعة من أصحابه وأهل الحجاز، فازدلفت إليه الشيعة ورواد العلم من

---

(١) كامل الزيارات، ص ٣٥.

(٢) الشيخ محمد حسين الأعلمي: دائرة المعارف الأعلمي، ج ٢٤، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢، الطبعة الأولى، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ هـ.

Digitized by Google

كل حدب وصوب وارتشفوا من نمير علمه العذب، وتروى عنه الأحاديث في مختلف العلوم، فقد ازدهرت جامعة كربلاء المقدسة في عهد الإمام الصادق عليه السلام، بطابع خاص انفردت به عن بقية المدارس والمؤسسات العلمية الإسلامية في العراق حيث مدرسته العملاقة كانت امتداداً لمدرسة أبيه وجده صلوات الله عليهما، وأصبحت كربلاء المقدسة من أكبر العواصم الإسلامية بتأثير من الحركة العلمية القوية التي أوجدها الإمام الصادق عليه السلام في هذا الوسط الفكري واستمرت هذه المدرسة التي أنشأها عليه السلام مركز الصدارة بين الحوزات والمدارس الشيعية الإمامية في العراق، وظلت البعثات العلمية ورواد العلم تقصد كربلاء المقدسة بالذات، ويتعاقب فيها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في التدريس والفتيا وقيادة المرجعية العامة.

واجهت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة إقبالاً من الفقهاء والمحدثين والعلماء وفتن بها الناس بجميع طبقاتهم، وعلى الرغم من أن مدرسته لم تكن في كربلاء بسعة مدرسته في المدينة، وذلك لقرب كربلاء المقدسة من مركز الخلافة العباسية (بغداد)، بل كان في حيطة حتى لا يأخذ الجهاز العباسي حذره، وقد خاف المنصور الدوانيقي العباسي أن يفتتن به الناس من إقبال العلماء واحتفائهم وإكرامهم به، فبعث إلى أبي حنيفة يطلب منه مساعدته، يقول الذهبي: «... لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيىء له من مسائلك الصعاب، فهيأت له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر (المنصور) وجعفر عليه السلام جالس

Digitized by Google

عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي فجلست ثم التفت إلي جعفر عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا قال: نعم هذا أبو حنيفة، ثم اتبعها: قد أتانا ثم قال يا أبا حنيفة، هات من مسائلك تسأل أبا عبد الله فابتدأت اسأله فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا وأهل المدينة يقول كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا فربما تابعنا وربما تابعنا أهل المدينة، وربما خالفنا جميعه حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرمُ منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة أليس روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»[1]، وأن أحكام فقه الشيعة الإمامية المعروف بالفقه الجعفري أو المذهب الجعفري منسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

دار الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة:

حين نزل الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام كربلاء المقدسة، سكن جنوب نهر العلقمي، وكان يلقي دروسه ومحاضراته العلمية على أصحابه وتلامذته في داره على ضفاف نهر العلقمي، وكذلك في أروقة الروضة الحسينية، ثم اتخذ شيعته داره المذكور مقراً للدراسة والتدريس ومقامه مقدساً من بعده يقصده الزائرون وذوو الحاجات لكشف الملمات وقضاء الحوائج والتوسل والتضرع إلى الله بوليه الصادق عليه السلام وحسب القول المشهور عند أهالي كربلاء المقدسة أن الإمام الصادق عليه السلام قد

(١) شمس الدين محمد الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٦، ص ٢٥٨، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠١ ـ ١٩٨١ هـ.

Digitized by Google

اشترى جميع أراضي ضفتي نهر العلقمي ثم كتب وقفيته لشيعته والزائرين والوافدين لزيارة قبر جده الإمام الحسين عليه السلام، والأراضي التي يقع فيها هذا المقام تعرف بشريعة الإمام الصادق عليه السلام أو بالجعفريات، وهي ضمن الأراضي التي تعود له في الحائر الحسيني حتى العصر الحاضر وكانت قديماً إحدى المعاهد العلمية في ضواحي كربلاء ومركزاً لتجميع الزائرين والوافدين لزيارة قبر الحسين عليه السلام في عصر الضغوطات العباسية، وعندما قدم الحاكم البويهي عضد الدولة فناخسرو البويهي إلى العراق كان يزور في كل سنة قبر الإمام الحسين عليه السلام بموكبه المهيب، وقد زار كربلاء المقدسة سنة ٣٧١ هجرية وأمر ببناء قبة كربلاء المقدسة وأمر بتجديد عمارة عضد الدولة، وقد شيد قبة كبيرة وعالية ورواقاً ضخماً مزيناً بالقاشاني، وفي سنة ٩٥٠ هجرية تم بناء خانقاه بجنب المقام، من قبل الزعيم الصوفي الشيعي البكتاشي جهان دده كلامي، الذي كان قيماً في كربلاء المقدسة حدود سنة ٩٥٠ هـ.

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري اهتم الإخوان الفقيهان مدرس الطف الشيخ ميرزا علي نقي الحائري (١٢٥٣ ـ ١٣٢٠ هـ) والشيخ ميرزا علامة الحائري (١٢٤٩ ـ ١٣١٠ هـ) أبناء الشيخ حسن آل الصالحي بإحياء الأراضي الجعفريات ضمن مشروعهم لإسكان الشيعة الإمامية في ضواحي كربلاء المقدسة، وكتب وقفيته لتصرف وارداتها على إنارة الروضة الحسينية، ولا يوجد اليوم أثر من ذلك الخانقاه، وأما المقام فهو عامر تحيط به بساتين وعليه قبة كبيرة من القاشاني.

Digitized by Google

جامعة كربلاء المقدسة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام:

بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام انتهت الإمامة إلى الإمام موسى بن جعفر الكاظم وهو ابن عشرين عاماً، حيث تصدى للتدريس في مسجد جده محمد صلى الله عليه وآله، وهو لا يزال شاباً، وروى عنه العلماء في فنون العلم، وكان يعرف بين الرواة بالعالم، وكان أبو حنيفة يرجع إليه ويسأله في كثير من المسائل[1].

خاف الحاكم العباسي المهدي (جلس ١٥٨ ـ توفي ١٦٩هـ) من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حين رأى الناس قد فتنوا به، فطلبه إلى بغداد وأمر بسجنه إلا أنه لم ير منه سوءاً، فقد فتن هو بشخصية الإمام عليه السلام لأخلاقه الحميدة وسجاياه الحسنة ثم أمر بإطلاق سراحه واعتذر منه لرؤيا رآها كما يذكر البغدادي في تاريخه[2].

في هذا الوقت انتقل الإمام الكاظم عليه السلام إلى كربلاء المقدسة أيام المهدي في حدود سنة ١٦٢ هـ إلى سنة ١٦٥ هـ، لزيارة قبر جده الحسين عليه السلام، واستمر بقاء الإمام الكاظم عليه السلام في كربلاء المقدسة أكثر من سنتين، ولم يكن في دار أبيه على نهر العلقمي، وإنما بنى داره ومدرسته فيما بين حرم الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام في الشمال الشرقي من الروضة الحسينية وغرب روضة سيدنا العباس عليه السلام، وتصدي الإمام عليه السلام للتدريس ونشر الفقه

---

(١) انظر: السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة ج ٢، ص ٦، بيروت، دار التعارف ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

(٢) انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٠ ـ ٣١، بيروت، دار الكتب العربي.

Digitized by Google

الإسلامي والحديث، إذ كانت مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام امتداداً لمدرسة أبيه وجده فازدلفت إليه الشيعة من كل فج زرافات ووحداناً، والتفت حوله جموع العلماء والمحدثين والرواة تستقي منه العلم وتنهل من معينه العذب، وتروي عنه الأحاديث.

وفي أيام المهدي العباسي والهادي العباسي (جلس ١٦٩ هـ - ١٧٠ هـ) ساد الهدوء وخفت الوطأة على مدينة كربلاء المقدسة، واتجهت قوافل الزائرين والمجاورين إلى الحائر الحسيني من كافة الطبقات وعلى رأسهم العلماء والمحدثون يبنون حول المرقد المطهر منازلهم ليسكنوا إلى جواره على رغم وحشة المكان وخشونة الحياة، فقد ازدهرت جامعة كربلاء الكبرى على يد الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، إذ تقدمت جامعة كربلاء الكبرى شوطاً كبيراً في هذه الفترة، وتوسعت أركانها وتركت نشاطاً فقهياً واسعاً وزخرت بفقهاء كبار.

لم يمكث الإمام عليه السلام في كربلاء المقدسة كثيراً لأسباب يطول شرحها، منها موقع كربلاء القريب من عاصمة الخلافة العباسية، وضغط الجهاز الحاكم على الشيعة الإمامية، وعيون الرقابة على جامعة كربلاء العلمية، وكذلك كانت السلطة تجهد على حظر رجوع الناس إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقد أدرك الإمام الكاظم عليه السلام خطورة الموقف، فأعلن السفر إلى المدينة المنورة، ليكون بعيداً عن مركز الخلافة.

واتخذت الشيعة الإمامية من دار ومدرسة الإمام الكاظم عليه السلام مقراً للتدريس ومقاماً مقدساً يقصده الناس للزيارة والتبرك وقضاء الحاجات بفضل الله، ويقع هذا المقام اليوم في محلة باب بغداد

Digitized by Google

زقاق السادة المعروف بـ «عگد السادة» وأكثر أهل هذا الزقاق هم سادة موسويون من أحفاد الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وقد نقشت على واجهة المقام هذه الأبيات:

موسى بن جعفر كلما جاءنا
إلى هنا برغبة يسكن
من حوله أحفاده قد أتوا
صاروا لهم من حوله مسكن

مقام الإمام الصادق عليه السلام ومسكنه والحوزة العلمية في كربلاء المقدسة:

وقد سكن الشيخ أبي عبد الله الحسين بن علي البزوفري (م ٣٥٢ هـ)، والشيخ أبي علي أحمد البزوفري (م ٣٦٥ هـ)، وعدد آخر كربلاء وقد ورد ذكرهم في أعيان الشيعة والذريعة ومعجم رجال الحديث.

واستمرت الحوزة في كربلاء، في تطورها الفكري والعلمي، لتتحفنا بميراث ثقافي مهم وغني، ليبقى مرتبطاً بعلمائنا، متجهاً إلى عصرنا الحاضر.

إنّ جملة من العلماء مثل: الشيخ المفيد والشيخ أبي أحمد جلّود، والأخوين الكريمين الشريف الرضي والشريف المرتضى والشيخ أبي إسحاق الثعالبي وأبي صلاح تقي الدين الحلبي، كلّ هؤلاء مرتبطون بصورة مباشرة أو غير مباشرة، بهذه الحوزة.

وفي الأوقات التي تضطر فيها الحوزة إلى الركود، والضعف والجمود، يتصاعد نشاط بعض العلماء الفاعلين، ليعيد

Digitized by Google

إلى الحوزة ازدهارَها المعهود، ومنهم الشيخ عماد الدين محمد الطوسي المعروف بابن حمزة (٥٩٨ هـ) أو أبو جعفر الثاني، الذي استطاع جمع الطلبة، وعشاقَ العلم والفضيلة، إلى الحوزة، بتحقيقاته العميقة، ومهارته الرشيقة في سائر العلوم، ناهيك عن تدريسه المتين.

ومن آثار هذا الشيخ هو كتاب الوسيلة، وهو أحد الكتب الفقهية المشهورة، وبابتكار من هذا الشيخ زيد في أبواب العبادات، فجعلها عشرة أبواب، بدلاً من خمسة والخمسة الأولى هي:

الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد.

أمّا الخمسة أبواب الثانية المُضافة فهي:

الخمس، الاعتكاف، الغسل، العمرة، الرباط.

كتاب المزار الكبير من تأليف الشيخ أبي عبد الله ـ محمد المعروف (بابن مشهد الحائري)، وهو في الأدعية والزيارات، وجاء بكامله في (بحار الأنوار).

الصحيفة السجّاديّة: المنسوبة للإمام السجاد عليه السلام، رويت ودُوِنت من قِبل المحدثين وأساتذة حوزة كربلاء العلمية.

وإذا استشهدنا بالتاريخ، لوجدنا أن بعضاً من هؤلاء العلماء والمحدثين قد نزحوا من كربلاء إلى النجف، وهم مَن أسسَ حوزة بغداد.

وفي القرن السابع الهجري، وسعت الحوزة العلميّة في كربلاء فعّالياتها، مِنْ خلال زعامةِ آل معدّ الحائري، ومن جملة

Digitized by Google

أولئك العلماء الذين بلغوا مقام المرجعيّة العظمى هو السيد فخار معدّ الحائري (م ٦٣٠ هـ)، صاحب كتاب الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، وقد قام هذا المرجع بتربية الكثير من الطلبة، منهم السيّد عبد الكريم بن طاوُس (م ٦٩٣ هـ) وابنه السيد جلال الدين عبد الحميد بن فخار الموسوي الحائر (وفي ٤٨٢ هـ) وغيرهم.

وبهذا الترتيب وجدت الحوزة في كربلاء نفسها بعد قرون تتألقُ بعلماء آخرين مثل: ابن فهد الحلي (م ٨٤١ هـ) والسيد محمد بن فلاح الموسوي المعشعشي مؤسس الدولةِ الشيعية في جنوب إيران، والسيد محمد نور بخش من أقطاب الصوفية، والشيخ هلال الجزائي، والأستاذ المحقق الكركي والشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعَمي (م ٩٠٥ هـ) والسيد ولي الرضوي الحائري (م ٩٨١ هـ) صاحب (كنز المطالب)، ومدرّس (الطف) السيد نصر الله الموسوي الحائري (م ١١٦٠ هـ) وهو المرجع العظيم لعالم التشيّع في حوزة كربلاء، وفي زمان (نادر شاه أفشار) انتخب لرئاسة وإمامة صلاة الجماعة، في مؤتمر النجف، واجتماع علماء الكعبة المشرفة.

ولقد كانت النهضة الفكريّة لمحمد باقر الوحيد البهبهاني (م ١٢٠٥ هـ)، هي الفترة الذهبية لهذه الحوزة، وقد تزامنت هذه الفترة مع وفاة الشيخ يوسف البحراني (١١٨٦ هـ).

حيث اختفى وجود الإخبارية وإلى الأبد، من حوزة كربلاء، وسائر الحوزات العلمية الأخرى، وكُفّت أيديهم عنها، فأخذ

Digitized by Google

(البهبهاني) يطرحُ نموذجَ مدرسة عصرية لمعالم (أهل البيت عليهم السلام)، وقد اهتمَّ بتربية الآلاف من طلاب العلوم الدينية فأوصلهم إلى درجة الأساتذة والمجتهدين، فاتجهوا صوب الحوزات الأخرى في العراق وإيران.

ومنهم: السيد بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، إلى النجف.

والشيخ محمد إبراهيم الكرباسي والسيد محمد باقر الأصفهاني، إلى حوزة أصفهان إلى كاشان، والميرزا مهدي الخراساني إلى مشهد، والشيخ أسد الله الكاظمي، صاحب المقابس، إلى الكاظميين.

وقد أتمَّ طريقه اثنان من تلامذته هما السيد مهدي الشهرستاني والسيد علي الطّباطبائي، صاحب الرياض، وبعد هؤلاء تابع المسيرة. السيد محمد المجاهد (م ١٢٤٢ هـ)، ابن الطباطبائي، صاحب الرياض، ثمَّ شريف العلماء الحائري، وتبعه السيد إبراهيم الموسوي القزويني (م ١٢٦٢ هـ) صاحب الضوابط، والشيخ محمد صالح البرغاني الحائري م ١٢٧١ هـ)، وقد هاجر من قزوين إلى كربلاء، ليمسك بزعامة الحوزة، ويبدأ بتربية الآلاف من طلبة العلوم الدينية، وبعد فترة وجيزة، وأثناء زعامة الشيخ محمد تقي الشيرازي (م ١٣٣٨ هـ) المعروف (بالميرزا الثاني الشيرازي)، وفي هذه الأثناء، تابعتْ حوزة كربلاء انطلاقتها، ولفتت الأنظار إليها بفتوى (الميرزا الثاني) التاريخيّة ضدَّ الإنكليز، بمطالبته باستقلال العراق وبالحقوق السياسية، ودحر الاستعمار الخارجي[1].

Digitized by Google

وبعد وفاة السيد مهدي الشيرازي (١٣٨٠ هـ) تزعّم إدارة الحوزة ابنُهُ السيد محمد الشيرازي بمؤازرة عدد من أعلام هذه المدينة المقدسة إلى جانب حلقات درس الخارج الذي كانت قائمة من قبل كل من الشيخ محمد رضا الأصفهاني والشيخ يوسف الخراساني والشيخ محمد الكرباسي والشيخ محمد الشاهرودي وغيرهم من أعلام كربلاء إلى أن عطّل حزب البعث العراقي هذه الحوزة المتألقة، مثلما عطّل الحوزات الشيعية الأخرى في العراق، ومنذ نصف قرن كان عمادة الحوزة العلمية هناك بيد الشيخ محمد الكرباسي.

ومِنَ المدرسين في حوزة كربلاء قبيل هذا التاريخ، المراجعُ العظامُ والأساتذة البارزون المتأخرون، وممن يمكن أن ندرج هذه الأسماء كما يلي:

(الشيخ مولى حسين الأردكاني)، و(السيد محمد صالح داماد)، و (الشيخ زين العابدين المازندراني)، و (الشيخ حسن برغاني الصالحي)، و (السيد حسين المرعشي الشهرستاني)، و (الشيخ العلامة برغاني الصالحي)، ومدرّس حوزة الطف (الشيخ علي تقي برغاني الصالحي)، و (السيد إسماعيل الصدر)، و (السيد ميرزا هادي الخراساني)، و (السيد ميرزا مهدي الشيرازي)، وآخرون مِنْ عظماء الاجتهاد والفتوى[1].

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ١٩٠.

(٢) دائرة المعارف الشيعية: ٢/ ٦٨، ٣/ ١٨٤ فما بعد.

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزة العلمية في الكوفة

يمكنُ اعتبار هذه الحوزة، إحدى الحوزات الشيعية القديمة، وقد بناها أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، أوّل إمام للشيعة، بأيدٍ مقتدرة، بعد عودته من وقعة الجمل (سنة ٣٦ هـ).

وإذْ اختيرت الكوفةُ محلاً مناسباً للجيوش الإسلامية، لمناسبة المناخ مع أجواء الجزيرة العربية بناءً على اقتراح من سلمان الفارسي وحذيفة حيث اختيرت كثكنة عسكرية، إلا أنها في ظل الإمام علي عليه السلام، كانت الأساس لحوزة مسجد الكوفة الأعظم، وكان الإمام سلام الله عليه، يأتي إلى المسجد كلّ يوم لأداء فريضة الصلاة على أوقاتها، ثم يجلس على كرسي ويشرع بتعليم القرآن، وشرح أحكام الفقه والحديث، وتربية الأصحاب والطلاب على طاعة الله سبحانه. فيجتمع إليه طلبة العلوم الدينية وعشاقُ الفضيلة، والمحدثون من كل حدبٍ وصوب، فئاتٍ وفرقاً كي يلتحقوا بحوزته المباركة، وينهلوا من محضر علمه الشريف.

كان مسجدُ الكوفة في تلك الأيام أعظمَ حوزة لتعليم أحكام الدين في العالم الإسلامي وكذلك الكثير من الخطب والرّسائل والأوامر، التي يصدرها الإمام عليه السلام حيث كانت تصدر من هذه

Digitized by Google

الحوزة، أو تحرر فيها، وقد جمع (علم الهدى الشريف الرضي) بعضها عام ٤٠٠ هـ، من متون الكتب، ليدرجها بشكلٍ مرتب وبمشربٍ أدبي، وبذوق رفيع في ثلاثة أقسام:

الخطب، والكتب والرّسائل، والكلمات الحكيمة والأمثال.

ليطلق على المجموعة اسم (نهج البلاغة)، وهو أفضل ميراث ثقافي ورد عن صدر الإسلام بعد القرآن الكريم، وفيه أسماءُ خمسمائة علم من الأعلام، من طلبة العلم وأصحاب الإمام عليه السلام التي كانت تسطع يوماً ما في حوزة الكوفة.

وكان أصحابها مشغولين بتدريس الفقه، وأحكام الدين، في ذلك المسجد الأعظم. ومنهم:

أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله (م ٦٢ هـ)، أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك، أبو مسلم أو أبو عمرو عبيدة بن عمرو السّلماني، أبو عمرو أو أبو عبد الرحمن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عبد الله أو أبو محمد سعيد بن جبير (٩٥ هـ) وهو الذي استشهد بيد الحجاج بن يوسف الثقفي، الحاكم إيراني الأصل (م ١١٥ هـ)، أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان إيراني الأصل (م ١٢٠ هـ) وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، وجدت حوزة الكوفة أيضاً، رونقاً كافياً على يد الإمام الحسن عليه السلام وابن عباس، وبعد ذلك كانت تدار من قبل الطلبة والأصحاب، وقد خصص ابن سعد في طبقاته الكبرى المجلد السادس، لذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله والتابعين، الذين كانوا يتخذون من الكوفة سكناً لهم وقد أورد ابن سعد ما يقارب ألفَ اسم من العلماء

Digitized by Google

والمحدثين، العامة والخاصة ليصل بهم إلى الطبقة التاسعة، هذه السعةُ لهذه الحوزة كانت ظاهرةً للعيان في ذلك العصر.

وبلغت الحوزة الشيعية في مسجد الكوفة الأعظم ذروتها وازدهارها في عهد أبي عبد اللّه جعفر الصادق عليه السلام، وكان طلابُ العلوم الدينية، ورواة الحديث ينسابون من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، صوب الكوفة، بالإضافة إلى إرشاد الإمام الصادق عليه السلام لتلامذته بضرورة الالتحاق بتلك الحوزة.

وتعدُّ حوزة مسجد الكوفة أكبرَ مدرسة شيعية بعد حوزة المدينة المنورة.

نقل أبو العباس النجاشي بسنده عن الحسن بن علي بن زياد الوشاء قال:

«دخلت الكوفة لأستمع الحديث، فوجدت في مسجد الكوفة الأعظم، وأدركتُ في هذا المسجد تسعمائة شيخ كلٌ يقول: حدثني (جعفر بن محمد عليه السلام)[1].

إنّ لعدد من الحكماء والمحدثين، من ذوي الأصول الإيرانية ساهموا مساهمة عظيمة في النهضة العلمية والفكرية لحوزة الكوفة ومن تلك الأسر العلمية:

بنو الفرقد، وبنو نعيم، وبنو الأزرق، وبنو الحمراء.

وهم جميعاً متحالفون مع القبيلة الشيعية المسماة بقبيلة (بني قيس)، الذين كانوا يتخذون من الكوفة مسكناً لهم.

---

(١) رجال: ١/ ١٣٩.

Digitized by Google

وحين جاء أمير المؤمنين علي عليه السلام، التفّت هذه الأسر حول الإمام، والتحقوا به، ليقوم جميع الثقاة منهم بالمشاركة في أعباء الحوزة، وكذلك المحدّثون والعلماء والأصحاب[1].

ولقد أورد السيد حسين البراقي في تاريخ الكوفة (٣٨٤ وبعدها)، أسماء مائة وثمانٍ وأربعين شيخاً من شيوخ الأصحاب الذين شاركوا في الحركة العلمية والتدريسية، ونقل الحديث.

ثم أورد أسماء كثير من الأسر والقبائل العلميّة الشيعيّة، في الكوفة من القرن الأوّل، ولغاية الغيبة الكبرى مثل:

آل أبي الجعد، وآل أبي الجهم، وآل أبي رافع، وآل أبي سارة، وآل أبي صفيّة وأمثالهم أكثر من سبعين أسرة علميّة وشيعيّة كانت تسكن الكوفة.

وبعد مسجد الكوفة الأعظم، يأتي مسجد الحمراء، المتّصل بالقبيلة الإيرانية الأصل بني الحمراء، ويقع على الساحل الجنوبي لشطّ الفرات في الكوفة.

وهو باقٍ إلى يومنا الحاضر، وقد رُمِّمَ هذا المسجد بشكل واسع سنة ١٣١٢ هـ وقد كتبت على بابه هذه الأبيات الشعرية:

الحمد لله الذي من فضله
أحيى جميعَ مآثر العلماءِ
يا طالب الأعمال قد أرختُهُ
إعمل فهذا مسجدُ الحمراءِ

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ١٣٥، وبعد: ٣/ ٤٣٦ وبعد ذلك.

Digitized by Google

ومع ابتداء الغيبة الكبرى عام ٣٢٩ هـ، اضمحلّت حوزة الكوفة تدريجيّاً... لينتقل موقعُ الحوزة الشيعية إلى كربلاء، وخراسان، وقم، وبغداد. ولقد برزت الحوزة في الكوفة وتسامت لقرون مديدةٍ، بعد أن تخرّج منها علماءُ أفاضلُ وكبارُ علم الحديث، والفقه، والتفسير، والأدب، لتترك لنا ميراثاً ثقافياً ثريّاً يذكرنا بحوزةٍ شيعيّة عظيمة.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة البصرة

وهي واحدةٌ من الحوزات الشيعيّة القديمة، في تاريخ تعليم الإماميَّة.

تأسَس هذا المركزُ الثقافي المهمُّ، في القرن الأوّل الهجري، بعد وقعة الجمل، في عام ٣٦ هـ، وفي الوقت نفسه الذي تأسست فيه مدرسة الكوفة.

وبعد انتصار أمير المؤمنين عليه السلام في وقعة الجمل، عيّن الإمام علي عليه السلام ابن عباس والياً على البصرة، وأبا الأسود الدؤلي قاضٍ عليها، فتأسست هذه الحوزة الشيعية في البصرة على يدي هذين العلَمين ذوي العلم والفضل، ولا ريب في أن ابن عباس هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، كما هو ابن عمّ الإمام علي عليه السلام، وكان محدّثاً ومفسّراً وفقيهاً ومؤرخاً، في صدر الإسلام، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله، في رواية جاء فيها عنه صلى الله عليه وآله:

«اللهم فقهه في الدين وعلمْهُ في التأويل».

فاستجاب الحقُّ تعالى، دعاء النبي صلوات الله وسلامه عليه، فيه[1].

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ٣٣٤.

Digitized by Google

كان ابن عباس يجلس يومياً للدرس، في المسجد الجامع في البصرة، ليدرس القرآن الكريم، والفقه وأحكام الدين، إذ كانت الحوزة في ذلك الوقت، من المدارس الشيعية المزدهرة في العراق.

وحين شارك ابن عباس أمير المؤمنين عليه السلام، في وقعتي صفين والنهروان، وكان وكيلُهُ أبو الأسود الدؤلي، ينوب عنه في ولاية البصرة، ولابن عباس علمٌ غزير في تفسير القرآن الكريم، وأحكام الدين، علاوة على منطقه القوي، ولسانه الفصيح، وزهده وتقواه البالغين، لذا كان موضع احترام الخاصّ والعام، والصحابة والتابعين.

وينقل أبو حسن المدايني بسنده عن أبي بكرة أنه قال:

«لم أر عربياً في البصرة بجمال وكمال ابن عباس».

وكان كلامه جميلاً وحسناً ومنطقيّاً يجذب كلّ من يستمع إليه.

وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام سنة ٤٠ هـ، عمل ابن عباس تحت لواء الإمام (الحسن) المجتبى عليه السلام، وكان مُشاركاً للإمام في مهمّة الصلح، حينما تصالح الإمام الحسن عليه السلام مع (معاوية)، ثم اختار ابن عباس مكّة المكرمة مسكناً له، وقد اختصّ بحوزة المسجد الحرام.

لقد أشرنا إلى أبي الأسود الدؤلي وقلنا: إنّه من كبار المحدّثين، والتابعين، ومن تلاميذ أمير المؤمنين عليه السلام، كان كابن عباس مقتدراً في التدريس في حوزة البصرة، فقد أسّس أصول

Digitized by Google

العلوم العربيّة: الأدبيّة واللغوية في البصرة، بأمرٍ من أمير المؤمنين الإمام عليعليه السلام، الذي أمره بوضع علم النحو، وهو أوّل من نقط القرآن الكريم، وبذا حفظه من التحريف[1].

لقد أخذ أبو الأسود الدؤلي العلومَ العربيةَ، وفنون الأدب، والتفسيرَ والتأويلَ وعلمَ النحو، عن أمير المؤمنينعليه السلام، ثم شرع بالتدريس في حوزة البصرة، بأمر مباشرٍ من الإمامعليه السلام، وكان له تلاميذ كثيرون، ورثوا عنه علم النّحو الواحد تلو الآخر ومنهم:

نصر بن عنبة الفيل وأبو داود عبد الرحمن، وعبد اللَّه بن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم، وأبو عمرو العلاء، ويحيىٰ بن يعمر الليثي، وأبو الخطاب الأخفش، ويونس بن حبيب، وسيبويه، وخليل بن أحمد.

وتدلّ الشواهد التاريخيةُ على أن المدرسة الشيعية في البصرة، قد ضمت كلا الفريقين: السنّة والشيعة، بعضَهما إلى جانب بعضِهم الآخر، في كسب العلوم الدينية، حيث نرى هناك فرعين ممتازين هما:

١ ـ فرع اللغة العربيّة وعلومها كالنحو والصرف والأدب والبلاغة.

٢ ـ فرع الفقه والحديث والتفسير، وهو أشهر من الفرع الأول.

ثم انتقل فيما بعد إلى الكوفة.

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ٤٧٢ ـ ٣٧٩.

Digitized by Google

وكانت هاتان المدرستان تتنافسان في الاجتهاد والعلوم والنحو، وسائر الفنون الأخرى، ولقد كتب القاضي أبو سعيد الحسن السيرامي (م ٣٦٨ هـ) وهو من طلاب حوزة البصرة، وهو إيراني الأصل كتب كتاباً بعنوان:

أخبار النحويين البصريين، أورد فيه قسماً خاصاً من أخبار وتاريخ حوزة البصرة العلميّة.

لقد تركت حوزة البصرة الشيعية، حركة فكريَّةً، وميراثاً عظيماً ستذكره الأجيال القادمة بكلّ إعجاب واحترام، إذ كانتْ عدّة قرون مهداً للتربيةِ، وحاضنة لطلاب العلوم الدينية، ومرصداً للعالم الإسلامي ولا ينكر المؤرخون، وأربابُ السير، حتى مخالفي الشيعة دورَ التشيع في المدرسة الأدبية والنحوية في البصرة، وكذلك مدرسة النحو الأدب في الكوفة.

لقد تسَنّمتْ مدرسة الكوفة في الشعر، ذروةَ الأمر وسنامه، فقد رأينا مئاتِ الشعراء، مروراً بالمتنبي، الذي فاق بشعره جميع الشعراء، وهو الشاعر الشيعي والمثالُ الواضح عن هذه المدرسة، ناهيك عن كونه أستاذاً بالنثر في البصرة بدون منافس، ويمكن أن نأخذ الجاحظ، مثالاً عن مدرسة البصرة.

ولا يخفى أنه كان للإيرانيين، سهم عظيم، ودور حساسٌ ومؤثر، في تأسيس وتطوّر هاتين المدرستين.

ومن أساتذة حوزة البصرة المقتدرين:

الشيخ عيسى ابن عمر الثقفي (م ١٤٩ هـ)، وهو من أئمة النحو واللغة، والعلوم القرآنية ومن مؤلفاته كتابُ الإكمال،

Digitized by Google

وكتاب الجامع، والأخير ترنيمةٌ رفعية سامية..

قال فيه الشاعر:

بَطل النحوُ جميعاً كلُّهُ
غيرَ ما أحدَثَهُ عيسى بن عُمَرْ
ذاك إكمالٌ وهذا جامع
فهما للناسِ شمس وقمرْ

ومن أساتذة وزعماء البصرة الآخرين، شيخ النحويين يونسُ بن حبيب (م ١٨٢ هـ)، وذكر في الفهرست، بأنّه صاحبُ مفاخر العجم، كونه من أصلٍ إيراني، ومن سكان الجبال، وكان يفتخر بذلك!..

ثم يضيفُ فيقول: كان يونس من أصحاب أبي عمرو بن علاء، وله في البصرة حلقة درس. وإنّ طلبةَ العلم، وأهلَ الأدب، وفصحاءَ العرب، يطأطئون رؤوسهم له.

وكتب إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقول فيه:

«عاش يونس ثماني وثمانين سنة، ولم يكن لديه زوجةٌ ولا جارية، ولا هدف له إلا طلب العلم، ومحادثة العلماء ومن آثاره: معاني القرآن، اللغات، النّوادر الكبيرة، النوادر الصغيرة، الأمثال[1].

ومن أساتذة مدرسة البصرة أيضاً خليل بن أحمد الفراهيدي (م ١٧٥ هـ)، صاحب الكتاب المعروف بـ «العين»، وهو من

---

(١) الفهرست: ٧٤.

Digitized by Google

عظماء العلماء إيراني الأصل، مشهور بالتشيّع وقد أحدثَ حركة فكريةً، ونهضة علمية، عظيمة في مدرسة البصرة، يقول راغب الأصفهاني في محاضراته.

«إنني أعلم بأن خليل هو واحداً من أربعة، لم يصل إلى مقامِهِ في الإسلام أحدٌ، لما يمتلك من زيادة في العلم».

أما سيبويه وهو من النحويين المشهورين (م ١٨٨ هـ)، من أهالي بيضاء شيراز، ومن تلامذة خليل بن أحمد، تتلمذ لديه، ودرس في حوزة البصرة، ولقد كتب القاضي نور اللّه الشوشتري في (٢١٠ هـ)، حينما أمر الخليفة العباسي عامله على البصرة، بأن يحصي علماءَ مدرسة البصرة، والمؤلفاتِ المهمة فيها، ومناهجها الفكريّة، أجابه: بأنّ في حوزة البصرةِ العلميةِ سبعمائةَ أستاذ، ومدرّسٍ، ومجتهد، يشتغلون بالتدريس، وأنّ أكثرَهم شيعةٌ.

لقد سجّل الشيخ الطوسي في الرّجال والفهرست، والأردبيلي الحائري في جامع الرواة أسماءَ عدد من أصحاب الأئمة ورواة الحديث، الذين كانوا يمارسون التدريس في حوزة البصرة.

ولقد ازدهرت حوزةُ البصرة، حتى أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الهجري. وتركت لنا ميراثاً ثقافياً غنياً، وآثاراً علميةً قيّمةً، في التّفسير، والقراءاتِ والنّحو، والأدب، واللغة، والشّعر، والفقه، والحديث، والكلام، وغير ذلك. وهي ثروة فكرية غنية، لا يستهان بها، وقد جمع ابن النّديم في الفهرست، والشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعةِ قسماً منها.

Digitized by Google

حوزة بغداد الشيعية

إن حوزة بغداد هي جزءٌ من الحركة والنهضة العظيمة الكلاميَّة، والفقهية للحوزات الشيعةِ.

وقد اختصت هذه الحوزة، بهذا الأمر، ويمكن اعتبارُها من المدارس الكلامية القديمة للشيعة، بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة.

شرعت هذه الحوزة بنشاطها منذ عهد الإمام محمد الجوادعليه السلام (١٩٥ ـ ٢٢٠ هـ) حيث نبغَ فيها متكلّمون، وفقهاءُ، ووجوهٌ رفيعةُ المقامِ.

ذلك لأنّ للتشيع في بغداد جذوراً عريقةً، ترجع إلى زمن سلمان الفارسي (م ٣٦ هـ)[١] فإبراهيمُ أبو إسحاق المُنَجّمُ الشيعيُّ، هو الذي أشار على المنصور، بالساعةِ المناسبةِ للبدء ببناء بغداد، وذلك في ربيع عام (١٤٥ هـ)[٢].

لذا كان للشيعةِ في نهضة بغداد الثقافية دورٌ حساسٌ ومهمٌّ منذ السنين الأولى لبناء بغداد. علاوة على كونها إحدى مراكز نفوذ وتجمّع الشيعة، منذ بداية فتح العراق بكامله.

---

(١) حوزة المدائن.

(٢) دائرة المعارف الشيعية: ٤/٢٦ ـ ٢٧.

Digitized by Google

إنّ أسلوب تعامل الخلفاء العباسيين، في بغداد، مع التشيع، مختلفٌ ومتفاوتٌ، فقد كانت بغداد تزدهر ثقافياً، وتنتعش اقتصادياً، حينما يجد الشيعةُ فيها مُتّسعاً للحريّة نشاطاً وحركةً فكلما شرع الحكّام بإيذاء الشيعة بقتلهم أو باضطهادهم كلما انحدرت الثقافةُ وبادرت حركة البيع والشراء، في بغداد، وتعطّلت مصالح الناس، واتجهت الأمور نحو الانحطاط.

ولا يخفى على أحدٍ، بأنَّ القرنَ الرابعَ، ومطلعَ القرن الخامس، قد اقترنا بسلطة (آل بويه) وهي من أهم الأدوار الزمنيَّة في تاريخ الشيعة، لأنّ هذه البرهة الزمنية بالذات قد ساهمتْ في جمع شتات الكثير من الكتب الشيعيَّة مثل الكتب الروائية الأربعة: الكافي ـ من لا يحضره الفقيه ـ التّهذيب ـ الاستبصار.

وكذلك الكتب الرجالية الأربعة: فهرست الشيخ الطوسي ـ ورجال الشيخ الطوسي ـ ورجال النجاشي ـ ورجال الكشّي.

وهي محور ومدار التشريع عند فقهاء الإماميّة، ناهيك عن أنَّ مذهبَ التشيّع الاثني عشري قد تخلّصَ تدريجياً، في هذه الحقبة الزمنيَّة من السّبعيَّة، والغُلاةِ، والواقفية، والمعتزلة، وبعض الفرق الأخرى، التي انصهرت في مذهب التشيع، فاستطاع المذهب الشيعي أن يقف على أساس صلب، بالإضافة إلى أنّ مذهبَ أهل الحديث أو الاخبارية، مع بداية الغيبةِ الصغرى (٢٦٠ ـ ٣٢٩ هـ)، إلى النّصف الثاني من القرن الرابع الهجري، قد مَدّ ظلّه بالكامل على المدارس الشيعية، ليصبحَ القدرةَ المطلقة في الحوزات العلمية الشيعية.

Digitized by Google

لقد كانت مسألةُ المهدوية أيضاً، من المسائل المهمة في ذلك الحين، ومن الأمور المثيرة للبحث ومن هذه الزاوية هجم المخالفون على التشيع متّهمين إياهم باتهاماتٍ مختلفة.

وبعد وصول (آل بويه) إلى السلطة، في إيران والعراق، تبلورت سلسلة المدارس الفلسفيّة، والكلاميّة الشّيعيَّة ونهض عدد من المتكلمين المقتدرين الشيعةِ إلى ساحات الحوار الجاد، والجهاد العنيد، ضدّ الإخباريين، حتى استطاعوا كسر قدرة مدرسة أهل الحديث بنشر آثار وكتب منها:

تصحيح الاعتقاد، ومقباس الأنوار في الردّ على أهل الأخبار للشيخ المفيد ورسالة في الردّ على أصحاب العدد للشريف المرتضى، وبهذا الأمر، استطاع مذهب أهل العقل وأصحابُ الاجتهاد فصلَ الأمر وحَسْمَهُ لصالحهم[1].

وخلال حكم معزّ الدولة ـ أحمد البويهي، في جمادى الأولى عام (٣٣٤ هـ)، في عهد خلافة المطيع بالله العباسي، ووصول الشيعة إلى السلطة، عادت إلى الأمَّة حريتها وعادت حلقاتُ الدرس، وأبحاث: الفلسفة والكلام، والطبّ والنجوم، والعرفان، والرياضيات.

وازدهرت سائرُ أبواب العلم، لذا يُعَدُّ عهدُ (آل بويه) في بغداد من العهود المشرقة، في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ونذكرُ فيما يلي بعضَ مشاهير زعماءِ حوزةِ بغدادَ العلمية:

---

(١) مجلة الحوزة رقم ٧٨ ـ ١٣٧٥ هـ ش: ت ١٤٦.

Digitized by Google

ثقةُ الإسلام الشيخُ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هـ)، صاحبُ الكتاب النفيس الكافي، وكانت له الرئاسة على فقهاء الشيعة في عهد (المقتدر بالله العبّاسي)، وقد التحق به مختلفُ العلماءِ من بعيد أو قريب، ليمارسوا أعمالهم في مدرسته، وقد كتب الأستاذُ الدكتور حسين محفوظ في مقدمته على كتاب (الكافي):

«وكان مجلسُهُ يشبه مجلس أكابر العلماء، الراحلين في طلب العلم، وكانوا يحضرون حلقته لمذاكرته، ومفاوضته، والتفقّه عليه»[1].

شيخ المشايخ أبو عبد الله ـ محمد (م ٤١٣ هـ) المعروف بالشيخ المفيد، وهو من أعظم المتكلمين وفقهاء الإماميّة، كان له مئات الطلبة في الحوزة الذين يرغبون بكسب العلم.

علم الهدى الشريف المرتضى (م ٤٣٦ هـ)، وهو من متكلّمي وعلماء الشيعة المعروفين، وقد كان مقعد التّدريس في بغداد منحصراً به.

الشيخ أبو جعفر ـ محمد الطوسي (م ٤٦٠ هـ)، معروف بشيخ الطائفة، في عام (٤٠٨ هـ). جاء إلى بغداد من خراسان، ليلتحق بحوزة درس الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، وغيرهما.

وقد فوّض الخليفة العباسي (القائمُ بأمر الله)، مقعد تدريس علم الكلام، في حوزة بغداد إليه، ليلتحق طلاب العلوم الدينية

---

(١) أصول الكافي: ١/ ١٤.

Digitized by Google

من كلّ صوب بحوزته، وكان تلامذتُهُ أكثرَ من ثلاثمائة طالبَ علم.

أورد الشيخ آقا بزرك الطهراني في شرح حال الشيخ الطوسي، أسماء ستة وثلاثين تلميذاً من كبار تلامذته.

كانت الحوزة الشيعيةُ في بغداد، في تلك الأيام عنواناً للتربية، ومحطَّ رغبةِ علماء الدين والمجتهدين والمتكلّمين، وفقهاء الإمامية العظام، وميراثاً قيّماً، ومركزاً ثقافياً، لتخريج مئاتِ العلماء والفقهاء، والمتعلمين المعتقدين بمذهب (أهل البيت عليهم السلام)، إذْ امتازت هذه الحوزة بالهمّة العالية، والعمل الحثيث، لتبقى مشعلاً وضاءً للتشيّع، في كلِّ أنحاء العالم الإسلامي.

كان مذهبَ مدرّسِ التشيعِ وأنصارهِ، مظهراً من مظاهر الرّفض، لظلم بلاط الخلفاء العباسيين، ضدّ المجتمع الإسلامي، كما كان مذهب التشيع ايديولوجية متطورة عند المسلمين ومعتقداً رفيعاً وسامياً يتطلّعون إليه.

ولقد كانت هذه الحركةُ الفكريّةُ سبباً في اضطراب وارتباك البلاط العباسي ولذلك تحالف العباسيون مع أمراء الترك، ضدّ الأمراء الإيرانيين الشيعة، وأدّى هذا التحالف المشؤوم إلى سقوط الحكومة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ)، وراء النهر على يَدِ (اليتكين) زعيم الأتراك الغزنوية، بعد أن كانت خراسان مركز الحكومة السامانية ملجأ الشيعة على ما يحسبون، ناهيك عن سقوط حكومة آل بويه (٣٢٠ ـ ٤٤٨)، على أيدي السلاجقة.

Digitized by Google

ومع احتلال بغداد، من قبل طغرل بيك السلجوقي (٤٤٧ هـ)، تلاشت الحوزةُ العظيمةُ، والجامعةُ الكبرى الشيعيةُ في بغداد، لتأكل النسةُ النيران مكتبات الإمامية، ويقتل الشيعةُ في كلّ مكانٍ، فتطفو على السّطح الفتن الطائفية بين السنة والشيعة بشكل لا مثيل له.

ومن جملة الآثار الشيعية المحترقة، مكتبة الشريف المرتضى التي كان تضمُّ ثمانين ألف كتاب نفيس فريدٍ، ومكتبة أبي نصر شابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهي، التي بنيت (عام ٣٨١ هـ) في محلّة الكرخ الآهلة بالسكان الشيعة، على غرار (بيت الحكمة)، الذي بناه (المأمون)، و (بيت الحكمة) أيضاً، شملته نيران السلاجقة، فتلاشى إلى الأبد، وقد وصف (ياقوت الحموي)، هذه المكتبة في مقالة له جاء فيها:

«كان في المكتبة الموقوفة على أبي نصر شابور، كتبٌ أشبهُ بتلك الكتب التي لا يمكنُ العثورُ عليها في جميع أرجاء المعمورة، والأنكى من ذلك هو أنّ الكتب التي خطّها كتّابُ ممتازون ومعتبرون متخصصون في فروع التحرير والخط، إلاّ أنّها أثناء دخول (طغرل بك شاه السلجوقي) إلى بغداد عام ٤٤٧ هـ، أحرقتْ بالرغم من أنّ تلك المكتبة كانت واقعةً في محلة الكرخ»[1].

وكذلك أحرقوا منزل ومكتبة الشيخ الطوسي، وكرسيه الذي كان يدرسُ عليه، علم الكلام، الذي جاء به إلى ميدان الكرخ

---

(١) معجم البلدان ٢ ٣٤٢.

Digitized by Google

الكبير، فأشعلوا النّار فيه[1].

وبعد هذه الحوادث الأليمة، هاجر الشيخ مكرهاً، بصورة مخفية، إلى حوزة كربلاء، ثم هاجر بعد مدّة إلى النجف الأشرف ليؤسس هناك مدرستَه العلميَّةَ.

(١) المنتظم ـ ابن الجوزي.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة النجف الأشرف.. العلميَّة

تعتبر حوزة النجف العلميَّة من مدارس الشيعة القديمة، وقد تأسَّست على يدي الشيخ الطوسي، بعد اضمحلال حوزة بغداد، وفرار شيخ الطائفة الطوسي وهجرته إلى كربلاء، ثم إلى النجف الأشرف.

ويعتقد بعضُ الكتاب خطأً بأنّ حوزة النجف، كانت جاهزةً قبل هجرة الشيخ الطوسي إليها، وأساسُ القول هو إجازة نقل رواية (النَّجاشي) في عام (٤٠٠ هـ) عن الشيخ (أبي عبد اللَّه الخمري)، وقد نفى الشيخ أقا بزرك الطهراني، في مقدمته على تفسير التّبيان هذه الروايةُ، وكتب في ردّه عليها:

«إن إثبات محل إقامة المجاز إليه غيرُ كافية».

والشيءُ المسلم به أنَّ حوزةَ النجف الأشرف، تأسست في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، وكان الشيخ الطوسي أوَّلَ معلم لهذه الجامعة الشيعية الكبرى، وبعد وفاته (٤٦٠ هـ)، تزَعَمَ ابنه الشيخ أبو علي الحسن الطّوسي كرسيَّ التدريس فيها، ليستمر على ما كانت الحوزةُ عليه، في زمن أبيه.

وبعد (٥١٥ هـ)، أدار الحوزةَ ابنُهُ الشيخ أبو نصر محمد (م

Digitized by Google

٥٤٠ هـ)، ليستمر بإدارة الحوزة التي بقيت تُدارُ من قبل هذه الأسرة، إلى أواخر القرنِ السادس الهجري.

كانت الحوزةُ العلمية في النجف الأشرف متجهة نحو الأفول، حتى أوائل القرن العاشر الهجري فقد تجدّدت الحياة فيها، حينما هاجر بعض علماء الشيعة الكبار، من إيران، إلى النجف الأشرف مثل:

الشيخ الملاّ أحمد بن محمد الأردبيلي (م ٩٩٣ هـ)، المعروف بالمقدس الأردبيلي وهو من عظماء فقهاء الشيعة، وكان مقعد التّدريس في حوزة النجف مختصاً به، وقد تَتَلمذَ عليهِ، جمعٌ كبيرٌ من فحول علماء الإمامية منهم:

الشيخ الملا ـ عبد اللّه اليزدي (م ٩٨١ هـ)، وهو من كبار العلماء العقليين، وصاحب حاشية الملا، وهي إحدى كتب التدريس، في الحوزات الشيعية في المنطق والشيخ الجليل من آل الملالي.

السيد محمد العاملي صاحب المدارك، والشيخ منصور الحسن بن زين الدين (م ١١٠١ هـ) فأبوهُ هو الشهيد الثاني صاحب المعالم وغيره، والشيخ عناية الله قَهبائي (م ١٠٢٦ هـ) من كبار مشاهير علم الرّجال والدّراية، وآخرون من كبار علماء الشيعة.

لقد بدأ العهدُ الذهبي، عهدُ الازدهار لحوزة النجف الأشرف، حينما أمر الوحيد البهبهاني أحدَ طلابه، وهو السيد محمد مهدي بحر العلوم (م ١٢١٢ هـ) تأسيس المذهب الأصولي

Digitized by Google

التابع له في النجف الأشرف، ولِذلك ترك السيد محمد مهدي بحر العلوم، مسقطَ رأسه كربلاءَ ليتجهَ إلى النجف، فيجدّدَ الحياةَ في حوزتها العلميةِ، ويشدَّ عزيمتها، برسالتِهِ التاريخية، فيشرعَ بتربية مئاتِ العلماء والمجتهدين، والأدباء والشعراء والأصوليين، والمفسرين المعتقدين بمدرسة آل العصمة والطهارةﷺ.

ونذكر فيما يلي أشهرَ العلماء والزعماء العلميين في حوزة النّجف الأشرف:

السيد جواد العاملي (م ١٢٢٦ هـ)، صاحب مفتاح الكرامة، وقد قام بتربيةِ تلامذة كثيرين.

الشيخ جعفر كبير، صاحب كشف الغطاء، وهو من المدرسين الكبار في الفقه والأصول بالإضافة إلى ابنيه الشيخ موسى (م ١٢٤١ هـ)، والشيخ علي (١٢٥٣ هـ)، وهما من علماء حوزة النجف الأشرف.

وفي بداية النصف الثاني للقرن الثالث عشر الهجري، لمعتْ حوزة درس الشيخ محمد حسن النجفي (م ١٢٦٦ هـ)، المعروف بصاحب الجواهر، أكثرَ من الحوزات ليستفيد من درسهِ، مئاتُ الطلبة من مختلف الجنسيات، وليحظى أشهرُ طلبتِه بنصيب مرجعيَّة التقليد، مثل:

الشيخ علي الخليلي وأخوه الميرزا حسين الخليلي والميرزا حبيب الله رشتي. والشيخ عبد الحسين الطّهراني المعروف بشيخ العراقين، والشيخ الميرزا عبد الوهاب البرغاني آل صالحي، والشيخ الملاّ علي كني والشيخ محمد إبراهيم الكرباسي وحفيده

Digitized by Google

شيخ العراقين الشيخ أبو القاسم وغيرهم.

وبعد وفاة صاحب الجواهر ازدهرت الحوزة أكثر، في زمن الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، (م ١٢٨١ هـ)، والشيخ الأنصاري، هو من طلبة مدرسة كربلاء، أخذ أصوله من حوزة شريف العلماء الحائري، وأوجد تحوّلاً أساسيّاً في الفقه الشيعي، حتى بَدا في درسه الفقهي، أصوليّاً جديداً مبتكراً ولم يظهر ذلك عند الذين سبقوه، علاوة على تربيتهِ مئات الطلبة من مختلف الجنسيات، وبعد أن وجدت مدرسة الشيخ الأنصاري، رواجاً شديداً، بَرَز وجْهٌ منيرٌ آخرُ، هو الشيخ الميرزا حبيب الله الرّشتي (م ١٣١٢ هـ)، وقد كان من تلامذةِ صاحب الجواهر، كما كان بعدها من حواريي الشيخ الأنصاري وقد انتهى إليه كرسي التدريس بعد وفاة أستاذه الأنصاري.

وقد كتب الشيخ آقا بزرك الطهراني يقول:

«لقد احتوت حوزته مئاتِ الطلبة للعلوم الدينية، كان أكثرهم من شيوخ العلماء، وأفاضل الفقهاء والمجتهدين، ولم يكن في ذلك الزمن منافسٌ له في التدريس، وكانت حوزته أنفع من بقيّة الحوزات.

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، انحصرت الحوزة بالسيد أبي الحسن الأصفهاني والميرزا حسين النائيني وآقا ضياء العراقي ثمَّ بتلامذة هؤلاء الفحول الثلاثة:

السيد عبد اللّه الشيرازي الأصطهباناتي سيد إبراهيم، المعروف (بالميرزا آقا).

Digitized by Google

والسيد عبد الهادي الشيرازي، والسيد محسن الحكيم الذي انتهت إليه هذه الحوزة.

وبوفاة من ذكرناهم، انحصرت حوزة النّجف الأشرف بالسيد أبي القاسم الخوئي، وبعد وفاة السيد الخوئي (١٤١٣ هـ)، تبنّى إدارة حوزة النجف تلميذان من تلامذته هما:

السيد عبد الأعلىٰ السبزواري، ثم السيد علي السيستاني، إلى جانب آخرين.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة اليمن

وجدت الحوزة استقرارها، بعد مضي وقت غير قصير من اعتناق أهل اليمن للإسلام وقد اتجهت في فرعين قديمين:

أولاهما: الحوزة العلميَّة الشيعيَّة الإماميَّة.

والثانية: الحوزة الزيدية.

والمدرّسون الممتازون في هذه الحوزة كثيرون، أشهرهم:

أبو عبد الرحمن طاوُس (٣٣ ـ ١٠٦ هـ.ق)، ابن كيسان اليماني، من أصحاب الإمام السجّادعليه السلام، زين العابدينعليه السلام، ومن كبار الفقهاء، المفتين الإماميَّة في اليمن.

وقد كتب زكريا القزويني في آثار البلاد وأخبار العباد:

كان أبو عبد الرحمن طاوُس بن كيسان اليماني من مفاخر الأمة اليمنية، وأعلم علماء زمانه في أحكام الحلال والحرام، أمّا اليوم فله نسلٌ وذريَّةٌ في قزوين، هم من شيوخ العلماء، وهو جَدُّ والدتي، ومن أصحاب الإمام السجّاد زين العابدينعليه السلام، ويعدُّ في طبقة رواة الإمامية» كتب الرجال.

وقد سمع الحديث عن ابن عباس ومن زيد بن ثابت، وزيد

Digitized by Google

ابن أرقم وغيرهم، ثم أسّس كرسي التدريس، وقيادة الحوزة الإماميّة في اليمن، وقد روى عنه جمعٌ كثير من كبار التابعين. ومن الشيوخ القياديين الآخرين في حوزة اليمن العلمية الشيعية.

وهب بن المنبّه اليماني، من كبار مدرّسي ومؤسسي حوزة اليمن الشيعيَّة، ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٣) فقال فيه:

«كان يقول: إنني قرأت اثنين وسبعين كتاباً من الكتب الإلهية».

وكتبَ شرح حاله وترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان، والشيخ الطوسي، والكشي، والشيخ الخوئي وآخرون.

وقالوا: إنّ وهباً عالمٌ وعارضٌ، في أحوال وحياة الأنبياء، وعدّه الذهبي علاّمةً وإماماً في الأخبار والقصص والتاريخ.

وكتب الطبري أيضاً في تاريخ (٣/ ١٥٨):

«إنّ عطاء بن مركبود ووهبَ بن منبّه، هما أوّلُ شخصين جمعا القرآن الكريم في اليمن».

ومن أساتذة الحوزة الشيعية اليمنية:

عطاء بن مركبود اليماني (م ح ١١٥ هـ)، من علماء الشيعةِ الممتازين.

وقد كتب الأستاذ الشهابي في كتابه أدوار الفقه (٣/ ٤٤٨):

«ذكرت كتب رجال الشيعة والسنّة عدّةَ أفراد تحت اسم

Digitized by Google

عطاء، بعد ذلك نقل عن كتاب فقهاء اليمن تأليف سمرة الجعدي»:

ومنهم عطاء بن مركبود من أبناء الفرس، قال الشيخ أبو إسحاق، وكان آخر من جمع القرآن من فقهاء التابعين في اليمن وكان له كرسيُّ التدريس وزعامة الحوزة في اليمن، ومن العلماء الآخرين لحوزة اليمن الشيعية، الذي انتقل إلى مصر وأسّسَ فيها حوزة مصر الشيعية، وكان يديرها ابن شَدّ بن حنش بن عبد اللّه الصّنعاني اليماني (م ١٠٠ هـ).

وعدَّه ابن سعد في الطبقات (٥/٥٣٦)، في طبقة التابعين الثانية، وكتب أيضاً:

«انتقل إلى مصر من صنعاء اليمن، ليستمع إليه الكثير من المصريين في الحوزة، لما نقل من الحديث، وكانوا يروون عنه، وكان له الدور الفاعل في نشر ثقافة (أهل البيت عليهم السلام)، من بين علماء حوزة اليمن الشيعية، وأن أغلب كتب الرجال ذكرته بهذه الصفة.

الشيخ أبو عروة معمّر بن أبي عمرو راشد البصري اليماني (٩٥ ـ ١٥٣ هـ)، من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، إيراني الأصل، ذكره ابن سعد، في طبقاته الكبرى (٥/٥٤٦).

تعلّم في حوزة البصرة ثم هاجر إلى اليمن، وذكره في الطبقة الثالثة من التابعين وقد تعرّضت مقالات المؤرخين، والكتب الرجالية كثيراً إلى تعظمةِ مقامه العلمي ونَعَتتْهُ بأنه من المدرسين ذوي الرفعة، في حوزة اليمن الشيعيَّة، وأنّه كان يعمل بجدٍّ على تربية طلاب العلوم، تربيةً مثاليةً.

Digitized by Google

ومن شيوخ الحوزة الشيعية في اليمن الشيخ أبو بكر ـ عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني (١٢٦ ـ ٢١٢ هـ)، من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام صنّفهُ ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/٥٤٨)، في الطبقة الرابعة للتابعين، وقد صنّف مؤلفاتٍ نفيسة من بعده.

وذكر ابن النديم في الفهرست له كتابين من مؤلفاته:

السُّنن في الفقه والمغازي.

وأما الحوزة العلمية الزيديَّة في اليمن:

وهي أيضاً من الحوزات العلمية القديمة، ولها في التاريخ العلمي والثقافي الشيعي إسهامٌ واسع، وآثارٌ باقيةٌ علميَّةٌ غنيةٌ، ولا تزال إلى اليوم بهذه الصورة ويمكن مشاهدة الجامع الكبير في صنعاء بمكتبته العظيمة، التي هي ميراثٌ ثقافي زيدي وهي مستمرّة في نشاطها وفاعليتها بجدارة واضحة.

ومن العلماء الكبار لهذه الحوزة العريقة يمكن ذكر الإمام يحيى الملقّب بالهادي من أحفاد الإمام الحسين عليه السلام (٢٢٠ ـ ٢٩٨ هـ) وأخوه الشريف عبد اللّه (م ٢٨٤ هـ) وابنه الشريف محمد (٢٧٨ ـ ٣١٠ هـ)، وكلهم من العلماء والفقهاء الكبار في عصرهم، إذْ كان لهم الفضل في تربية تلامذة وطلاب ممتازين وموفقين، وكذلك جاء ذكر عددٍ من زعماء الزيدية، ومدرّسي حوزة اليمن، في ذيل عنوان الحسني، مع ذكر مؤلفاتهم وآثارهم القيّمة.

Digitized by Google

حوزة الأندلس

مع دخول المسلمين إلى الأندلس، هاجر الشيعةُ أيضاً إليها، فتشكّلت حوزة الشيعة في الأندلس، عندما بلغتْ دولة الشيعة الفاطميين في مصر، قمّةَ الاقتدار، وصار علماء الشيعة من أجل نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام، يهاجرون إلى الأندلس، ويصدرون عنها.

ومن علماء الشيعة الذين لمع اسمهم في حوزة الأندلس الشيعية:

الشيخ أبو العباس أحمد بن عماد المهدوي التميمي المقرىء الأندلسي (م ٤٤٠ هـ)، وهو من المفسرين والنحويين الشيعة، ومن القرّاء الساميين في الأندلس، وهو أصلاً من مدينة مهدوية قيروان مصر التي كانت مركزاً للاسماعيلية، ويعدُّ من جملة علماء الشيعة، الذين هاجروا إلى الأندلس، وساهم في نشر مذهب (أهل البيت عليهم السلام) بجدية.

كانت مواضيعُهُ العصريَّةُ، وأسلوب تدريسهِ، وقدرة بيانه، وحسن تفهيمه في درس الكلام، وتفسير القرآن، باعثاً على زيادة طلاب حلقة درسه، وقد سعى به مخالفوه، بسبب تشيعه عند

Digitized by Google

الحاكم الأندلسي فقالوا: بأنّه ينسبُ تفاسير الآخرين في دروسه إليه ـ إلى نفسه ـ فَسَلَبَهُ الحاكمُ ذلك التفسير، وطلب منه مجدّداً تأليفَ تفسير ثانٍ، فألّفَ تفسير «التحصيل في مختصر التفصيل» فجدّد تفسيره هذا أغلبُ المؤرخين.

ومن القادة الفكريين الآخرين لهذه الحوزةِ: الشيخُ أبو عبد الله محمد المعروف بابن الأبار البلنسي الأندلسي، فقد اشتغل في تلك البلاد أيضاً في كسب العلم، ليبلغ مقام الاجتهاد، وفيها اعتمَدَ التدريس في حوزتها.

وقد ذكرتْ مؤلفاتُه في دائرة المعارف الشيعية: ٣/ ٤١٤.

ومن الأساتذة الممتازين الآخرين، في حوزة الأندلس الشيخ أبو الخطّاب عمر بن محمد المعروف بابن دحيّة (م ٦٣٣ هـ)، من كبار المدرسين في حوزة الأندلس، وهو من أحفاد ابن دحيّة بن خليفة بن فروة الكلبي، من أصحاب رسول الله ﷺ وأمّه من نسل جعفر الكذاب، لذلك ذكر نفسَه في مؤلفاتِهِ، بذي النسبين، وقد تحمّل عناء السفر إلى خراسان، لأجل الاستماع إلى الحديث، ليصبحَ بعد سنين شيخَ الحديث، في دار الحديث، بكامليّة (القاهرة).

كتب عنه (ابن عماد الحنبلي) خطأً، إذْ قال أنّه من علماء الحديث، ومن كبار أهل السنّة.

ومؤلّفاتُهُ وترجمتُهُ موجودة في دائرة المعارف الشيعية: ٣/ ٤١٤.

وكذلك الشيخُ عبد الله بن أبي بكر البلنسي الأندلسي ابن

Digitized by Google

الأبار (م ٦١٩ هـ) من علماء الشيعة، ومن زعماء التدريس في بلنسية الأندلس، كان يقيم صلاة الجماعة نيابةً عن القاضي أبي الحسن في مسجد (السيدة بلنسية)، وله مقعد التدريس والفتوى والزّعامة، في بلنسية، وفي الحروب الصليبية ظهر له دورٌ مهمٌّ وتاريخيٌّ عملي، وثبت له في كتب المسلمين والنّصار جهادٌ عريق.

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزة العلمية في الحلّة

وهي من الحوزات ذات الصدى الواسع للشيعة، باعتبار بروز جمعٍ كثيرٍ من أركان الإسلام، وأئمّة المؤلفين من هذه الحوزة.

إنّ أول مؤسس لمدرسة الحلّة هو الشيخ أبو عبد اللّه فخر الدين محمد العجلي الحلّي (م ٥٩٨ هـ)، المعروف بابن إدريس من رؤساء المذهب، ومن أرباب الفتوى.

وبعد مرور قرنٍ واحدٍ على وفاة جدّ أمّه شيخ الطائفة الشيخ الطوسي (م ٤٦٠ هـ) قام بنهضتهِ في طلب الإصلاح، فأدخل نقاطاً علميَّةً دقيقةً في فقهِ الشيعةِ، بتلك الصِّبغة، وبرونقٍ خاص، وقد كان له الدورُ الأهمُّ والأساس في المسيرة التكاملية، للفقه الشيعي.

إنّ ابن ادريس مارس الشَّجاعة العلمية، في كسر قيود التقليد من آراءِ شيخ الطائفة الشيخ الطوسي جَدِّ أمِّهِ، فهذه النهضة الفكرية بعثت على أن يتصوّر بعضهم خطأً في ترجمةِ وشرح حال الكتاب، وأن ابن إدريس ـ وفق تصوّرهم ـ قد انتقدَ الشيخ

Digitized by Google

الطوسي، في الوقت الذي نجدُ فيه الكثيرَ من أقوال ابن إدريس، في فصولٍ مختلفةٍ من كتابهِ أبواب السرائر. وبالذات في باب صلاة الجمعة وغيره، التي تحكي كلّها باطراد وتمجيد الشيخ الطوسي.

كانت حوزة (ابن إدريس) في الحلّةِ، من الحلقات التدريسية الشيعية الكبرى في ذلك العصر، وكان العلماءُ بأصنافهم والمجتهدون، ينتفعون بدَرسِهِ من قريب أو بعيد ومن عرب وعجم، على حد سواء.

ومن الوجوه العلميَّة لزعماء حوزة الحلة، بعد (ابن إدريس) الشيخ أبو المظفّر سديد الدّين - يوسف بن علي الحلي (م ح ٦٦٥ هـ)، من شيوخ علماء الحديث وطرقِ الإجازات، وقد نقل ابنه العلاّمةُ الحلّيّ فتاواه في مؤلفاته، وكذلك كَتَبَ حفيدُهُ فخرُ المحققين لابن العلامةِ الحلي في إجازته لابن المهنّا يقول:

«وأجزتُ أيضاً نقلَ مؤلفاتِ أبي وجدي في أصول الحديث».

وقد اختصَّ به مقعدُ التدريس والفتوى، في الحلّة، ويذكر بعضُ الكتّاب خطأً فيقولون:

بأنَّ ازدهار حوزة الحلّة، جاء بعد انهيار بغداد (٦٥٦ هـ) بجملةِ المغول وهجومهم عليها، في الوقت الذي كانت فيه حوزة الحلّة، فعّالةً ونشيطةً، قبل هذا التاريخ. وقد بلغت الذورة، في عهد المحقّق الحلي، بعد انهيار بغداد، وهجرة علمائها، وعلماء سائر المدن الأخرى، إلى الحلّة.

Digitized by Google

وقد لَمَعَ اسمُ اثنين من الشخصيات العلميةِ الشيعيةِ، في حوزة الحلة بعد (ابن إدريس).

الأول: الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر م ٦٧٦ هـ، المعروف بالمحقّق الحلّي وهو من عظماء علماء الإماميَّة، إذْ كان حضورُ درسه همَّ جُلِّ العلماء، وفضلاء طلاب العلوم الدينية.

وقد وردَ الخواجه نصير الدين الطوسي يوماً، إلى مجلس درسه في الحلَّة، فقام المحقق الحلّي احتراماً له، قاصداً أن يجلسَهُ مكانَه على مقعد الدرس، فأمره الخواجة نصير الدين الطوسي بالاستمرار، وكانَ بحثُ المحقّق الحلي حولَ القِبلة، إذْ كانَ يقول: أنَّه يستحبُّ لمن يُقيمونَ في العراق، أنْ ينحرفوا قليلاً إلى اليسار منها.

فأشكل عليها الخواجه (نصير) وقال:

«لا يوجدُ هنا موردٌ للاستحباب، إذا كان الفردُ واقفاً باتِّجاهِ القبلة، وهنا يكون انحرافُهُ عَنها حرام، وإذا ما كان غيرَ متَّجهٍ إلى القبلةِ، ومائلاً إلى جهة وجبَ عليه أن يميلَ صوبَها، فقال المحقّقُ الحلي مباشرةً: من القبلةِ صوبَ القبلة، فسكت الخواجةُ بعد ذلك كتب الخواجة نصير الدين رسالةً في هذا المطلب وبعثها إليه.

وقدم المحقق الحلي خدمة كبرى، لمسيرة فقه الإماميَّةِ التكاملي، وأوجدَ في النظام الحقوقي تحولاً جديداً مبتكراً، حيث أنّ كتابَهُ الشرائع، يُعَدُّ من الكتب التي لا ينافسها كتابٌ، في المراكز الثقافية، وهو كتاب تدريسي حوزوي، وجزءٌ من النصوصِ المهمةِ في الفقه الشيعي، يعملُ به إلى الآن، ويستخدمُهُ طلبة

Digitized by Google

العلوم الدينية في الحوزات الشيعية.

الثاني: بعد المحقّق الحلّي، هو ابن أخته الشيخ جمال الدين أبو منصور ـ حسن (م ٧٢٦ هـ) المعروف بالعلاَّمةِ الحلّي، المُجدّدِ في مذهب الإماميَّةِ، في القرن الثامن الهجري.

كانت حوزة درسهِ، من أكبر مجالسِ الدرس في ذلك العصر، وأنّ عظماء العلماء قد تخرجوا من حوزته، وهو من أوجد توسّعاً لا نظير له، في النظام الحقوقي ليضعَ أساساً متيناً للبحوث الفقهية، والبحوث المتفرعة عنها، ناهيك عن تنقيح مباني فقه الإمامية، حيث لا نجدُ شيئاً من قبيل ذلك لغيره، في كتب الفقهاء الماضين.

وبعد وفاة العلامة الحلي، تسلّم كرسيَّ التدريس ابنُهُ الشيخُ فخر الدين أبو طالب ـ محمد (م ٧٧١ هـ) المعروف بفخر المحقّقين، وكان مقعد التدريس بعد ابنه منحصراً بهِ فقط، ويعدُّ الشهيدُ الأولُ، من أشهر تلامذته، وقد عرفت أسرةُ سدبد الدين الحلّي بما لَهَا مِن دورٍ مُهمٍّ عظيمٍ، في النهضةِ الفكرية وزعامةِ الحوزةِ العلمية في الحلة.

ومن الوجوه العلميَّة الكبيرة الأخرى، التي كان لها الدور الفاعل في الحوزة العلمية في الحلَّة ابن أبي الفوارس، وابن طاوُس، وابنُ ورّام، والشهيدُ الأول، ونذكرُ هنا أيضاً، بأنّ الكتب التي كتبها العلامةُ الحلي، كانت الأولى، في الفقه الشيعي، على طريقةِ دائرة المعارف الشيعية.

Digitized by Google

حوزة جبل عامل

تشمل منطقة جبل عامل، مساحةً واسعةً، لا بأس بها من لبنان، وقد دخلَ سكان هذه الناحيةِ في التشيع، منذ عهد نفي أبي ذر الغفاري (م ٣١ هـ)، وهو الصحابيُّ المعروف.

ولقد نفى عثمان في ذلك الوقت أبا ذرّ الغفاري إلى الشام، ليبعدَه معاويةُ أيضاً إلى جبل عامل، وفي المنطقة مَسجدٌ منسوبٌ إلى أبي ذر، قائم إلى عصرنا الحاضر.

كان أبو ذر ينقل الأحاديثَ، ويذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام، في منطقة جبل عامل ولكن ـ للأسف ـ فإنّ عدمَ اهتمام الماضين بتسجيل الوقائع التاريخية، وتلفَ ما سجّل منها، قد جعلنا لا نرى تاريخاً واضحاً أميناً ناطقاً يشيرُ إلى ماضي الحوزة الشيعية، في جبل عامل.

لكنّ الشواهدَ التاريخيةَ تؤكّدُ أنَّ الحوزاتِ الباقيةَ الصغيرة، مثلَ حوزة جبل عامل كانت أيضاً مرتبطةً ومتعاطفةً ومنسجمةً مع الحوزات الشيعيةِ الكبرى مثل حوزة بغداد، وكربلاء، والحلَّة، لأنّ علماء الشيعة في طرابلس، كانوا يتقدمون بالأسئلة إلى السيد (المرتضىٰ (م ٤٣٣ هـ)، ليُجيبَهُمْ عليها، وهي رسائلُ مذكورةٌ في

Digitized by Google

أجوبةِ المسائلِ الصيداوية، بأجوبة المسائل الطرابلسية، الأولى لغاية الرابعةِ مسجّلةٍ ومثبتةً في (الفهرست)، وأجوبةُ المسائلِ الطرابلسيةِ الثالثةُ تشتملُ على (٢٣) مسألةً.

ومن علماء القرن الخامس الهجري الكبار، في حوزة جبل عامل الشيخُ أبو عبد اللّه ـ محمد بن هبةِ الله الطرابلسي، وهو من تلامذةِ الشيخ الطوسي، صاحب الزهرة في أحكام الحجّ والعمرة، والوساطة بين النفي والإثبات، وعددٍ آخر من مؤلفاتهِ.

ومن العلماء وزعماء حوزة طرابلس. الشيخُ أبو القاسم سعد الدّين (م ٤٨١ هـ) المعروف بابنِ البرّاج من أئمةِ الفتوى، وقاضي قضاة طرابلس، وقد التزم تَربيةَ الكثير من الطّلبة.

وبعد وفاة ابن برّاج تزعم الحوزةَ الشيعيةَ الشيخُ أبو الفضل أسعد بن أحمد بن أبي روح الطرابلسي (م قبل ٥٢٠ هـ)، من فحولِ الفقهاء.

وقد كتب ابن حجر:

«الرّافضي قاضي طرابلس، له تصانيف في الرّفض، وكانَ متعبّداً زاهداً.

وذكره ناصر خسرو في مذكرات سفره إلى مدينة طرابلس بالشكل التالي:

«وذهبنا إلى مدينة طرابلس، وفيها مسجدٌ جميلٌ وطاهرٌ ونظيف وقد بنيت قُبّةٌ ضُربت على المسجد، وسكان هذه المدينة هم كلّهُمْ من الشيعة، وقد قام الشيعةُ ببناء المساجدَ الجميلةَ والحَسَنة في كل البلاد.

Digitized by Google

ومن علماءِ الشيعة في حوزةِ لُبْنان أيضاً الشيخ نجم الدين ظمآن أو طومان بن أحمد العاملي (م ح ٧٢٨ هـ)، من عظماء العلماء وفقهاء الإمامية، وقد اختصَّ به مقعد التّدريس، وزعامة الحوزة العلمية لجبل عامل، في ذلك الحين.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة جزّين

وهي من مدارس جبل عامل التي أسسها الشيهدُ الأوّل، في القرن السابع الهجري، وقد ازدهرت في فترةٍ زمنيةٍ معيّنة.

أوّل علماء هذه السلسلة هو الشيخ طه بن محمد بن فخر الدين جَدُّ الشهيد الأول (م.ق ٦٩٠ هـ)، وبعد وفاته، جاء الشيخُ جمال الدين المكي بن محمد العاملي الجزّيني (م ح ٧٣٤ هـ)، مدرّسُ هذه الحوزة، وأبوه هو الشيهد الأول.

جزّين هي إحدى قرى جبل عامل، وفي عصر زعامة الشيخ جمال الدين المكي العاملي تحولت إلى مركز ثقافي كبير للشيعةِ، فقد أديرتْ حوزة جزين بأيدٍ مقتدرةٍ فكان الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن المكي العاملي (م ٧٨٦ هـ)، المعروف بالشهيد الأول، في بداية النصف الثاني، من القرن الثامن الهجري، قائدَها الروحي وقد ربّى الشيخُ الكثيرَ مِنَ الطلبةِ.

وقد كتب الشيخُ الحرُّ العاملي:

«وقد سمعتُ من بعض مشايخنا، أنّه اجتمع في جنازةٍ، في قرية من قرى جبل عامل، سبعون مجتهداً في عهد الشيهد وما قاربَهُ».

Digitized by Google

لقد أوجد الشهيدُ الأولُ، نهضةً علميةً عظيمةً في جزين، وقد ثبّت نظاماً جديداً في إدارة حوزته، فبادر إلى تعيين وكلاء عنه، في أكثر المراكزِ الشيعيةِ ليجمعوا الحقوقَ الشرعيّة، ثم ليوزعوها على المستحقين، بإشراف الفقيه.

وقد وصل نفوذُه إلى خراسان، فدعاهُ الأميرُ علي بن مؤيد حاكم خراسان بواسطة وزيره الشيخ محمد آوى الذي بعثَهُ إليه، ثمَّ دعاهُ لهداية الشيعة ولقبول مرجعيتها، وللعمل على هذا الطريق.

لكنه رفضَ، وألّف كتاباً في أسبوع واحدٍ، أسماهُ اللمعة وبعثه إلى الأمير.

وقد ذكره كلٌ من الشيخ الحرّ العاملي، والسيد حسن الصدر، والشيخ آقا بزرك الطهراني، والسيد محسن الأمين، بالتفصيل في أعيان الشيعة مع أسماءِ تلامذة الشهيد.

Digitized by Google

حوزة جبع (جباع)

وهي من الحوزات الشيعية في جبل عامل.

وتعتبر هذه المدرسةُ إحدى المراكز المهمة، ومهداً لتربية المجتهدين والعلماء الشيعة، والكثيرُ من فحول علماء الشيعة، تخرّجوا من هذه الحوزة العريقة ليضيئوا الدّرب، على مدى قرون بمشعل مذهب أهل البيت عليهم السلام للآخرين.

وقد ذكر السيد محسن الأمين، ثلاثةً وثلاثين اسماً من أسماء المدرّسين والعلماء وزعماء هذه الحوزة الشيعية الأصيلة.

تأسستْ حوزة جبع في حدود عام (٧٢٦ هـ) على يد الشيخ صالح بن مشرف العاملي الجبعي، الجدِّ الرابع أو الثالث، للشهيد الثاني، ومن العلماء الآخرين وزعماء الحوزة في جبع الشيخ نور الدين علي بن أحمد الجبعي (م ٩٢٥ هـ)، المعروف بابن الحَجَّة ـ أو ابن الحاجَّة، وهو الأبُ والأستاذ للشهيد الثاني.

والشيخ زين الدين بن نور الدين علي العاملي الجبعي، المعروف بالشهيد الثاني، من أركان الطائفة الجعفريَّة، تجشمَ عناء السفر إلى دمشق، ومصر، والحجاز، والعراق، بعد وفاة والده،

Digitized by Google

فانتفع هناك بعلم وأدب كبار العلماء، ليرجع إلى جبع ويديرَ مدرستها الكبرى.

وقد قام الشيخ بتربية المئات من الفقهاء المعتقدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام، في هذه المدرسة، وبعد استشهاد الشهيد الثاني في القسطنطينية (سنة ٩٦٦ هـ) وقد قام بمسؤولية الحوزة في جبع، من بعده أبناؤه، وأحفادُهُ وتلامذتُهُ لتبقى الحوزةُ عاملةً فاعلةً في تدريس طلبة العلوم الدينية.

وفيما يلي أسماءُ عدد من مجتهدي وزعماء حوزة جبع:

الشيخ شمس الدين محمد، من كبار العلماء، ومن أساتذة حوزة جبع، قبل الشهيد الثاني، الشيخ حسن بن مهرين العاملي الجبعي من المعاصرين للشهيد الثاني، و الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن (م ١٠١١ هـ)، ابن الشهيد الثاني، والمعروف بصاحب المعالم، والسيد محمد بن علي الموسوي الجبعي، ابن أخت الشهيد الثاني، وهو معروف بصاحب المدارك، والشيخ فخر الدين محمد، حفيد الشهيد الثاني، ومؤلف روضة الخواطر، والشيخ بهاء الدين محمد بن علي الجزيني، من خواصّ تلامذة الشهيد الثاني، والشيخ حسين بن عبد الصمد الجبعي، والد الشيخ البهائي والشيخ علي بن زهرة، والشيخ محيي الدين أحمد بن تاج الدين الميسي العاملي، والشيخ إبراهيم الكفعمي بن علي الجبعي، من مشاهير علماء الشيعة (م ٩٠٥ هـ)، صاحب المصباح والبلد الأمين، في الأدعيَّة.

فما ذكرنا من أسماء هم في الأعمّ الأغلب، من تلامذة الشهيد الثاني.

Digitized by Google

ومن آثار الشهيد الثاني في جبع مسجدٌ باسمه معروف إلى اليوم وقد كان هذا المسجد يوماً محلّ إقامة الحوزة الدّراسية التي كان يتزعمها الشهيدُ الثاني، رحمةُ الله عليه.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة كَرَكُ نوح

كرك نوح (بفتح الكاف والراء)، تقع في النهاية المطِلَّةِ على جنوب جبال لبنان، وتنسب هذه المدرسة إلى النبي نوح عليه السلام، لذا سميت بكرك نوح، تأسست هذه الحوزة منذ القرن التاسع لتزدهر في القرن العاشر الهجري، في عطائها مدّة زمانها، باعتبار أن الكثير من العلماء قد تخرج من هذه الحوزة، وأنّ أكثر المهاجرين في زمنِ الصفويين، كان من علماء جبل عامل مِنَ المجتهدين في كرَك نوح، الذين هاجروا إلى إيران.

وأشهر هؤلاء العلماء هو الشيخ نور الدين علي بن حسين عبد العالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني، هاجر إلى إيران، وسكن في مدينة قزوين، حيث فوّض له الشاه طهماسب منصبَ شيخ الإسلام، وكان من المتولين في قزوين، أسرة شيخ الإسلام، وكذلك تولية قم، وتولية الإهداء في مقام الشاه عبد العظيم الحسني. وله بناتٌ متوليات ويلقبون بـ أسرة التولية وشيخ الإسلام.

يقول السيد محسن الأمين في كتاباته:

«كانت مدرسة كرك، في أوائل القرن العاشر الهجري، قبلةً

Digitized by Google

لطلاب العلوم الدينية، وقد التحق الشهيد الثاني بهذه الحوزة العلمية لكسب العلم، مثلما حدث له هذا الأمرُ أيضاً في شرح حاله وأخباره».

ومن أشهر المجتهدين وزعماء التدريس في حوزة كرك نوح، السيد حسن بن سيد أيوب، المشهور بابن نجم الدين، الأعرجي الحسيني الكركي، من مشايخ الشهيد الأوّل، والسيد بدر الدين حسن بن السيد جعفر الكركي (م ٩٣٣ هـ). من مشايخ وأساتذة الشهيد الثاني، وابن خالةِ المحقق الكركي، والسيد حسن ابن حسن الكركي القزويني، صهر المحقق الكركي، والسيد علي ابن السيد حسن الكركي، الصهر الآخر للمحقّق!..

آثار ومعالم مدرسة جبل عامل:

لقد أشرنا سابقاً، إلى أنّ حوزةَ جبل عامل، كان لها دورٌ أساسي ومهمٌّ في نهضة الفكر الشيعي، وقد تركت لنا ميراثاً ثقافياً قيماً في الفقه والأصول، والأبحاث الأخرى، أشهرها:

اللمعة الدمشقية: وهي من الكتب المدرسية، في حوزات الشيعة.

القواعدُ الفوائد، غاية المراد، ذكرى الشيعة، ألفيّة، نقليّة، الدروس الشرعيّة، البيان، وغيرها.

وكل تلك العناوين، من مؤلفات الشهيد الأوّل، وتُعدُّ من المصادر الفقهية المهمة والقيمة للفقه الشيعي.

ومن الآثار الأخرى لمدرسة جبل عامل، الكتاب المشهور بـ

Digitized by Google

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وهو شرح كامل للشهيد الثاني، ومن كتب التدريس المهمة عند الشيعة، حتى زمنِنا الحالي.

ومن مؤلّفات الشهيد الثاني الأخرى:

روض الجنان، مسكن الفؤاد، المسالك، منية المريد، ومن الآثار المهمَّة الأخرى كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين، المعروف (بالمعالم)، من تأليف الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني، وهو من أفضل الكتب في أصول الفقه الشيعي ويشمل أمّهات المسائل الأصوليَّة، التي لم تشاهد في آثار السالفين أبداً.

ومن مؤلّفاته الأخرى: كتابُ منتقى الجمال في الأحاديث الصحاح والحسان، مع تبويب الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وهو كتابٌ نادر في نوعه وموضوعيتِهِ، ولَهُ أيضاً: المناسك، الحج، الرسالة الاثني عشرية، وغير ذلك.

وكتاب مدارك الأحكام، من تأليف السيد محمد العاملي الحلّي (م ١٠٠٩ هـ) حفيد الشهيد الثاني، وقد تكرّرت طباعَتُهُ عدّة مرات.

أمّا المُؤَلَّفُ القَيّمُ أعيان الشيعة، فهو من تأليف: السيد محسن الأمين بن السيد عبد الكريم العاملي (م ٣٧١ هـ)، المجتهد والمرجع الذي قَلَّدهُ الشيعة الإماميون، في بلاد الشام، وقد تكررت في إيران وبيروت.

وكذلك مجلَّد مستدركات أعيان الشيعة، من تأليف السيد حسن بن السيد محسن الأمين العاملي، ومؤلفه الآخر دائرة

Digitized by Google

المعارف الإسلامية الشيعة الذي انتشر مجلّده الثامن حتى اليوم.

وفي أواخر القرن العاشر الهجري، وبعد استشهاد الشهيد الأول، والشهيد الثاني بالإضافة إلى الإنهيار والتراجع الذي مني به الشاه إسماعيل الأول في (جالداران) على يد السلطان سليم العثماني، (٩٢٠ هـ)، عَدا عن انتشار قتل الشيعة، في عهد العثمانيين.

وكلّ هذا وذاك كان سبباً لأن يهاجر عدد من علماء حوزة جبل عامل إلى إيران ويتخذوا من قزوين، وري، وقم، محلّ إقامةٍ لهم بشكل دائم.

ولقد تركت الهجرةُ الواسعة لعلماء وفقهاء الشيعة في حوزات إيران العلمية الشيعيَّة، آثاراً واضحةً نتطرق إلى شرحها بالتفصيل.

Digitized by Google

حوزةُ ري

قال بعضهم إن بداية شروع الحوزة العلمية، في ري كان في عام (٢٧٥ هـ) وأثناءَ احتلال البلد مِنْ قبل أحمد بن الحسن الماوراني، الذي أظهر بعد انتصاره على هذه المدينة تَشيّعَهُ للناس، فتقرّب الناسُ إليه بتصنيف الكتب الشيعية العريقة، ومن جملتهم عبد الرحمن أبو حاتم، في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وكان قد صنّفَ غيرَ هذا كتاباً آخرَ في زمن (المعتمد) العبَّاسي.

كان مَلِكُ الري وتوابعها منذ بداية القرن الأوّل الهجري، في خلالة الأمويين، موضع اهتمامهم، وقد قام عمر بن سعد بقتل الإمام الحسين عليه السلام، نتيجة الوعود التي قطعها (ابن زياد) له بتمليكه الريّ، إن أقام تلك الفاجعةَ، وبسبب بعد حوزة الريّ عن بغداد، عاصمة الخلافة العباسيّة، تبدّلت إلى قاعدة مهمَّةٍ للحركة الفكريَّة، والمذهب الشيعي في إيران.. رويداً رويداً، وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تعترضها آنذاك فقد تمكّنَ علماءُ الشيعة الواعون، من نشرِ مذهب أهل البيت عليهم السلام.

ومن مدرسي حوزة ري: الشيخُ أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الاسترابادي الرازي (م ٤١٥ هـ)، من كبار متكلمي الإمامية، والشيخ أبو بكر أحمد بن الحسين الخزاعي (م ح ٤٨٠

Digitized by Google

هـ)، من عظماء علماء الشيعة، وهو صاحب مؤلفات، وابنهُ الشيخُ أبو محمد المفيد عبد الرحمن (م ح ٥١٠ هـ).

كتب ابن حجر في الشيخ أبي محمد المفيد:

«ويقال أنّه كان في مجلسِهِ أكثرُ من ثلاثة آلاف محبرة».

ومن الأساتذة الآخرين لحوزة ري: الشيخ المفيد أبو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله (ولد في شعبان عام ٥٠٣ هـ)، من تلامذةِ الشيخ الطوسي، وسلار وكتب آقا بزرك الطّهراني، في طبقاتِ أعلام الشيعة فيه:

«قرأ عليه في زمانه المتعلمون قاطبةً، من السادة والعلماء».

وله تصانيف بالعربية والفارسية.

وأنّ جماعةً كثيرة، من فحول علماء الشيعة، قد رَووا عنه وتتلمذوا على يَده.

ومن المدرسين، ذوي الصّيت الرفيع في الحوزةِ الشيخُ أبو الفتوح الرّازي بن علي (٤٧٠ ـ ٥٥٤ هـ)، من العلماء والشيوخ المفسّرين الشيعةِ، على مدى سنوات طوال في حوزة ري، حيث كان يتزعمها ويربي فيها تلامذةً كثيرين.

والشيخ عبد الجليل القزويني الرّازي، وهو من طلبة ومدرسي هذه الحوزة العلميّة، وقد شرحَ وتطرّق في كتابه النّقض الذي ألفه عام ٥٦٠ هـ إلى عدد من المدارس الدينية، التي كانت تمارس عملها في حوزة الري، وقد ذكر الشيخ منتجب الدين الرّازي، أسماء عددٍ من المتكلمين والأساتذة، والرّواة الممتازين الشيعة لحوزة ريّ في الفهرست.

Digitized by Google

حوزةُ قزوين العلميَّة

عرفت حوزة قزوين بقدمها تاريخياً، علاوةً على كونها كانت مهداً لتربيةِ الطلبةِ والعلماء والمجتهدين، وأرباب الحديث، ومركزاً للتعليم، عرفت بإنجاب العلماء من أمثال: أسلم الدّيلمي القزويني، أحدِ أصحاب الأئمةِ المعصومين عليهم السلام، كالعلم بين الأصحاب.

هاجر أبوه إلى الكوفة ليلتحق بأهل بيت أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وكان ابنُهُ أسلم، قارئاً للقرآن، وعام (٦١ هـ) استشهد في موكب سيدِ الشهداءِ الحسين بن علي عليه السلام.

إنّ الكثير من أصحاب الأئمة عليهم السلام، قد مدّوا بساط التدريس في حوزة قزوين العلمية، وانحصر كرسي الدراسة بكثير منهم فيها مثل:

طاهر بن حاتم القزويني، مِنْ أصحاب الإمام الرّضا عليه السلام، والشيخ أبو الفرج المظفر بن علي حمدان القزويني (م ح ٤٠٨ هـ)، أحدِ سفراء الحجّةُ بن الحسن (عج)، وكثيرٌ من الأسر القديمة، من أهل العلم والفقهِ، في قزوين أيضاً.

كان لهم مقاعد التدريس والتعليم، على مدى سنين طويلة. مِنْ جملتهم:

Digitized by Google

١ ـ آل جعفري.

٢ ـ آل حاتم القزويني.

٣ ـ آل زينبي. من ذرية (عبد الله بن جعفر الطيار).

٤ ـ آل صاحب النقض عبد الجليل القزويني. وغيرهم.

كانت قزوين في الماضي مركزاً من المراكز المهمة لتعليم وتدريس أهل السنة أيضاً. وقد ذكر عبد الكريم الرّافعي القزويني (م ٦٢٣ هـ)، مفصّلاً هذا الأمر في كتابه: التّدوين في أخبار قزوين.

أمّا معلوماتُنا بصدد الحوزات العلمية الشيعية في قزوين، قبل السُّلالة الصفوية وكيفية نشوئها وتطوّرها فقليلةٌ جداً.

لقد أشار عبد الجليل القزويني في كتابه "النّقض" إلى المدارس الشيعية، في هذه المدينة وكيف تألّق وازدهر التدريس، وتحصيل المعارف الشيعية فيها فيقول:

«وقبل أن أتعهد بتأليف كتاب في الردّ على كتاب فضائح الرّوافض فتح بعضُ علماء الشيعة في قزوين الباب على هذا العمل».

كان لتأسيس الدولة الصفوية الأثرُ الملموس، في التحوّل العظيم لحوزات الشيعة العلمية، إذْ أعلن بشكل رسمي، أنّ المذهب الشيعي، هو المذهب الرسمي للدولة، ولم يمض وقت طويل، حتى قرّر الشاه طهماسب اتخاذ قزوين عاصمةً للدولة الصفوية، فأضحت قزوين أحد المراكز العلمية المهمّة الثقافية للشيعةِ علاوةً على مركزها السياسي والعسكري، فصار الفقهاء

Digitized by Google

والمحدثون الكبار يتدفقون عليها، من أطرافها وأكنافها، ليبدأ أنصارُ المدرستين المرجعيتين المتنافستين الفلسفيتين المدرسة الدوانية، والمدرسة الدّشتكية، فأخذا بنشر أفكارهما في هذا المركز العلمي، وبهذه الطريقة تأسست المدرسة الفقهية، في قزوين.

وكان من خصوصيات هذه المدرسة الفقهية، أن طرحتْ حدود واختيارات الفقيه، ومسألةَ صلاة الجمعة، الخراج، المقاسمة، وأسلوب الحكومة الإسلامية.

ولقد انتقلت هذه المدرسة بالإضافة إلى المدرسة الفلسفية في قزوين، إلى أصفهان في زمان الشاه عباس، ليبسط بساطه ويتّسعُ مداده، وأوّل من أسس في هذه الدورة مدرسة قزوين العلميَّة.

المحقّق الثاني.. الشيخ نور الدين علي الكركي (٨٧٥ ـ ٩٤٠ هـ)، وكان قد جاء هذا الفقيه إلى إيران، في بداية تأسيس الدولة الصفويَّة، ليدرّس في حوزة قزوين ويتعلم، فنصّبه الشاه طهماسب الصفوي بمنصب شيخ الإسلام.

وحين أصبح المحقق الثاني تحت تأثير المدرسة الفلسفية في قزوين، رتب البحوث العلميةَ والعقليةَ والأصولية، في فقه الشيعة، وقد أوضحَ ذلك، فكتب في جامع المقاصد شرحاً استدلالياً على كتاب القواعد للعلاّمة الحلّي (م ٧٥٦ هـ).

ولقد استلم كرسي التدريس في حوزة قزوين العلمية بعدَه ابنُهُ الشيخ تاج الدين عبد العالي الكركي (٩٢٦ ـ ٩٩٣ هـ) أيضاً،

Digitized by Google

وكتب شرحاً مستدلاً على كتاب الإرشاد ومن الأساتذة الآخرين، لحوزة قزوين الشيخ البهائي (٩٥٣ ـ ١٠٣٠ هـ)، وقد درس في قزوين، وكان على خلاف أبيه في مسلكه الإخباري، فقد كانت طريقته عقلية أصولية وقد ذهب الشيخ البهائي فيما بعد إلى أصفهان في عام (١٠١٥ هـ)، ليدرس في حوزتها العلميّة، ونذكر هنا عدداً من العلماء الكبار الشيعة، من الذين فرشوا بساط التعليم في حوزة قزوين وهم:

السيد حسن القزويني ـ شيخ الإسلام (م ١٠٠١ هـ)، ميرشوف جهان (م ٩٦٢ هـ) القاضي أحمد القزويني (٩٢٠ ـ ٩٧٥ هـ)، سيد مير محمد معصوم القزويني (م ١٠٩١ هـ) الملاّ خليل القزويني (١٠٠١ هـ، ١٠٨٩ هـ) صاحب مدرسة الآخوند.

وقد احتفظت الحوزة العلمية في قزوين بتألقها في العصر الصفوي، بالرغم من حدوث بعض المسائل المكدّرة، وقد اضمحلت أهميّة الحوزة بعض الشيء وتضعضع ازدهارها، حينما انتقلت العاصمةُ إلى أصفهان.

وكانت قزوين ملجأً للعلماء الهاربين من هجمات الأفغان، بعد تبعثر السلالة الصفوية.. وانحلالها عام (١١٣٥)، واستمرّ هذا الضعف إلى القرن الثالث عشر الهجري، حيث تجدّد ازدهار الحوزات العلمية مرّة أخرى، مثلما كانت في السابق، وقد أقام تلامذةُ مدرسة الوحيد البهبهاني في قزوين، ليستقيم معهم الفقه الاجتهادي، وقد تشكلت مرّة أخرى المدرسة الفلسفيةُ في قزوين، بفضل نشاط الحكيم الإلهي الآخوند الملاّ القزويني (١١٨٤ ـ ١٢٨٥ هـ).

Digitized by Google

ومن جملة العلماء الذين لازموا كرسي التّعليم والتدريس، في حوزة قزوين التعليمية:

١ ـ الشيخ محمد الملائكة (م ١٢٠٠ هـ) ابن الشيخ مهدي تقي البرغاني القزويني صاحب كتاب فقهُ الملائكة.

٢ ـ المير حسنا القزويني (م ١٢٠٨ هـ) صاحب كتاب معارج الأحكام في شرح مسالك الأفهام.

٣ ـ الشيخ محمد تقي البرغاني (م ١٢٦٣ هـ)، المعروف بالشهيد الثالث، وابن الملائكة، له مدرسة في قزوين معروفة باسمه.

٤ ـ الشيخ محمد علي أخوه أيضاً (م ١٢٦٩ هـ).

٥ ـ الشيخ محمد صالح (م ١٢٧١ هـ) أخوه الآخر والذي باسمه سميت المدرسة الصالحية في قزوين.

٦ ـ الآخوند صفر علي اللاهيجي القزويني (م ١٢٧٥ هـ)، صاحب (فقه اللاهيجي) وآخرون غيرهم كثيرون.

وفي القرن الرابع عشر الهجري كان الفقيه السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني (١٣٠٦ ـ ١٣٩٦ هـ)، حكيماً وفقيهاً ذائع الصيت، ومن أفضل أساتذة الفلسفة، له كرسي الصَّدارة للتدريس في حوزة قزوين العلمية، ولمزيد المعلومات انظر تاريخ حوزة قزوين (مجلة الحوزة رقم ٦٦ لعام ١٩٩٤).

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة ألموت

تأسست حوزة ألموت على يد الحسن بن الصباح الحميري ألموتى المولود في سنة ٤٣٠ والمتوفى سنة ٥١٨ هجرية في قلعة الموت في ضواحي قزوين وتقاطر عليه طلاب العلم الإسماعيلية من كل فج عميق، والتفَّ حوله أقطاب هذه الطائفة ينهلون من معينه العذب، ومن ألمع زعماء حوزة الموت حسن علي ابن الإمام القاهر المولود في الموت سنة ٥٠٤ هجرية وقد تولى الإمامة بعد وفاة والده سنة ٥٥٢ هجرية وتوفي سنة ٥٦١ هجرية، وقد ذكره الأستاذ مصطفى غالب في كتابه (أعلام الإسماعيلية) قائلاً: (. . . كان عالماً تقيا ورعاً لا نظير له في العلوم الفلسفية والدينية، فقد كان عهده عهد علم وأدب وفلسفة وعقد مناظرات مع علماء الفرق الأخرى كما يستدل من كتبه وآثاره. . .)[1] وانتهت إليه رئاسة التدريس وزعامة الحوزة في مدرسة الموت وتخرج عليه جمع من أكابر فحول الإسماعيلية وداعي دعاة هذه الطائفة وازدهرت مدرسة الموت على عهد علاء الدين محمد بن

(١) مصطفى غالب: أعلام الإسماعيلية: ٢٢٩ بيروت ١٩٦٤ م دار اليقظة العربية.

Digitized by Google

جلال الدين الحسن المولود في سنة ٦٠٨ هجرية وانتهت إليه الإمامة في سنة ٦١٨ هجرية وهو في العاشرة من عمره وتولّى إدارة شؤون الإسماعيلية مجلس الدعاة حتى بلغ الإمام أشده ونشأ على حب العلم وكان أول عمل قام به أعاد تصنيف الفدائية والجيش والمالية، وتوسعت مكتبة الموت التي أسسها حسن الصباح السابق الذكر وتصدر للتدريس والإفادة وأقبل عليه الطلاب من كل حدب وصوب، ويقول مصطفى غالب في هذا الصدد (. . . أمر بتأسيس المكتبة الإسماعيلية وأحضر لها المؤلفات القيمة من مختلف الأقاليم، وقيل إنه أنفق الأموال الطائلة على إعادة تأسيسها وفرشها وأولىٰ عناية خاصة لدور العلم، وخصص يومين من كل أسبوع لإلقاء المناظرات العلمية من قبل أساتذة وطلاب مدارس الدعوة، وكان يغدق المنح والعطايا على المتفوقين، وبذلك ازدهرت العلوم الفلسفية والفقهية ونبغ دعاة علماء. . .)[1] ومن فحول المدرسين في حوزة الموت أعلام محمد بن الحسن علي من أساطين الفلاسفة وأعاظم الحكماء والمتكلمين ولد في ألموت سنة ٥٥٣ هجرية وتوفي بها سنة ٦٠٧ هجرية ذكره مصطفى غالب في كتابه (أعلام الإسماعيلية) قائلاً: (. . . على نصيب كبير من المقدرة العلمية والأدبية والمعرفة الفلسفية قوي الحجة له مقدرة عجيبة على الإقناع استطاع أن يقنع أكبر فيلسوف عرفته فارس في ذلك الوقت وهو الفيلسوف الكبير فخر الدين الرازي فاعتنق مذهبه وأصبح

(١) نفس المصدر: ٣٩٤.

Digitized by Google

كبيراً لدعاته، ورئيساً لمدارس الدعوة الإسماعيلية في الموت. . .)[1] ويقول الدكتور فرهاد دفتري في هذا الصدد (. . . كيف استطاع النزارية أن تجلب المتكلم المتأله السني المعروف فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هجرية في أول الأمر بالتهديد الفدائي ثم بواسطة الهدايا والمال إلى عقائدهم بعد أن كان أكبر ناقد علنيّاً للإسماعيلية. .)[2] فبدأ العصر الذهبي في تاريخ جامعة ألموت على عهد أستاذ الحكماء والمتكلمين الشيخ أبو جعفر محمد بن محمد الطوسي المعروف بالخاجه نصير الدين الطوسي المولود في طوس سنة ٥٩٧ هجرية والمتوفى في بغداد يوم الغدير سنة ٦٧٢ هجرية ودفن في الكاظمية، وهو من أشهر علماء الشيعة فأخذت جامعة ألموت تستقطب العلماء والفلاسفة والمتكلمين وتتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحت إحدى كبريات الحوزات الشيعية، ويقول السيد محسن الأمين في موسوعته الخالدة [أعيان الشيعة] (. . . والقوة الوحيدة التي حيل بينها وبين المغول هي قلاع الإسماعيليين صمدت هذه القلاع سنوات ولم تستسلم، وفي هذا البحر المخيف والمحنة الرائعة كان الطوسي حائراً لا يدري أين يلجأ ولا بمن يحتمي وكان ناصر الدين من أفاضل زمانه وأسخياء عهده فأرسل يدعو الطوسي إلى قهستان، وبلغ علاء الدين محمد زعيم الإسماعيليين نزول الطوسي على واليه ناصر الدين وعرف مقدار ما يستفيد من معارفه

(١) نفس المصدر: ٤٩٣.

(٢) الدكتور فرهاد دفتري: تاريخ وعقائد إسماعيلية: ٤٥١ الترجمة الفارسية طهران ١٩٩٦ م.

Digitized by Google

فطلبه منه، فلم يكن مناص للطوسي من إجابة الدعوة، فاستقبله الزعيم الإسماعيلي استقبالاً يتناسب ومنزلته واستبقاه لديه معززاً مكرماً في قلعة الموت...)[1].

واستقر الخواجه نصير الدين الطوسي في الموت وتصدر كرسي التدريس وتقاطر إليه الطلاب والعلماء من جميع الأقطار فالتف حوله واشتغلوا عنده بدراسة العلوم العقلية والكلام، وبلغ هذا الازدهار الفكري في مدرسة ألموت ذروته وانتظمت فيها حلقات الدرس حتى سقطت ألموت في سنة ٦٥٤ هجرية بيد المغول وأحرقت أكبر مكتبة شيعية والتي كانت تحتوي على مليون كتاب مخطوط من نوادر الكتب

(١) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة. ٩/ ٤١٥ بيروت دار التعارف ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

Digitized by Google

حوزة قُم العلمية

وهي من المدارس الشيعيةِ القديمة، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى عهد الأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث كانت مأوى للمجتهدين والفقهاء الجعفريين، فحينما شرعَ حنابلة بغداد بإظهار عدائهم للشيعة، ومناهضتهم للأئمة عليهم السلام، اتخذ الكثير من العلماء مدينة قم ملجأً لهم، بعيداً عن عاصمة الخلافة العباسية، فاستقبلوا هناك برحابة الصدر.

ومن الوجوه والشخصيات المتألقة في حوزة قم في عهد الأئمة عليهم السلام أسرة البرقي القمي، الذين كانت لهم زعامة الحوزة وكرسي التدريس العلمي، وقد ورد ذكرهم في سلسلة الأسانيد الروائية، ومن هذه الشخصيات من أبناء هذه الأسرة، الشيخ أبو عبد الله محمد البرقي (القمي) من شيوخ علماء الحديث ومن أصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام، والإمام الجواد عليه السلام، كما يقولون، وكذلك ابنه الشيخ أبو جعفر طاهر من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، وغيره من الزعماء الآخرين في هذه الحوزة أحمد بن محمد الأشعري القمي، من أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام.

Digitized by Google

وقد كتب عنه ابن حجر العسقلاني:

«إنه شيخ الرّافضة بقم... له تصانيف وشهرة».

وهو واقع في سلسلة الأسانيد في أكثر من ٢٢٩٠ رواية، وله مؤلفات كثيرة كانت حوزة قم مركزاً لنشر مذهب أهل الحديث والاخبارية، مثلها كمثل سائر الحوزات الشيعية، وذلك في عهد الأئمة الأطهار عليهم السلام وبالخصوص في عصر الغيبة الصغرى (٢٦٠/ ٣٢٩هـ).

إنّ القميين لهم نظرات واعتقادات خاصة.

وفي حوزة قم، انقسم العلماء في العقائد إلى مجموعتين هما:

علماء الحديث، وعلماء أهل العقد والاجتهاد، وطال ذكره للحوادث حتى اضمحلال جامعة الشيعة العظمى في إصفهان، وقد كتبوا: أنّ جماعة كثيرة من علماء الإمامية قد هاجروا من إصفهان إلى قم، وكانت حوزة قم، في هذه الفترة الزمنية تحظى باهتمام خاص، قد جدّد حياتها ونشاطها على يد الميرزا أبي القاسم القمي (م١٢٣١هـ) صاحب القوانين، وهو من تلامذة الوحيد البهبهاني.

وتأسست في تلك الفترة في قم شعبةٌ لمدرسة كربلاء.

وبعد الميرزا القمي اتّخذ الشيخ عبد الكريم الحائري (١٣٥٥هـ) من مدينة قم سكناً ومقرّاً له، ليبدأ نهضتَه الفكريّةَ، وليلتحق بحوزتِهِ طلابُ العلوم من كلّ حدب وصوب عندها بلغت

Digitized by Google

حوزة قم أوْجَ ازدهارها، إلى أن انتهى الأمرُ إلى آية الله الحاج حسين الطباطبائي البروجردي (م ١٣٨٠هـ)، زعيم شيعة العالم والمرجع القائد بدون منازع.

إلاّ أن بقية العلماء الكبار. مثل السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب الميزان والمرحوم كوه كمري والمرحوم الحجة، قد انشغلوا بتدريس وإرشاد الطلبةِ.

وبعد وفاة آية الله البروجردي، بدأ الطلبة يشتركون في حوزات دروس العلماء والمراجع العظام مثل الإمام الخميني، والسيد الشريعتمداري، والسيد الگلبايگاني والسيد المرعشي النجفي، والسيد محمد الروحاني والشيخ الاراكي إلى آخرين.

وتعتبر حوزة قم اليوم من أعظم الحوزات الشيعية العلمية في العالم ـ خاصة بعد تبعثر حوزات كربلاء، والنجف، فاتجهت أنظار شيعة العالم اليوم إلى قم التي اختصت بزعامة شيعة العالم، وقيادة مدارسهم الشيعية.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة مشهد العلميّة (خراسان)

وهي إحدى المدارس الشيعيّة التي كان لها دورٌ عظيم في نهضة الإمامية العلمية، ولقد كانت حوزة خراسان، طوالَ القرون بمُوازاة الحوزات العلمية الأخرى حاملة مشعل الهداية للمجتمع الشيعي، على عاتقها.

تأسست حوزة خراسان، في أواسط القرن الثاني الهجري بأيدٍ مقتدرةٍ ببركةِ الإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام (١٤٨ ـ ٢٠٦هـ)، حين اجتمع إليه عدد من الأصحاب والمحدّثين، والفقهاء لينتفعوا بعلمه المبارك.

وقد ثبّتَ الشيخ الطوسي في كتابه المسمى رجال الطوسي (٣٦٦)، وسجّل (٣١٧١) طالباً من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام الذين كانوا يتتلمذون عليه؛ وبعد رحلة الإمام استمرت الحوزة بنشاطها العلمي، ففيها تعلم الشيخ الطوسي (م٤٠٦هـ) أيضاً، ثم هاجر عام (٤٠٨) إلى بغداد.

ولقد ظهر نزاع واختلافٌ فكري وعقائدي، في حوزة خراسان، في القرن الخامس والسادس الهجري، تدلّ كلها على مساحة هذه الحوزة العلمية الكبيرة، وسعتها القديمة.

Digitized by Google

كتب الهجويري يقول:

«ولقد رأيتُ في خراسان لوحدها ثلاثمائة شخص لكلٍّ واحد منهم طريق خاص وكلّهم علماء».

وقد كانت إدارة حوزة خراسان بزعامة تاج الدين أبي الفتح محمد الشهرستاني (م٥٤٨هـ) المعروف بفطنته ودهائه، وفي عهده بلغ أهلُ السنة والجماعة في خراسان قمّةَ قدرتهم، لكنّه تمكن من التمويه عليهم بالادعاء بأنه أشعري شافعي وقد صرّح الذهبي بامتلاكه بواطنِ الأمور المشهود لها.

وقد اتسعت مدرسة خراسان على عهده، ناهيك عن لفت أنظار العلماء إلى تفسير مفاتيح الأسرار ومصابيح الأنوار.

وعندما كانت حوزة مشهد مشغولة بالانقسامات الفكريّة.. ظهر الشيخ أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ولد في سبزوار - ٥٤٨هـ)، المعروف بالشيخ الطبرسي ومن أركان علماء الإمامية ظهر على ساحة الجامعة الشيعيّة يمتاز بمقعد التدريس ويختص به لنفسه ومن أفضل آثاره تفسير مجمع البيان، وبعد أن تسلم زعامة الحوزة ابنُهُ الشيخ رضي الدين أبو نصر الحسَن، ومن مؤلفاته مكارم الأخلاق، وجاء بعده ابنُه الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي صاحب مشكاة الأنوار وهو من علماء خراسان الذائعي الصيت وقد بيّن عبد الجليل القزويني حالة المدارس الشيعيّة في كتابه (النقض: ٣٤) فقال:

«إن ذلك الزمان، كان يعجُّ بالمدارس الدينيّة الكثيرةِ وأنّ الطلابَ منشغلون بطلب العلم فيها، وقد استطاع الخواجه نصير

Digitized by Google

الدين أبو جعفر محمد الطوسي (م٦٧٢هـ) أحدُ العلماء البارزين، أن يلفت باسم هذه الحوزة أنظار العلماء إلى آثاره العلميّة والثقافيّة.

كان لهجوم (هولاكو خان) على إيران أكبر الضرر، لما نشر من خراب ودمار جسيم في كلّ مكان مرَّ فيه، ومن جملة ما فعل بعثرة الحوزاتِ العلميّةِ الشيعية في أغلب المدن الإيرانية، وحرق وتدمير ما فيها، وبظهور (آل الجويني).

وهم من أهل خراسان، شرع بإعمار حوزة خراسان، وسائر الحوزات الشيعية وبمساعي وجهود الخواجه شمس الدين محمد الجويني، (الذي استشهد عام ٦٨٣هـ). وهو من الوزراء المقتدرين، والحكام الشيعة المغول في عهد (هولاكو)، (وآباقا خان) رُمّمت الحوزات العلمية نسبيّاً، إلاّ أنها بقيت آثار التخريب ظاهرةً عليها حتى استشهاد (الخواجه)، وقد استعادت الحوزات الشيعيةُ حيويتها مدّةً أخرى بالتشجيع وبذل الأموال الكثيرة، حتى بدأ الكثير من العلماء بكتابة مؤلفات جادّة باسم (الجويني) وباسمِهِ أهدوها، ومن جملتهم (الخواجه نصير الدين الطوسي) فقد ألفَ كتاباً بأمر (الجويني) باللغة الفارسية أسماهُ: أوصاف الأشراف في السّير والسلوك.

رافق ظهورُ القرن الثامن الهجري، حركة رفع رؤوس على المشانق... لجماعة الشيخ خليفة (م٧٣٦هـ) في خراسان، التي التحقت بها، أغلبُ الحوزات الشيعيّة آنذاك.

ويقال: إنّ حاكم خراسان (علي بن محمد)، بعث ممثلَهُ

Digitized by Google

وزيرهُ (الشيخ محمد آوي) إلى حوزة جبل عامل الشيعية، لدعوة الشهيد الأول إلى خراسان بغرض التوجيه والتدريس، إلاّ أنّ الشهيد الأول لم يمتثل لهذه الدعوة، وبدلاً من ذلك حرّر كتاب اللمعة الدمشقية في ظرف أسبوع واحد وأرسله إليه بعنوان القانون والمسلك لحكومةِ «رؤوس على المشانق» وتعني بالفارسية [(سر بداران) ـ ذوي الرؤوس المرفوعة على أعواد المشانق].

لقد اقترن تأسيسُ الدولة الصفوية (٩٠٧هـ) بتجديد نشاطات الحوزات العلمية الشيعية، ومنها حوزة خراسان، وفي الأعوام الأولى لحكومة الصفويين، كانت خراسان مسرحاً لأحداث قام بها (الأزبك) منها الهجوم الفاجع الشرس، الذي زامن شهادةَ الشيخ فضل الله الخراساني المعروف بعماد الدين الطوسي، وهو من علماء حوزة خراسان الكبار.

وقد استشهد في أحداث ذلك الهجوم، إضافةً إلى الشيخ الخراساني مجموعةٌ من العلماء الأفاضل ومن الفرس.

ومن علماء حوزة خراسان الشيخ الحرُّ العاملي (م١١٠٤هـ) وهو من شيوخ علماء الحديث، ومن الذين اتخذوا مشهدَ سكناً لهم سنة (م١٠٧٨هـ)، حيث مارس في أواخر عمره الشريف التدريسَ، والإرشادَ، والفتوى، في هذه الحوزة مهتماً بتربية الكثير من التلامذة، وكان كتابهُ القيمُ (وسائل الشيعة) من أفضل آثاره.

وبعد أن استقرت الحكومة الصفويّة، أرسلَ السيد محمد مهدي الأصفهاني من قبل أستاذه الوحيد البهبهاني في حوزة مشهد المقدّسة، ليؤسس مدرسة لأستاذه البهبهاني في حوزة مشهد،

Digitized by Google

وآخر الأمر استشهد في خراسان عام (١٢١٧هـ)، ليخلفَهُ ابنُهُ السيد الميرزا داود (م١٢٤٠هـ)، وهو من علماء الحوزة، ليختصَّ به مقعد أبيه التدريسي. وقد أسس أحد أعلام الأمة الشيخ محمد حسن الكرباسي (١١١٥ ـ ١١٩٠هـ) مدرسة عظيمة عند الحرم الرضوي المقدس بعد أن وصلها من كاخك وقبل أن يستقر بيزد ثم بإصفهان، وعرفت بمدرسة الحاج حسن.

كان التدريس في مشهد والإرشاد في حوزتها، مرتبطاً (بآل الشهيدي) حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، إلاّ أنه في النصف الأخير، من القرن الرابع عشر، هاجر السيد محمد هادي الميلاني سنة ١٣٧٥هـ (وقد توفي سنة ١٣٩٥هـ)، [وهو من مراجع تقليد الشيعة في كربلاء].

هاجر إلى مشهد ليتصدى لزعامة حوزة خراسان، فيجدُ هذا المركزُ العلمي الشيعيُّ تجديداً واسعاً بمجيء الأخير.

ولا يخفى على أحد، أنَّ مؤسسَ هذه النهضة الفكرية العصرية، في خراسان هو الميرزا مهدي الأصفهاني (م١٣٦٥هـ)، والشيخ مجتبى القزويني (م١٣٨٦هـ)، وتعتبرُ اليومَ حوزة مشهد من الحوزات العلميّة الكبيرة بعد حوزة قُمْ في عالم التشيُّع، وأن عدد طلابها ـ وخاصة دوراتِ المقدماتِ ـ والأدبَ، والسطوحَ، والسطوحَ العالية ـ أخذ يزداد.

وقد اشتهر هذا المركز الثقافي بشهرةٍ خاصة في إقامة هذه الدورات المهمّة.

Digitized by Google

Digitized by Google

حوزة إصفهان

يرجع تاريخ الحوزة الشيعيّة في إصفهان، إلى العهد الصفوي، وذلك عندما أمر الشاه «عباس» الأول (م١٠٣٨هـ)، بنقل العاصمة من قزوين إلى إصفهان (١٠١٥هـ)، ومنذ ذلك الوقت، تشكلت حوزة إصفهان العلمية، وقبل هذا التاريخ، كانت الأمة في إصفهان وأفراد الناس من السنّة.

كتب السيد الحجة الأبطحي، وهو إصفهاني، كتاباً حول حوزة إصفهان جاء فيه:

«لقد كان الناسُ في إصفهان منذ فتحها على يد المسلمين، وحتى قبلَ السلطنة الصفويّة كانوا من السنةِ، وكان فكرهم جارياً في اتجاه عقائد أهل السنة، إلاّ أنّ الأصفهانيين، كانوا منذ ذلك الوقت يبحثون عن الانعتاق والحريّة، فعمل علماءُ الشيعة على نشر مذهب العدل والحق الجعفري هناك، ممّا حدا بالنّاس أن يبدّلوا اتجاهَ أفكارهم وعقائدهم، إلى هذا المذهب الحقّ.

ومنذ ذلك الحين لم يتشيع أهلُ إصفهان فَحَسب، بل أضحت هذه المدينة أهمَّ القواعد الأمامية المعتقِدةِ بمذهب ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

Digitized by Google

كانت حوزة إصفهان هي المولود المبارك لحوزة قزوين، والعلماء والفضلاء صاروا ينتقلون إليها بمجموعاتٍ كبيرة، بطلب من الشاه عباس، حتى تأسست هذه الحوزة بالأيدي القديرة، لعلماء قزوين العظماء.. مثل الشيخ البهائي، ومير باقر الدّاماد، ومير فندرسكي، والشيخ لطف الله الذي كان آخر عالم يترك قزوين ليتّجهَ صوب إصفهان، وله مسجدٌ انتهى من بنائه في (١٠٢٨هـ).

إنّ حوزة إصفهان ما كانت إلاّ تتمةً لمدرسة قزوين العلميّة، إذْ كانت جميع العلوم الإسلاميّة، علاوة على الطّبيعيّات، والرياضيات، والهندسة المعمارية، تدرّس فيها، ناهيك عن أنّ كلّ بناءٍ فيها يُعَدُّ عملاً فنيّاً عظيماً وعلميّاً مستحدثاً في عالم اليوم، وذلك من خلال ما نراه من أبنيةٍ فنيةٍ ومعاصره، مثل مسجد شاه (أصفهان) ومزاياه الفنيةِ الجميلةِ، وحمامهِ المشهورِ في إصفهان ومنارتيه المعروفتين، ولا يخفى على أحد بأنّ مساجد وتكايا هذه المدينة قد بنيت وتأسست على أيدي العلماء المذكورين، حتى صارت اليومَ موضعَ إعجاب السائحين، والمختصّين بفن العمارة، كلُّ هذا وذاك هو حاصل لسعي حثيث على مدى سنين من الدراسة العلميّة لحوزة قزوين التي انتقلت إلى إصفهان.

ومن الوجوه العلمية الممتازة الأخرى، التي عملتْ على ازدهار وتقدّم حوزة إصفهان:

الشيخ محمد تقي المجلسي (م١٠٧٠هـ) المعروف بالمجلسي الأول، وابنُهُ الشيخ محمد باقر (م١١١١هـ) المعروف بالمجلسي

Digitized by Google

الثاني، صاحب بحار الأنوار، فقد كان لهذه السلالة الطيبة، النهضةُ العلميّةُ في إصفهان سنين مديدة.

وصدر المتألهين الشيرازي، الذي كان يتزعم المدرسة الفلسفية الأصفهانية، في حقبةٍ زمنيةٍ مشهودة.

الملاّ رفيعا النائيني، والملاّ محمد صالح المازندراني، صاحب شرح أصول الكافي، والملاّ محمد صالح المازندراني، صاحب شرح أصول الكافي، والملاّ محمد باقر السبزواري.

حوزة إصفهان، وميل الحكام الصفويين إلى المذهب التقليدي الإخباري، مما حدا بهم لأن يفوضوا أمور جميعِ المؤسسات الدينية والمقاماتِ الرسمية إلى أهل الحديث، ووضعَ مذهبِ أهل العقل تحت ضغوط العام لفلاسفة قزوين وذلك في سنة (١٠٠٢هـ)، على يَدِ الشاه عباس الصفوي، الذي أوجد محاكمَ لتفتيش العقائد.

مما عمل على انحلال واضمحلال حوزة إصفهان الحديثة العهد، في الوقت الذي كان المذهب الجامد لأهل الحديث، أثناء هجوم الأفغان على إصفهان. (١١٣٤ ـ ١١٣٦هـ) ومحاصرتها في هذا الوقت.

وبدلاً من أنْ يجهز مذهبُ أهلِ الحديثِ السلاحَ، ويحرّضَ النّاسَ على محاربة الأفغان، اجتمعَ زهّادُهم في المساجد ليكتبوا الطلاسمَ والأدعيةَ، بينما كانَ أهلُ البلاط السلطاني مشغولين بلذائذهم وشهواتهم.

ولم يمضِ شهرٌ واحدٌ حتى صارت الحمّامات وتنانيرُ الخبز

Digitized by Google

في إصفهان، توقد بكتب جامعة الشيعة الكبرى.

وبعد هذه الحوادث المأساوية، وفتور حوزة إصفهان، قام الوحيد البهبهاني في كربلاء، بقطع يَدِ الإخبارية من تلك الحوزة، لينزوي أهلُ الحديث حتّى يومنا هذا، وكان للشيخ محمد جعفر الاخوند الكرباسي (١٠٨٠ ـ ١١٩٠هـ) فتوى فقهياً في معركة الأفغان مع أهالي إصفهان واللاني فقدن أزواجهن استند الفقهاء عليها فيما بعد.

وأثناء ذلك، بعث الوحيد البهبهاني بعض تلامذته إلى إصفهان كي يؤسسوا المدرسةَ الأصوليّةَ في حوزتها.

وكان بعض تلامذتِه في إصفهان:

حجّة الإسلام شفتي محمد باقر (م١٢٦٠هـ) صاحب مطلع الأنوار.

وهو في سبعة مجلداتٍ كبيرة، والشيخ محمد ابراهيم الكرباسي (م١٢٦٢هـ) صاحب الإشارات والنخبة ثم قام أبناؤه الستة في إدارة الحوزة علمياً في إصفهان علمياً.

استطاع تلاميذ (البهبهاني) إعادةَ بناء حوزة إصفهان، كما نشأ فيها حوزاتٌ صغيرةٌ، منها حوزة درس الآخوند مُلاّ اسماعيل الخواجوئي (م١١٧٣هـ)، والآخوند ملاّ محمد بيد آبادي (م١١٩٨هـ) والآخوند الملاّ علي النوري (م١٢٤٦هـ)، هو الذي تعلّم أفضل العلوم العقلية من حوزة درس (مير حسينا القزويني)، في حوزة قزوين.

Digitized by Google

بعد ذلك أضحت حوزة إصفهان إحدى قواعد المدارس العقليّة، وموئلاً للمجتهدين، فلمعتْ وجوه في حوزة إصفهان أكثرَ من غيرها في هذه العلوم.

وهم كلٌّ من: الآخوند الملا علي أكبر الأجني (م١٢٣٢هـ)، والسيّد محمد المجتهد الأصفهاني (م١٢٦٣هـ)، والسيد حسن المدرّس (م١٢٧٣هـ)، والسيد محمد شَهشهاني (م١٢٨٧هـ)، والميرزا محمد هاشم الجهار سوقي (م١٣١٨هـ)، وجهانكيرخان القشقائي (م١٣٢٨هـ)، والآخوند الملا محمد الكشي (م١٣٣٣هـ) والسيد محمد باقر الدّرجئي (م١٣٢٤هـ)، والميرزا محمد صادق الخاتون آبادي (م١٣٤٨هـ) والآخوند ملا حسين الفشاركي (م١٣٥٣هـ)، وغيرُهُمْ!..

أمّا اليوم في عصرنا الحاضر، فيمكن أن نشاهد في إصفهان أكثر من ثلاثين مدرسةً للعلوم الدينية، ترتبط بحوزة فاعِلة ونشيطة!..

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزة العلمية الزينبية

كانت في دمشق وبلاد الشام حوزات علمية منذ أن بسط الإسلام ظلاله عليها ولكنه تعامل معها الدهر بشيء من الظلم والحيف فكانت في مد وجزر، وكانت للإمامية دور في إقامة وإنشاء عدد من الحوزات في مجمل بلاد الشام في العهود السابقة إلا أنها ذهبت أدراج الرياح السياسية والطائفية، ولكن شاءت الظروف أن يصاب العراق بشيء من الحمى السياسية وأمراض الحقد على العلماء والمفكرين مما أدى إلى انتشارهم إلى بقع أخرىٰ من بقاع العالم ويبدأوا من جديد لتأسيس مؤسسات اجتماعية مختلفة تكون كفيلة لنشر العلم والمعرفة ومنها الحوزة الزينبية العتية في قبال الحوزات الأخرىٰ الفتية ففي سنة ١٣٩٥هـ تم تسفير عدد من طلاب العلوم الدينية من النجف الأشرف إلى دمشق، ولما كان مرقد عقيلة الهاشميين بضاحيتها التف حولها هؤلاء المشرّدون مما جلب أنظار العديد من الزائرين لمرقدها وكان منهم بالطبع الشهيد السيد حسن الشيرازي ابن كربلاء الذي كان يسكن بيروت منذ عام ١٣٩٠هـ، فاجتمع بهم وسألهم عن سبب تواجدهم هناك فكان الجواب بالطبع اضطهادهم من قبل النظام العراقي البائد، ولما رجع السيد الشيرازي إلى مقر إقامته

Digitized by Google

التقى بمعاونيه الشيخ محمد صادق الكرباسي والشيخ غلام رضا الوفائي والسيد محسن الخاتمي وتم مداولة أمور هؤلاء الملتجئين إلى قبر السيدة زينب عليها السلام كمحطة للسفر إلى إحدى الحوزات العامرة في إيران أو العودة إلى بلادهم هند وباكستان وأفغانستان، وبعد أخذ ورد طرح السيد الشيرازي بتردد لو كان بمقدورنا القيام بواجبنا تجاههم لكان الأمر في غاية النبل فانبرى حينها الشيخ الكرباسي وتقدم باقتراح إقامتهم هناك لتكون نواة حوزة علمية إن شاءت الإرادة الربانية ذلك فوقع جدل بين المجتمعين فأصر السيد الشيرازي على الفكرة وأيده الشيخ الكرباسي وأجري عدد من الاجتماعات بهذا الشأن خلال شهرين من الزمان وبالتالي تقرر إدارة شؤونهم دون الإعلان عن تأسيس الحوزة، فإن مضت على خير فبها ونعمت وسعى الكل جاهدين إلى إنجاح الخطة إلا أن السيد الشيرازي والشيخ الكرباسي التزما ذلك، وذلك ليلتزم الآخران بشؤون أخرى في بيروت ألا وهي مدرسة الإمام المهدي العلمية هناك، والتي هي من مؤسسات السيد الشيرازي منذ عام ١٣٩٠هـ.

وبسبب التسفيرات المتتالية من النجف الأشرف وصلت أعداد كبيرة إلى منطقة السيدة زينب عليها السلام فبلغ عددهم بعد خمس سنوات إلى ٢٥٠ طالب علم فيهم المدرس والكاتب والخطيب والطالب والعالم، وجرت محاولات حثيثة لتحسين وضع الطلاب ولكنها كانت لأسباب مختلفة بطيئة وليست بالدرجة المطلوبة حيث كانت المباني كلها مستأجرة وأمور إقامة غير رسمية وأمور الدراسة بدائية وغير معترف بها وجاءت رصاصة غادرة فأودت

Digitized by Google

بحياة السيد الشيرازي في بيروت يوم الجمعة ١٦/٦/١٤٠٠هـ مما تفاقم الوضع إلا أن الشيخ الكرباسي أبىٰ إلا أن يقود المسيرة بأحسن وجه حيث كان السيد الخاتمي قد ترك بيروت وسكن إيران، وأما الشيخ الوفائي فكان قد سكن الشام ليقوم ببعض المهام في الحوزة وأهمها التدريس وإقامة الصلاة، فشمر الشيخ الكرباسي عن ساعديه وقام بعدد من الرحلات إلى الخليج وإيران وداخل سوريا وغيرها والتقىٰ بعدد من المسؤولين حتىٰ تمكن من تأمين الأوليات لهذه الحوزة، ولكن لم يكن يؤمن بالضعف وكان كله أمل أن يتم أمر هذه الحوزة كما تدارسه مع الشيهد الشيرازي في بداية الأمر وبالفعل فقد سعىٰ إلى ذلك فبدأ بالتأمين الاقتصادي وذلك من رجال الأعمال في الخليج وبالأخص الكويت وتمكن من تأمين مبلغ للاستثمار دون أن يلتجئ إلى أيّة مرجعية دينية كي يبعد هذه المؤسسة عن الانتمائية بأشكالها المختلفة وقد عانىٰ من ذلك أشد المعاناة ولكنه تمكن من أن يرسم طريقه لإقامة هذا الصرح الثقافي، ثم قام ببناء الجسور مع السلطات المختصة بالأمور القانونية لإقامة الطلاب والمنتسبين، إلى جانب تأمين الاعتراف الجامعي بهذه المؤسسة الثقافية، وإعفاء السوريين المنتسبين إليها من الخدمة العسكرية ما داموا منتسبين إليها مما فتح المجال أمام السوريين إلى الالتحاق بهذه الحوزة.

وبعدها جاء دور المنهاج العلمي للدراسة فابتدعها بأحسن الوجوه ولو ساعدنا الحظ لنشرنا عنها وعن النظام المالي في هذه الحوزة لتكون نبراساً للأخريات من أمثالها وبالأخص التي هي

Digitized by Google

بعيدة عن أمهات المعاهد العلمية في كبريات الحواضر العلمية حيث أن النظام المالي كان يرتبط بالمستوى العلمي وعدد أفراد العائلة وحاجة الطالب بالإضافة إلى ملاحظة حاجته إلى الطب والعلاج والسفر والمسكن وغيرها، وأما النظام الدراسي فكان بديعاً جداً حيث وضع الفقه المقارن في المنهاج مضافاً إلى العلوم الحديثة التي كان الطالب بحاجة إليها، مما هي أقرب إلى الجامعات الحديثة منها إلى المدارس القديمة.

ومن هنا فقد عقد مؤتمراً كبيراً ضم جميع المنتسبين إلى الحوزة ووزع عليهم استمارات خاصة بهذا الشأن ليبينوا آرائهم ومقترحاتهم، ثم خطب فيهم وحثهم على الدراسة واتباع المنهج الجديد بالمميزات المالية والعلمية وتوظيفهم بعد التخرج داخل القطر السوري أو خارجه أو الاستمرارية في العمل الثقافي داخل الحوزة أو في حوزات أخرىٰ كحوزة قم المشرفة مما أصبح هذا المنهاج نموذجاً يحتذىٰ به فأمّ الحوزة عدد من الوفود من أهمها وفد حوزة قم المشرفة وحوزة لاهور المباركة.

وقد تنامىٰ عدد المنتسبين إلى هذه الحوزة الشريفة وضمت من الجاليات الإيرانية والعراقية بالإضافة إلى جاليات الهند الكبرىٰ (هند وباكستان وأفغانستان) افريقيا ولبنان وسوريا وأوروبا.

وكانت الحوزة قبل هذا التاريخ تعقد مؤسساتها في قاعات ومباني مستأجرة إلا أن الشيخ الكرباسي رفض هذا النحو من العمل فاشترى خلال سنتين عدداً من المباني أهمها المبنىٰ القائم على الطريق العام دمشق السيدة زينب والذي هو مجمع ثقافي هام

Digitized by Google

إلى جانب مدارس أخرى بلغت مجموعها ستة مباني ثلاثة منها ضخمة، وذلك للإدارة والدراسة والمبيت والتطبيب والمطالعة والمكتبة بالإضافة إلى الحسينية الرجالية والنسائية والمضيف وقاعات المحاضرات.

ومن الجدير بالذكر أن الشهيد الشيرازي بمعاونة الشيخ الكرباسي قام بشراء أرض زراعية بعيدة عن الحرم الزينبي وبتبرع سخي من الحاج رمضان أحد تجار إيران، إلا أنهما لم يوفقا في ذلك لأسباب مختلفة أهمها الأمور القانونية التي بات بقائها على كف الضياع وأصبح ثمن بقائها مكلفة أكثر من أصلها فبيعت وصرف ثمنها في مصاريف الحوزة والبناء.

ولا يخفى أن الشيخ الكرباسي أوقف هذه المباني وقفاً شرعياً خصصها فقط لشؤون الدراسة والطلاب دون غيرها وجعل التولية لنفسه ما دام حيّاً ثم لمن يلتزم بالمنهاج الذي رسمه من اعلام هذه الحوزة وهنا لا بد من الإشارة إلى دور عدد من العلماء الأفاضل من مدرسي الحوزة العلمية الأوائل ممن لهم الفضل في التعاون مع السيد الشيرازي والشيخ الكرباسي هم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ الفاضلي والشيخ المقدسي والشيخ الناصري والشيخ المحمدي والشيخ الاخوند والسيد الرضوي والشيخ الكريمي، إلى جانب عدد من المسؤولين كالسيد الواحدي والشيخ الوفائي والشيخ الأميني والشيخ محمد علي الكرباسي والشيخ محمد جان والشيخ الأحمدي والشيخ يوسف عبد الساتر مضافاً إلى الطلاب الذين التحقوا منذ البداية والذي كان لهم دوراً جهادياً مطلوباً في تأسيس هذا الصرح.

Digitized by Google

وفي سنة ١٤٠٦هـ عزم الشيخ الكرباسي على الرحيل من الشرق فطلب من رفيق دربه السيد محسن الخاتمي للقيام بهذه المهمة فلبىٰ طلبه جاهداً في سبيل استمرارية هذا الصرح الثقافي وخوّله بذلك رسمياً ثم تخلىٰ السيد الخاتمي وتولىٰ شؤون الحوزة السيد جعفر الشيرازي ومن بعده الشيخ محمد أمين الغفوري والذي يقوم بإدارتها إلى تاريخ كتابة هذه الأسطر.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن العديد من مراجع الدين والمؤسسات الدينية منذ عام ١٤٠٥هـ وما بعدها فتحت عدداً من الحسينيات حيث تم إحصائها بـ (٢٥) حسينية و(١٢) مدرسة علمية، وبه مركزاً إسلامياً و(٢٠) مؤسسة أخرىٰ و(١٠) مكاتب للمرجعيات الدينية.

وكان لهذه الحسينية وجهود القائمين عليها ان المنطقة أصبحت عامرة من جميع نواحي العمران السكني والخدماتي والثقافي والاجتماعي وكان من مساعي السيد الشيرازي والشيخ الكرباسي ومن خلفهما أن تقنىٰ البيوت وتنشأ المباني والمؤسسات في أطراف الحرم الزينبي وهنا لا بد من ذكر عدد من المرجعيات الدينية التي ساهمت بعد عام ١٤٠٦هـ لفتح مؤسسات اجتماعية أو ثقافية أو مكاتب مرجعية أخص منهم الإمام الخميني، السيد محمد الشيرازي، السيد أبو القاسم الخوئي، السيد علي السيستاني، السيد محمد حسين فضل الله، السيد محمد تقي المدرسي، السيد صادق الشيرازي السيد محمد الروحاني والسيد علي الخامنئي والشيخ جواد التبريزي.

ومنذ اللبنات الأولى شجع القائمون على هذا الصرح

Digitized by Google

العلمي المنتسبون إليها على التأليف والتحقيق فجاءت كلها تظهر منذ عام ١٤١٧هـ وإلى يومنا هذا فأصبحت مهوى طلاب العلم والثقافة والشعراء والأداب ومركزاً للندوات الثقافية والدينية والاجتماعية.

ويوجد فيها عدد كبير من المؤلفين والمحققين والمترجمين والشعراء والأدباء والخطباء إلى جانب الندوات والدورات الثقافية والاجتماعية.

وبما أن هذه الحوزة تأسست في عهدنا لا بد أن نسجل ما يمكن تسجيله لأجل التاريخ من مصادر ثلاث لهم مشاهداتهم كما هي أقرب إلى الواقع والحقيقة حتىٰ لا تقع بأيادي غير أمينة لا سمح الله.

أولاً: يذكر الشيخ الكرباسي عن عهده (١٤٠٠ ـ ١٤٠٦هـ):

بقوله: تحسنت صورة الحوزة الزينبية رويداً رويداً حتىٰ أصبحت محط رحال الكثير من الدارسين من شتى الجاليات الإسلامية وغيرها، ومن مميزات النظام الحديث:

١ ـ تحديد سقف زمني للتخرج.

٢ ـ توحيد اللغة ـ (العربية).

٣ ـ وضع نظام دراسي دقيق.

٤ ـ إدخال مواد جديدة تواكب العصر.

٥ ـ وضع نظام مالي يساعد الطالب في كل مناحي الحياة.

Digitized by Google

٦ ـ تسوية وضع إقامته أثناء الدراسة وإعطاءه الإقامة الدراسية من قبل السلطات يثبت فيه أنه يدرس في هذه الحوزة.

٧ ـ فتح فروع تخصصية للحوزة.

٨ ـ التعهد باستخدام المتخرجين في التعليم أو التبليغ وإرسالهم إلى البلاد التي بحاجة إلى ذلك.

٩ ـ فتح دورات تمهيدية.

١٠ ـ تزويد المتخرج بشهادة علمية.

١١ ـ فصل القسم الداخلي عن القسم الدراسي.

١٢ ـ تمليك عقارات لهذا الغرض بعد أن كانت مستأجرة.

كنا قد توصلنا مع السلطات المختصة في الاتجاهات الثلاثة بعد التفاهم على تدريس الفقه المقارن في الحوزة: مسألة الإقامة، ومسألة التجنيد، ومسألة تزويد الطالب بشهادة بعض المعاهد العلمية الرسمية.

وصل أمر الحوزة إلى أنها أصبحت قدوة لبعض الحوزات الأخرى وقد زارت وفود من مستويات عالية لأجل ذلك والتحق بهذه الحوزة من الأفارقة والمسلمين البريطانيين والأمريكيين ومن الجاليات الشرقية: الإيرانية والعراقية والسورية واللبنانية إلى جانب الجالية الهندية والأفغانية والباكستانية والافريقية.

وعلى أثرها تأسس عدد كبير من المدارس العلمية والمراكز الإسلامية والحسينيات. ومراكز صحية ومرافق أخرى من قبل العلماء والمؤسسات.

Digitized by Google

وتخرج منها عدد كبير من الفضلاء العلماء والخطباء والمؤلفين والأدباء والشعراء والمبلّغين غذّت المنطقة، وتعد اليوم إحدى المراكز العلمية للإمامية في بلاد الشام.

ومن المباني التي ألحقناها بهذه المؤسسة هي:

١ ـ المدرسة الداخلية الأولى اشتريتها في منتصف شهر شعبان عام ١٤٠٠هـ.

٢ ـ المدرسة الداخلية الثانية اشتريتها في نهاية عام ١٤٠٣هـ.

٣ ـ المدرسة الدراسية الأولى (المدرس) اشتريتها في الرابع عشر من شوال عام ١٤٠٠هـ.

٤ ـ المدرسة الدراسية الثانية (دار المعلمين) اشتريتها في السابع من شوال عام ١٤٠١هـ.

٥ ـ المجمع الزينبي اشتريتها في السادس والعشرين من ربيع الأول عام ١٤٠٣هـ والذي يحتوي على ما يلي:

١ ـ الحسينية الزينبية الرجالية.

٢ ـ الحسينية النسائية.

٣ ـ المكتبة العامة (للمطالعة).

٤ ـ المستوصف الخاص[١].

٥ ـ المضيف.

---

(١) كان خاصاً بطلاب العلوم الدينية إلا أنه ألغي بعد رحيلي.

Digitized by Google

٦ ـ الإدارة العامة[1].

وأهم المدارس التي تأسست بعد رحيلي عنها هي كالتالي:

١ ـ مدرسة الإمام الخميني أسسها السيد أحمد الفهري عام ١٤٠٣هـ.

٢ ـ مدرسة المرتضى أنشأها السيد محمد حسين فضل الله عام ١٤١٣هـ.

٣ ـ مدرسة القائم شيدها السيد محمد تقي المدرسي عام ١٤١٦هـ.

٤ ـ مدرسة أهل البيت بناها السيد محمد الموسوي عام ١٤١٦هـ.

٥ ـ مدرسة أهل البيت النموذجية أسسها السيد صادق الحكيم عام ١٤١٧هـ.

٦ ـ مدرسة المصطفى أنشأها الشيخ جمال الوكيل عام ١٤١٧هـ.

٧ ـ مدرسة الخاقاني شيدها الشيخ الخاقاني عام ١٤١٧هـ.

٨ ـ مدرسة الإمام الخميني النسائية بناها عام ١٤١٧هـ.

٩ ـ مدرسة الحوراء زينب النسائية أسسها الشيخ خدايار الناصري عام ١٤١٨هـ.

---

(١) في شهر صفر الخير من عام ١٤٠٥هـ سلمت إدارة الحوزة إلى سماحة السيد محسن الخاتمي، وسجلت المباني باسمه، كما أوعزت إلى الدوائر الرسمية ذات الشأن بأمور الإقامة بأنه سيستلم الأمور بعدي وذلك في كتاب رسمي.

Digitized by Google

١٠ ـ مدرسة الولاية النسائية أنشأها الشيخ خدايار الناصري عام ١٤١٩هـ.

١١ ـ مدرسة القائم النسائية شيدها الشيخ خدايار الناصري عام ١٤هـ[١].

ثانياً: ما صدر عن بعض المنشورات التي أصدرتها الحوزة بالشام:

في صيف عام ١٣٩٥هـ، وصل عدد من طلاب العلوم الدينية من الجاليتين الأفغانية والباكستانية، من الذين كانوا يدرسون في الحوزة العلمية العريقة في النجف الأشرف، حيث تدهورت الأوضاع الأمنية هناك، وقد قامت السلطات العراقية باضطهاد رجال العلم والدين من أبناء الطائفة الإمامية، على خلفية طائفية، حيث اعتُقل عدد كبير من العراقيين، وسُفّر أكثر الأجانب، من جنسيات غير عربية، ولما وصل طلائع هؤلاء وكان عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليدين، التقوا سماحة آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي، في حرم السيدة زينب عليها السلام، حيث كان يفدها بين فترة وأخرى للاطلاع على أوضاع العلويين، الذين كان قد بدأ معهم الحوار من أجل توحيد الصف الإمامي. وكان الحي الزينبي ملتقى الزائرين والمواطنين، وبالأخص في موسم الصيف، حيث الأجواء لم تكن كما هي عليه الآن، إذ كان عدد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام المجاورين للحرم الزينبي قليلاً جداً، وكان لقاء المسفّرين من حوزة النجف الأشرف بالسيد الشهيد، الذي كان معروفاً لديهم مكانة وبيته وعائلته وشخصيته العلمية، فشكوه الحالة

(١) راجع الحسين والتشريع الإسلامي: ٣/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

Digitized by Google

المأساوية التي هم عليها، حيث لم يكملوا دروسهم بعد، ولم يكونوا مهيئين للسفر إلى ديارهم، كما أنهم منعوا من التوجه إلى إيران عبر الحدود المشتركة بين الدولتين العراق وإيران، للالتحاق بحوزة قم المقدسة، فطلبوا منه السعي لدى السفارة الإيرانية (للعهد الباند) السماح لهم بالتوجه إلى إيران، كما طلبوا منه مساعدتهم، وذلك بتحمله نفقات سفرهم إلى إيران.

كان مقرّ الشهيد الشيرازي في بيروت، ولما رجع إليها، اجتمع إلى عدد من أصدقائه ومعاونيه وكان من بينهم آية الله الشيخ محمد صادق الكرباسي وحجة الإسلام والمسلمين الشيخ غلام رضا الوفائي وحجة الإسلام السيد محسن الخاتمي، وجرى الحديث عن كل حدب وصوب إلى أن تطرق إلى الحالة المأساوية التي تعرّض لها هؤلاء في العراق، وهم الآن في جوار السيدة زينب عليها السلام في تلك الحالة المزرية، وهم يبحثون عن مأوى، والسلطات الإيرانية لا تسمح لهم بالدخول إلى أراضيها.

وفي خضم البحث، طُرحت أفكار لمعالجة هذه القضية، فيما أكّد المسفّرون بأن هناك أعداداً أخرى ستصل إلى الشام، فاقترح أحد الحاضرين بمفاتحة السفير الإيراني بذلك، ولو عبر بعض الشخصيات المؤثرة، وقال أحدهم لا بد من مفاتحة بعض التجّار لتغطية نفقاتهم خلال تواجدهم أو في حالة سفرهم، وبعيداً عن هذه الأزمة، تمّ مناقشة مسألة إيجاد بديل عن حوزة النجف الأشرف، باعتبارها أنها كانت في بلد عربي، لكنها مهددة بالانهيار، نتيجة الاضطهاد والمضايقات التي تعرض لها رموزها من قبل النظام العراقي. ووصل الحديث بعد ذلك، بعد إظهار

Digitized by Google

الأسف في عدم وجود حوزة في الشام، وهنا أخذ سماحة السيد الشهيد والشيخ الكرباسي المسألة بجدّ، وطرحا فكرة إنشاء حوزة علمية، تكون بجوار الحرم الزينبي بالشام، وهنا اقترح أحد الحاضرين إلحاقهم بحوزة الإمام المهدي عليه السلام في بيروت، والتي كانت من مؤسسات السيد الشهيد، إلا أن الآخرين رفضوا هذه الفكرة، لأسباب عدة.

وبعد مداولة أمر تأسيس الحوزة، فلم يحظ بالموافقة عليها بالإجماع، لكنما وافق عليها السيد الشهيد الشيرازي والشيخ الكرباسي، وكان سبب الرفض أمرين: التأمين المادي والغطاء القانوني.

وبالفعل، فقد كان الوضع المادي لا يسمح بذلك، وكان هذا الأمر أصعب من الثاني، ولكن الشيخ الكرباسي انبرى قائلاً: إن مسألة الحوزة من الأمور التي كما يقال عنها في المنطق قضايا قياساتها معها، مشيراً بذلك إلى أن الحوزة هي كفيلة بإدارة نفسها مادياً، وأضاف قائلاً: بل إن مشاريعنا الأخرى ستموّل من خلال الحوزة أيضاً.

هنا أيّد السيد الشهيد الفكرة، وبما أنه كان المعني بالدرجة الأولى، لتغطية أمور الحوزة، لجهات عدة أهمها، شخصيته وشهرته. وكان الشيخ الكرباسي هو الآخر ضليعاً بأمور الحوزة على عهد والده في كربلاء المقدسة، إذ كان يدير بعض الأمور المالية، كما كان يدير بعض الأمور المالية للمشاريع في بيروت، فوقع الاختيار عليهما، للمضي في إنشاء هذا المشروع.

وبرجوع السيد الشهيد إلى الشام، وجد أن عدد المسفّرين من

Digitized by Google

العراق قد تضاعف بالفعل، فأخذ يجالسهم وليكتشف مدى تجاوبهم مع فكرة البقاء في الشام، كما ويريد معرفة ماذا يريدون فعله، إن لم تتح لهم الفرصة للذهاب إلى إيران. وبعد عناء مرير ومضي فترة زمنية، ووصول عدد من الأساتذة منهم، طرحت فكرة البقاء بجوار السيدة زينب عليها السلام، فتكاثفت الجهود لإنجاح المشروع، إلا أن انشغال الشيخ الوفائي بالتدريس بمدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه في بيروت، والسيد الخاتمي بقضايا أفريقيا، فقد وقع حمل الحوزة في دور نشأتها على الشهيد الشيرازي والشيخ الكرباسي، فواصلا جهودهما من السفر، لأجل ذلك، والعمل على تحسين الأوضاع المادية للطلاب القادمين، وتسوية أمورهم القانونية، وتنظيم دروسهم، وإزالة كافة العقبات التي تقف في طريقهم.

ومضت الأيام والليالي وتدهور الوضع الأمني في بيروت، واشتد وتفاقم، مما شجّع الانتقال إلى الشام، فانصبّ نشاط الجميع على الحوزة، فترة بقاءهم بها، فتولوا شؤونها، لكنهم سرعان ما عادوا إلى بيروت، لكن الحوزة استمر نشاطها بتلكؤ، وكان أصعب ما تواجهه هو الأمر المادي والقانوني. هذا وقد تولى الشيخ الوفائي مهمة التدريس في الشام بدلاً عن بيروت، وقد حصلت معارضات شديدة لإنشاء الحوزة من جهات مختلفة، لكن همّة الشهيد وعزمه على المواصلة، استمرت الحوزة، واستمر الشهيد يلقي ولأول مرة دروس بحث الخارج فيها، واستمرت الأوضاع على هذه الحالة إلى أن اغتالت يد أثيمة السيد الشهيد في بيروت يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية ١٤٠٠هـ، وكان السيد الخاتمي يومها قد ترك بيروت وسكن إيران، وذلك بعد

Digitized by Google

انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني، فحمل الشيخ الكرباسي جثمان الشهيد الطاهر إلى دمشق ومن ثم إلى طهران، ليودعه في الحرم الفاطمي بقم المقدسة، ودُفنت معه طموحه في إقامة صرح علمي كبير في حياته، حيث كان ينوي إقامة أكبر حاضرة علمية هناك.

وفي دمشق ماج طلاب العلوم الدينية وهاجوا، فحاموا حول الشيخ الكرباسي، مطالبين إياه الاستمرار بإمدادهم وإدارتهم، فأوعدهم خيراً، وطلب منهم الانتظار إلى حين عودته من إيران، ولكنه عمل المستحيل في قم لإقناع المرجع الديني الإمام السيد محمد الشيرازي لتبنّي أمور الحوزة هناك ـ كما تبناها الشهيد الشيرازي من قبل ـ ولكن دون جدوى.

عاد الشيخ الكرباسي ـ رغم تأثره ـ بكل عزيمة، فجدّ، واجتمع بطلبة العلوم الدينية وأمهلهم ثلاثة أشهر، إما لصرفهم حيث شاؤوا أو الاستمرار معهم، وخلال هذه المدة قام الشيخ بعدة جولات، منها السفر إلى الكويت، حيث تمكن من تأمين مصروفات الحوزة لمدة سنة كاملة بشكل يمكنه أن يغطي كل الجوانب، كما أنه صمم خلال هذه المدة على وضع خطة سريعة وكفيلة بإنجاح مشروع حضاري علمي على أسس متينة، فلذلك أقرّ في البداية على إبقاء الشيخ الوفائي على ما كان عليه، وأناط إليه بعض المهام كإقامة الصلاة وإدارة الحوزة، ليتسنى له العمل وفق الخطة المرسومة، وبعد التشاور مع عدة جهات عديدة من داخل الحوزة وخارجها، رسم خطة دقيقة، ووضع نظاماً للحوزة، كما وحدّد من خلالها المنهاج الدراسي والمواد الدراسية إلى

Digitized by Google

جانب تنظيم الفترة الدراسية والعطل، وحدّد فترة الامتحانات الفصلية والنهائية، وخصص الجوائز للفائزين والمتفوقين، إلى جانب منحهم الشهادة الدراسية، كما وضع نظاماً مالياً دقيقاً يرتبط بعدد أفراد العائلة وسنيّهم وبمراحل الدراسة، كما وضع مساعدات نقدية: للمرضى وللزواج، والولادة، وإيجار المسكن أو شرائه، ضمن نظام داخلي متكامل لا مجال لذكره هنا. وفصل القسم الدراسي عن القسم الداخلي، كما اتفق مع السلطات المختصة بمنح الإقامة لكل طالب يدرس في الحوزة، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا النظام ساري المفعول ومعمول به بشكل قانوني ورسمي، وأعلن منذ ذلك التاريخ الاسم الرسمي لهذه الحاضرة «الحوزة العلمية الزينبية» كما وثبت في السجلات بأن الشهيد هو المؤسس لهذه الحوزة.

وفي خطوة أخرى نحو استقرار الوضع، قام الشيخ الكرباسي بشراء مركز كبير يقع شرقي الشارع العام وذلك بتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٤٠٣هـ، ليكون مجمعاً يحتوي على مكتبة عامة وحسينية للرجال وأخرى للنساء ومستوصف ومضيف ومكتب، كما سبق وأن اشترى مبنى بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٤٠٠هـ، فخصصه لسكن الطلاب غير المتزوجين، إلى جانب آخر بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٤٠٠هـ، وخصصه للدراسة، ورتبه على شكل صفوف، ومبنى ثالث لسكن المعلمين والمدرسين، في منطقة الحجيرة، الواقع غرب المتجه إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وذلك بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٤٠٠هـ. ثم اشترى مبنيين كبيرين بعد مرقد السيدة زينب، في الفرع الغربي الأول من الشارع العام، يحتويان على عشرات الشقق المخصصة

Digitized by Google

لسكن الطلاب المتزوجين وذلك في أواخر عام ١٤٠٣هـ.

وقد أنشأت إلى جانب هذه المدارس والمنشآت عدداً من الدورات التي كانت بمنزلة معاهد تأهيلية، تساعد الطالب الارتقاء إلى مستوى منهاج الحوزة، فكان قسم منها يُعلّم فيها اللغة العربية، إذ أن برامج الحوزة كانت تُدرَّس وتُناقش باللغة العربية، وقسماً آخر كان يُعلّم فيها مبادئ العلوم الإسلامية، كما وخصص قسم منها لتعليم الخطابة، وأخرى لتعليم أدب الكتابة، والبعض الآخر كان عبارة عن تلبية لحاجة الشباب من قبيل تعليمهم المفاهيم الإسلامية ومبادئ الأحكام الشرعية والتاريخ الإسلامي وتفسير القرآن. إلى جانب كل ذلك، هناك مدرستان كانت تلبي حاجة طلاب المدارس الابتدائية لمن كان أولياؤهم مشاركون في منهج التدريس في الحوزة، وكانت تُعقد بعد الانتهاء من الدوام الرسمي للمدارس، لتعليمهم أمور دينهم.

وقد تكفلت إدارة الحوزة كل الجوانب القانونية للطالب، سواء أمام الدوائر الرسمية السورية أو التي ترتبط بسفارته أو غير ذلك، كما أن الإدارة قامت بتأمين كل وسائل التعليم، وما يترتب عليه من ماديات، وقد أطلق البعض على هذه الفترة (١٤٠٠ ـ ١٤٠٥) بالعصر الذهبي للحوزة. فقد وصل إليها عدداً من الوفود من حوزات كبرى وعريقة، للوقوف على النظام الدراسي والمالي والإداري للحوزة.

وكان من نظام هذه الحوزة وضمن مناهجها، توظيف المتخرجين سواء في إدارة الحوزة أو على شكل مبلغين في أنحاء العالم أو إرسالهم إلى قم لمواصلة الدراسة العليا.

Digitized by Google

وكان الشيخ الكرباسي قد وضع خطة خمسية للارتقاء بالحوزة إلى مستوى رفيع، منها اعتراف وزارة التعليم السورية بالشهادات التي يُزوّد بها الطالب من قبل الحوزة، وتكون مقبولة لدى السلطات الرسمية في سوريا أو خارجها، ويُعفى الطالب من نظام التجنيد الإجباري، ولأجل ذلك جرت اتصالات بالدوائر ذات الشأن ـ التجنيد، التعليم، الأوقاف، إلى غير ذلك ـ، لوضع هذا المقترح موضع الإقرار ثم التنفيذ، وبالاتفاق مع الجهات المختصة، وضعت خطة لإضافة الفقه المقارن بين المذاهب الإسلامية بالإضافة إلى اللغة الأجنبية ومادة التاريخ. وفي خضم هذه النقلة النوعية، وجد الشيخ الكرباسي نفسه تحت ضغوط معينة من جهات مختلفة لم يجد لنفسه مبرراً للاستمرار، فطلب من زميله سماحة العلامة السيد محسن الخاتمي ليتسلم شؤون الحوزة، ليعتزل في صيف عام ١٤٠٥هـ، وبالفعل انتقل السيد الخاتمي من مدينة قم إلى دمشق لهذه الغاية، وقام بشؤون هذه المؤسسة العلمية بما أوتي من قوة، ولكن الحوزة لم تصل إلى مستوى الطموح الذي رُسم لها في عهد ازدهارها. وفي عام ١٤٠٨هـ، أقدم السيد الخاتمي على بيع البنايتين السكنيتين، واشترى بثمنهما أرضاً، أُلحقت بالمُجمّع الذي على الشارع العام، ووسع المجمّع، فأصبح يسع لألف شخص، حيث كانت الحاجة ملحّة إلى إجراء مثل هذا التوسع.

وفي عام ١٤١٠هـ، ترك السيد الخاتمي الحوزة ليتولى عمادتها سماحة العلامة السيد جعفر الشيرازي، ولحد كتابة هذه الأسطر. وفي خلال فترة تولي السيدين الخاتمي والشيرازي،

Digitized by Google

أنشأت عدد من المدارس، فتوسعت الحوزة بشكل ملحوظ، وكان من تلك:

مدرسة الإمام الخميني التي أنشأها سماحة السيد أحمد الفهري عام ١٤٠٥هـ، والتي لها فرع خاص بالنساء. ومدرسة المرتضى التي أنشأها سماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله سنة ١٤١٣هـ، ومدرسة القائم التي أنشأها سماحة آية الله السيد محمد تقي المدرسي سنة ١٤١٦هـ، والتي لها فرع خاص بالنساء، ومدرسة أهل البيت التي أنشأها سماحة العلامة السيد محمد الموسوي عام ١٤١٦هـ، ومدرسة أهل البيت النموذجية التي أنشأها العلامة السيد صادق الحكيم سنة ١٤١٧هـ، ومدرسة المصطفى التي أنشأها سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ جمال الوكيل سنة ١٤١٧هـ، ومدرسة الخاقاني التي أنشأها سماحة العلامة الشيخ الخاقاني سنة ١٤١٧هـ، ومدرسة الحوراء زينب النسائية التي أنشأها العلامة الشيخ خدايار الناصري عام ١٤١٨هـ. إلى جانب عدد من المراكز الدينية والثقافية والاجتماعية والتي أصبحت اليوم مجمعاً علمياً ضخماً، يؤمه طلاب العلوم من شتى أنحاء العالم.

وإلى جانب هذه الحوزة، هناك عدد من مكاتب وممثليات المراجع العظام في العراق وإيران، كما أن هناك بعض الإصدارات الدورية وعدد من المؤلفات تصدرها هذه المراكز[١].

(١) راجع مجلة المرشد الدمشقية العدد: ١٧ ـ ١٨ وغيرها من الصحف المحلية والمنشورات الخاصة بالحوزة.

Digitized by Google

ثالثاً: مشاهدات الدكتور غيث العبد الله[1] الذي أوردها ضمن كتيب صغير تحت عنوان المعهد الإسلامي بدمشق بين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٨٣م والمطبوع بالقاهرة في مطبعة المشهد الحسيني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار.

تمهيد

لقد زرت مدينة دمشق سنة ١٩٨١ وتوجهت كعادتي لزيارة العتبة المقدسة في ضواحي مدينة دمشق حيث مرقد السيدة زينب رضي الله عنها ابنة الإمام علي رضي الله عنه. وبعدما انتهيت من زيارتي، أخذت الجانب الغربي من المقام لأصلي ركعات تقرباً إلى الله تعالى، وجلست هناك حتى كادت الشمس أن تغرب، وإذا بالزوار أخذوا يتوافدون كعادتهم، إلا أن الذي جذب انتباهي من بين الوافدين كثرة رجال الدين من علماء الشيعة، من سادة وشيوخ، وهم كسائر الناس يتقدمون بالسلام على السيدة زينب رضي الله عنها، وتلاوة الزيارة المعلّقة هناك، ثم يأخذون مكانهم من القسم الخلفي من الضريح المقدّس، فتساءلت نفسي أن هذا العدد من المشايخ لم يعهد لي أن رأيتهم قبل سنوات عندما زرت مولاتي السيدة زينب رضي الله عنها ، وحثني حب

(١) الدكتور غيث العبد الله من اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلا أن كتابه قد طبع في مصر ولذلك نجد أن التسليم على أئمة أهل البيت عليهم السلام جاءت على أسلوب يستخدمه أهل السنة والجماعة

Digitized by Google

الاستطلاع عن هذا الأمر، فسألتهم دون غيرهم، حيث أني من الطائفة والأمر يعنيني، ولم أعهد أن رأيت رجال دين بهذه الكثرة هناك. وعندما انتهيت من صلاة المغرب والعشاء قصدت أحد رجال الدين من آل البيت النبوي وهو شاب في مقتبل العمر وكأنه كان من إخواننا من أهالي الهند. جلست بجانبه وبدأت أطرح عليه أسئلتي وما كنت أتوقع أن السؤال الواحد يتشعب إلى ألف سؤال وسؤال، فأول ما سألته عن مكان إقامته، فقال لي: هنا في حي السيدة زينب رضي الله عنها، قلت: أقصد بسؤالي أين سكنك الدائم لا المؤقت (المحدد بوقت الزيارة والسياحة)؟ فردّ علي ثانية: «الزينبية»، عنى به حي السيدة زينب، فاستغربت من جوابه، فقلت: وماذا تعمل يا مولانا هنا وحدك؟ فأجابني: أدرس علوم آل محمد، فقلت له هنا وفي أي مكان وعند من؟ لا توجد هنا مراكز للدراسات الإسلامية على ما أعلم، فقال: نعم، لم تكن من ذي قبل، ولكن الآن توجد مدارس ومدرسين. قلت: وما شأن هؤلاء المشايخ هنا؟ أهم مثلك يدرسون هنا؟ قال: نعم. فهنا غمرتني فرحة، لكن زاد من تعجبي، أفي مثل هذا المكان يتواجد رجال دين يدرسون العلوم الإسلامية!. وانقطعت عن الكلام، حيث أخذ الفكر يجول بي من هنا وهناك، فلم أر ما حولي ولا أعي ما يجول أمامي، وفجأة أرى أن صوتاً يودعني، فانتبهت من غفلتي، وخرق السكون الذي احتواني لأرى السيد يتأهب لترك المقام فسألته أن يبقى معي برهة من الوقت لأطرح عليه أسئلتي، فاعتذر مني لأن القسم الداخلي من المدارس ستغلق أبوابه بعد دقائق ولا بد له من الوصول إليها قبل موعد إغلاقها،

Digitized by Google

فزادني حيرة وودعني، وقلت في نفسي: واعجباً تقام هنا مدارس آل الرسول ﷺ في البلد الذي اضطهدوا فيه من ذي قبل! وعندما ذهبت إلى دمشق وأخذت فراشي جعلت أفكّر في هذا الأمر وكنت قد رتبت أمر سفري لأغادر دمشق خلال يومين، إلا أنني عزمت على أن أذهب إلى حي السيدة زينب رضي الله عنها لأكمل أسئلتي عن مركز الدراسات الإسلامية هناك. فذهبت في اليوم التالي إلى مقام السيدة زينب رضي الله عنها في وقت مبكر طمعاً بأن التقي برجل دين يزودني بمعلومات عن هذا المركز، فعندما وصلت لم أحظ بأي رجل دين، وخاب ظني، فسألت عنهم من البواب الذي هناك، فأرشدني بأنهم في العادة يأتون قبل صلاة المغرب بنصف ساعة، وسألته ألي أن أرى أحدهم قبل هذا الوقت؟ فقال لي في الجواب: لا أظن. فقلت: فكيف وهم يسكنون هنا؟ فقال: إنهم كانوا يأتون سابقاً في أوقات متفرقة إلا أنهم أصبحوا منذ فترة من الزمن لا يفدون إلى المقام إلا قبيل المغرب بقليل، فزادني تعجباً. وانتظرت بأفكاري وأسئلتي إلى وقت صلاة المغرب، فرأيتهم بدأوا يتوافدون، ففرحت فرحاً شديداً، ووقع نظري على شيخ يظهر منه أنه ذو شخصية ووقار، وكان لا يتجاوز الخمسين، قد أقبل، قلت في نفسي هذا كبيرهم، له معرفة بكل جوانب هذا المركز وخصوصياته، فالأفضل أن أنتظره ليختار مكانه حتى أذهب إليه وأطرح عليه أسئلتي وأحصل على الإجابة الدقيقة عليها، فقصدته وجلست بجنبه وأردت أن أقبّل يده إلا أنه سحبها، فزاد عندي هيبة ووقاراً، فقلت له: مولاي عندي أسئلة وأريد أن أطرحها عليك لتجيب عليها، فقال

Digitized by Google

بلكنة: تفضّل، فجعلت أسأل وأسأل، فزادني من المعلومات ما يثلج الصدر ويفرح القلب، فاشتقت إلى أن أقوم بنفسي لزيارة هذا المركز، ولكن بدا منه أنه من الصعب أن يقوم أحد بزيارة هذا المركز إلا بإذن خاص من المسؤول، فهناك خاب ظني ثانية لجهتين، لصعوبة الأمر ولكونه هو بالذات لم يكن مسؤولاً عن هذا المركز كما تصورت، ولا أطيل المقام، فإني علمت منه أنه أحد المدرسين في الفقه والأصول وهو من الجالية الأفغانية، وأن المسؤول (الشيخ الكلباسي)[1] لا يتواجد هنا في دمشق إلا أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد. وكان يومي هذا في الأسبوع يوم الثلاثاء، فقلت: لا بأس، أراه في ليلة الجمعة هنا، فسألت الشيخ المذكور عن ذلك، فقال: نعم إنه يأتي لزيارة السيدة زينب عادة ليلة الجمعة إن لم ينشغل بشيء ما، حيث أن أعماله ومشاريعه كثيرة، ففكرت في نفسي أن لقائي بالمسؤول الأول يمكن أن يطيل بي المقام، فالتمست منه أن يصحبني معه لزيارة هذا المركز، فاستصعب ذلك، إلا أن الذي جعله يتنازل وواعدني بذلك إصراري، ولكنه طرح عليّ أسئلة مختلفة ليعرف هويتي وقصدي من زيارتي لهذا المركز، فعرّفته حسن طينتي وطيب نواياي، فواعدني أن ألتقي به في المقام قبل الساعة الثامنة صباحاً حيث أن الدوام يبدأ في الساعة الثامنة وعلى الطلاب والمدرسين الحضور قبل ذلك، وإلا تغلق الأبواب فيفوتهم ذلك اليوم. أترك هنا تفصيل الكلام حيث سيأتي الكلام عن تفاصيل البرامج بشكل

(١) الكلباسي: كذا وردت الكلمة في النص وهي والكرباسي متحدتان إذ قد يطلق أحدهما بدلاً عن الآخر.

Digitized by Google

أكثر وضوحاً، إلا أني أكمل حديثي هذا بجملات وهي، إني ذهبت معه خلال الفترة التي بقيت فيها هناك، أي لمدة أسبوع كامل لفترات متعددة والتقيت بمدير القسم الداخلي ومدير المدرسة، وذهبت ليلة الجمعة إلى المقام مع أحد المشايخ الذي كان يتكلم اللغة العربية جيداً والتي تغلبها اللهجة اللبنانية لألتقي بالمسؤول هناك وأحظى منه بموعد لأعرف المزيد من تفاصيل هذا المركز المبارك. فجلسنا كعادتنا في الجانب الغربي من المقام، فدخل قبيل المغرب بدقائق شيخ كريم، فأشار إليّ صاحبي بأنه المسؤول، ورأيت الشخصية منه بادية والرزانة منه ظاهرة وهو في العقد الثالث من عمره خلاف ما كنت أتصوره أنه رجل كبير السن، إلا أن الذكاء بادٍ منه والتقوى ظاهرة عليه، لا ينظر يميناً ولا شمالاً، متوسط القامة ولا يعد نحيفاً، أخذ طريقه إلى المقام ووقف دقائق هناك ماسكاً بيمينه الضريح المقدس تالياً الزيارة على ما أظن، ثم جاء وجلس خلفنا، فصلى بعض الركعات، وكان وقت المغرب قد حان، وصلى المغرب والعشاء، فرأيت أن رجال الدين يأتونه ويسلمون عليه وآخرون يسألونه بعض المسائل الشرعية، فتقدم صاحبي وعرّفني به فسلّمت عليه، وأردت أن أقبّل يده فسحبها منّي، ورأيته يفعل ذلك مع الآخرين أيضاً، فعلمت أن هذا المركز له أخلاقية عليا، يمتنع فيه الطالب والمدرس والمسؤول من الخضوع لهم أكثر من مقدار الاحترام، وأردت أن يضرب لي موعداً، فقال لي أنا موجود من ساعة كذا إلى ساعة كذا في المكتب بدمشق، ولكن صاحبي تكلم معه بالفارسية بعض الكلمات لم أفهمها، ولكن علمت منه بعد ذلك أنه استأذنه بأن يشرح لي كل

Digitized by Google

قوانين الحوزة على تعبيره، فأجابه بالموافقة، فتوجه المسؤول بكله إليّ، وقال لي الأخ يغنيك عني ما تريد وأنا في خدمتكم وأهلاً ومرحباً بكم، ثم ودعني والابتسامة على شفتيه، وعرفت بعد ذلك أن من عادته أن يستقبل الناس ببشاشة ويعدهم خيراً. وعندما قال لي ذلك، فرحت وسررت، ولكن بقي في نفسي سؤال، هل أن صاحبي هذا يعلم كل شيء بالدقة التي أريدها، فقلت في نفسي أسأله، فسألته، فقال: نعم. أنا ممن أعمل مع المسؤول، وكنت منذ تأسيس الحوزة تقريباً، فإلى هذا أكتفي لأوجز فيما يلي عن منهاج المركز الإسلامي وقوانينه. أرجو من الله تعالى أن يوفقني لوضع هذا الكراس خدمة لتراث آل البيت رضي الله عنهم.

١ ـ سبب التأسيس

كلنا يعلم أن العراق كان يحظى بقدر كبير من المراكز الإسلامية والمعاهد العلمية حيث مراقد الأئمة الأطهار رضي الله عنهم، ومركزية النجف الأشرف من عهد علاّمة عصره وفقيه زمانه الشيخ الطوسي مؤسس المعهد العلمي الإسلامي بها بعد اندراسها ببغداد والحلة، فكان العلماء وطلاب العلوم الدينية تتوافد على النجف الأشرف بشكل كثيف من سائر الدول الإسلامية، ولذلك كانت المراكز الإسلامية تضم أكبر عدد من الجاليات الإيرانية والباكستانية والأفغانية والهندية إلى غيرها من الجاليات، وما أن ساءت الأوضاع السياسية في القطر العراقي حيث الاضطهاد والقمع لرجالات الشيعة ومحاربة المراكز الإسلامية، بدءاً من عام ١٩٦٩ وحتى اليوم، جعلت العلماء تهاجر المراكز الإسلامية هناك وتبحث عن مكان يليق بنشاطاتها الإسلامية والثقافية، وبما أن مدينة قم في

Digitized by Google

إيران كانت ذات نشاط مماثل للنجف الأشرف رغم تأسيسها حديثاً على عهد المقدس الفقيد الشيخ عبد الكريم الحائري وتطويرها على عهد إمامها البروجردي، فقد اختار الطلاب الإيرانيون الهجرة إلى قم بدافع منهم وبتسفير السلطات العراقية الإيرانيين إلى بلادهم وتسفير غيرهم عن طريق برّي آخر إلى سوريا العربية حيث كانت السلطات السورية تمنحهم التأشيرة بسهولة، على عكس السلطات الإيرانية آنذاك، حيث حكم الشاه. فلذلك نجد أن قسماً كبيراً من رجال الدين قصدوا دمشق حيث الترحاب كان قائماً من قبل السلطات الرسمية والشعب الذي طالما تعوّد على السيّاح من كافة الجاليات، وكانت رجالات الدين تتخذ من دمشق محطة أولى لانطلاقها إلى أية نقطة من العالم كي يستمدوا البركة من السيدة زينب رضي الله عنها هناك، فقسم كبير منها انتقلت عبر دمشق إلى إيران بعدما منحوا سمة الدخول من السفارة هناك وسكنوا قم ذات المركز العلمي الزاهر، وقسم سافر إلى بلده حيث أنه كان قد أنهى دراسته في النجف الأشرف أو قارب على النهاية، وأما القسم الآخر الذي لم يكمل بعد دراساته حيث لا يمكنه السفر إلى بلده لعدم تواجد مركز علمي حافل هناك يمكنه من الاستمرارية في تحصيل العلوم الإسلامية، ولا يمكنه السفر إلى إيران، حيث التكاليف الباهظة وعدم سماح السلطات الإيرانية آنذاك بوفود هذا العدد الهائل من رجالات الدين حيث لم تكن السلطات الإيرانية أقل حظاً من السلطات العراقية في قمع رجال الدين والمراكز الإسلامية والمعاهد الدينية، فلذلك جاءت فكرة البقاء في الشام رغم الظروف المعيشية الصعبة.

Digitized by Google

وكان العلامة الفقيد الشهيد السيد حسن الشيرازي من العلماء الأجلاء الذين قطنوا مدينة بيروت والذي كان له فيها مشاريع إسلامية ونشاطات دينية، وكان يتردد بين فترة وأخرى إلى سورية العربية ليلتقي باخوانه العلماء العلويين ليكمل الشوط معهم في تنسيق العمل المشترك لما فيه مصلحة الطائفة الشيعية. ومن الطبيعي أن تكون دمشق محطته لينطلق منها إلى بلاد العلويين، وبفرض وجوده في دمشق لا بد وأن يزور السيدة زينب رضي الله عنها ويأخذ البركة منها حيث أنها رائدة العلم والعمل، فكان يلتقي برجال الدين المهجرين من العراق الذين كانوا يتواجدون هناك ويبحث شؤونهم حيث هو الآخر من رجالات الفكر التي أبعدتهم السلطات العراقية الغاشمة بعد السجن والتعذيب والاضطهاد، وبما أنه كان من رجالات العراق وإبناً ثانياً للمرجع السيد ميرزا مهدي الشيرازي الذي كان يقطن مدينة كربلاء ويتولى أمور رجال دينها ومراكزها الإسلامية ومعاهدها الدينية، كانت رجالات الدين تعرفه، فقصده المهاجرون من رجال الدين، باحثة معه شؤونهم ومشاكلهم إلى أن تبلورت فكرة تأسيس مركز علمي بالحيّ الزينبي.

٢ ـ المؤسس

هو العلامة الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس الله روحه. ولد بالعراق في مدينة النجف عام ١٩٣٧م، وقد درس العلوم الإسلامية على يد كبار علماء كربلاء حتى تخرج من المعهد العلمي هناك عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً ومفكراً مجاهداً، وقد كان له النصيب الأوفى من الاضطهاد والتعذيب والسجن في عهد

Digitized by Google

أحمد حسن البكر، الرئيس العراقي آنذاك، حيث كانت هناك شخصيات إسلامية بارزة تراقبها عيون السلطات الظالمة في العراق أكثر من غيرها، لمكانتها السياسية والشعبية والتي إحداهما السيد الشيرازي والآخر العلامة المجاهد السيد مهدي الحكيم حفظه الله، نجل الإمام الحكيم قدس الله روحه، فنال هذا الآخر من الحكم، التشريد والاضطهاد مثل صاحبه. وما أن أودعت السلطات العراقية السيد الشيرازي السجن وعذّب حتى كاد أن يُعدم، لولا تدخل كبار العلماء والمراجع كالإمامين الخوئي والخميني حفظهما الله لتخليصه من أيدي الشرذمة الحاكمة ببغداد، فسافر إلى بيروت للعلاج، مما أصيب به في الزنزانات العراقية المتوحشة. وما أن استقر بلبنان حتى أقام بها بعض المؤسسات والمشاريع، كمدرسة الإمام المهدي رضي الله عنه، ومجلة الإيمان، وغيرهما من المشاريع الثقافية والاجتماعية، وكان يُعدّ من رجالات الفكر والقلم، له مؤلفات قيمة اطلعت على المطبوع منها، فرأيتها فريدة من نوعها، والتي من أبرزها موسوعة الكلمة. ولم يسعني الحظ لأن ألتقي به في حياته، وقد شاءت الظروف أن تخضع لبنان للمنتمين إلى الحاكمين في العراق، من حيث الكادر الحزبي فيها، وما أن قامت السلطات العراقية بتصعيد موجة القمع والاضطهاد في داخل العراق وقتل العلامة الكبير آية الله محمد باقر الصدر (قدس سره)، إلا وقامت الأتباع بأمر أسيادها بسياسة الاغتيال خارج القطر العراقي لرجالات الفكر والدين المعارِضة للحكم الديكتاتوري في العراق، وما أن كان السيد الشيرازي يقصد المشاركة في المجلس التأبيني الذي أقامه في مدرسة الإمام

Digitized by Google

المهدي على روح شهيد الأمة السيد الصدر، إلا واغتالته الأيادي الأثيمة، التي اغتالت المجاهدين العلماء داخل العراق، فأردوه قتيلاً وذلك عام ١٩٨٠.

٣ ـ الوضع البدائي

كان الشهيد الشيرازي قد رتب المعهد العلمي بصورة بدائية، حيث أن الحي الزينبي لم يكن محطاً لرجال العلم والفكر، فكان يستخدم من المهجرين أنفسهم أساتذة، وبما أن الطلبة المهجرة كانت تتوافد بين حين وآخر من العراق فلا يمكن أن يكون هناك نظام محدد من حيث الزمن والنوعية، شأن كل المشاريع في دورها التأسيسي، فكان الفقه والأصول والمنطق والعربية بكل علومها تدرَّس عبر الأساتذة المهجرين، ومن الواضح أن صعوبة المرحلة التأسيسية كثيرة جداً حتى في الظروف الطبيعية، فكيف بها في مثل هذه الظروف، التي من أهم مشاكلها:

١ ـ نفسية الطالب المهجر التي لا زالت تعيش عهد الاضطهاد والتعذيب والتسفير.

٢ ـ المكان الجديد الذي لم يكن من ذي قبل، مركزاً علمياً إسلامياً.

٣ ـ الإمكانية المادية الضعيفة.

٤ ـ الأمور القانونية.

فكان الطلاب يعيشون حالة خاصة لا يمكن التعبير عنها إلا بحالة الجهاد التي تشمل حالات الجهاد كلها، من جهاد النفس، وجهاد الآخرين المتشمتين بهم وبقاءهم هناك، وجهاد العيش وما إلى ذلك.

Digitized by Google

فبدأ السيد الشيرازي سنة ١٩٧٥ مع جمع من صحبه وفي مقدمتهم الشيخ الكلباسي بهذه المرحلة الصعبة جاهداً، وسعى في الوصول إلى الأفضل وإلى تشييد معهد فخم للدراسات الإسلامية العليا، وقد تمكن خلال هذه الفترة من الاتصال ببعض المدرسين الأجلاء ليرحلوا إلى هذا المركز الإسلامي، ليلقوا بمحاضراتهم في هذا المعهد الديني الفنّي، علهم يكونوا سنداً للطلبة المضطهدين، المهجرة من العراق. وبالفعل فقد لبى نداءه كثير من العلماء واستقروا بالشام، ومن أبرزهم العلامة السيد أحمد الواحدي، الذي كان من علماء قم وخطباء الخليج، وقد لبّى طلب السيد الشيرازي وجاء ليكون في خدمة هذه الحوزة، وقد منحه السيد الشيرازي ثقته في القيام بالتدريس هناك وإمامة الجماعة نيابة عنه، وتوليه بعض المهام في الحوزة بالنيابة عنه.

وما أن دارت الأمور إلى الأحسن حتى التحق بهذه الحوزة عدد لا يُستهان به من الطلبة اللبنانيين والسوريين والعراقيين والإيرانيين. أما اللبنانيون والسوريون حيث أنه أقرب معهد ديني لهم، وأما العراقيون والإيرانيون، لاضطهاد الدولتين لمواطنيها، فكانت تلتحق بهذا المعهد الديني.

ونظراً للتطوير، قام السيد الشيرازي باستئجار بيوت للدراسة وبيوت للسكن والتي كان عددها يتراوح بين الثلاثة والستة، رغم الظروف المادية الصعبة التي مر بها المعهد الديني، فإنه استمر مدة أربع سنين.

وقد حاول السيد الشيرازي أن يجعل لتواجد الطلاب في

Digitized by Google

القطر السوري بهذا المعهد الديني صبغة شرعية، فكان لا يترك طريقاً إلا وسلكه ليجد الحل القانوني لتواجد مثل هذا العدد الضخم الذي يمكن أن يتضاعف في المستقبل، ولكن مع الأسف إن السلطات الطاغية لم تمهل السيد الشيرازي للوصول إلى أهدافه السامية، وأرحلته إلى عالم الخلود قبل أوانه عام ١٩٨٠، وبذلك أصبح المعهد بلا مسؤول قادر على أداء دوره الفعال، حيث لم تتح الفرصة للمؤسس في بناء الكادر المناسب من أبناء المعهد نفسه ليتولوا الأمر، فما أن سمع طلاب العلوم الدينية نبأ اغتيال السيد الشيرازي إلا وسقطت السماء على رؤوسهم ووقفوا مذهولين ينظر بعضهم إلى البعض الآخر من هول الخبر وفداحته، وانهالوا يبكون كاليتامى والأرامل، فدخل الحزن أرجاء بيوتهم وعمّ الأسى أسرهم، وأصبح الكل يبكون ويندبون إمامهم وراعيهم وكافل شؤونهم، فاستقبلوا الجثمان بدموع منهمرة وصراخ وعويل ليطاف به حول قبر السيدة زينب رضي الله عنها ومن ثم يودع إلى إيران حيث مقر أخيه المرجع السيد محمد الشيرازي بقم، ويدفن في مقام السيدة معصومة.

٤ ـ تنظيم المعهد

قبل أن نبدأ بالدور التنظيمي للمعهد الديني الزينبي أود أن نذكّر القراء بأنه قد تعارف في المعاهد الدينية القديمة أن يقال لها «الحوزة» وهي على ما أظن مأخوذة من الحيازة، حيث أن الطالب كان يحوز مكاناً لنفسه في حلقة الدرس فيقال هذه حوزة فلان، نسبة إلى المدرس، حيث كانوا يحوزون زاوية من المسجد ليتلقوا العلوم، ومنذ ذلك الوقت، تداول فيما بينهم كلمة الحوزة،

Digitized by Google

وفي دمشق أيضاً يطلقون على هذا المعهد الديني بالحوزة الزينبية نسبة إلى السيدة زينب رضي الله عنها.

تكلمنا سابقاً عن حياة المؤسس بشكل مختصر جداً لقلة معلوماتي عنه أولاً، ولأن الكراس لم يوضع لذلك، بل الغرض منه التعريف عن هذا المعهد، وقلنا أيضاً أن طلبة العلوم الدينية أصبحوا ينظرون إلى مستقبلهم المجهول الذي ينتظرهم وجعلوا يقصدون جثمان السيد الشيرازي ويخاطبونه بكلمات مزرية: أين تركتنا؟ وعلى من تركتنا؟ ولماذا تركتنا؟. كلمات مدوية وعبارات مشجية تمزق نياط القلب حيث أنها خرجت من القلب، وتوجهت العيون في تشييع السيد الشيرازي إلى شيخ رافق الجثمان من بيروت وتحمل عناء ما بعد الشهادة ليوصل الوديعة إلى أهلها عبر أولاد الفقيد الروحيين، وشُيع في الشام حيث تلامذة الشهيد، فجاؤوا ليعزوه بدموعهم ويسألوه عن الحادث الجلل الذي أصابهم ويبلغوه في إيصال تعازيهم إلى أخ الفقيد المرجع بقم، علّه يقوم بتحمل شؤونهم، فما كان للشيخ إلا أن شاطرهم الأسى والأسف، ويمنّيهم خيراً، وكان يقول لهم، اتكلوا على الله واصبروا إلى حين عودتي من إيران، ولكنهم أرادوا منه أن يطمئنهم أكثر، فتفاعل معهم، وقال كلمته الأخيرة إن شاء الله ستستمر الحوزة، وتستمرون بفضل الله واستقامتكم، ولي معكم لقاء بعد أيام. فمن هو ذلك الشيخ ولماذا قصدوه دون غيره، فالشيخ هو العلامة المجاهد الشيخ صادق الكلباسي الذي كان ممن ساهم في تأسيس الحوزة العلمية هناك، هو وزملاءه الشيخ عبد الرضا الوفائي، والسيد محسن الخاتمي مع السيد الشيرازي

Digitized by Google

الشهيد (قدس سره). والعلامة الكلباسي من الشخصيات الإسلامية ذات الفكر والقلم والأخلاق العالية، وقد رأيت بعضاً من مؤلفاته القيمة المطبوعة، وعندما التقيت به أعجبتني أخلاقه وأسلوبه وطموحاته وعلمه، حيث وجدته ضليعاً بكل المسائل العلمية، وقد سألت عنه بعض إخوانه فوصفوه بالعلم والفضل والأخلاق العالية، وقالوا لي من جملة ما قالوه أنه درس العلوم الإسلامية والحديثة عندما كان في العراق، وذكروا لي بعض مواقفه الجريئة المحمودة، ودوره المشهود في التأسيس. وبما أن هذا الكراس يتمحور حول المعهد العلمي، فلذلك نحاول أن لا نتجاوزه إلى تراجم الشخصيات إلا بمقدار الحاجة.

وعندما رجع الشيخ من إيران، قالت ثلة من الطلاب رأيناه يائساً من مرجعيتها هناك، حيث لم تتعهد باستمرارية دعمها للمعهد كما كان على عهد السيد الشيرازي، وذلك لعدم قناعتها بأن هذا المعهد سيفي بالغرض المطلوب، أو سيكون مركزاً إسلامياً يقوم بأعباء المسؤولية كما يجب، ولكنه حصل على التشجيع والتأييد منهم دون غيره.

ولكن ما قاله الشيخ لنا إني على الرغم من ذلك فإني باق على عهدي الذي عاهدتكم به، وأعاهد السيدة زينب رضي الله عنها على أن أقوم بهذا الأمر مهما كلف الأمر ومهما كانت الظروف. يقول صاحبي الذي استأذن الشيخ الكلباسي في سرد الأمور المتعلقة بالمعهد، فأول ما قام به الشيخ هو دراسة وضع الحوزة كاملة وبالأخص الجهة المستعصية وهي المادة، حيث أن المشكلة المادية هي الأهم، فكاتب أصدقاءه من تجار الخليج، فلبّى قسم

Digitized by Google

منهم الذي كان يعرف الحوزة، كما كاتب أصدقاء السيد الشيرازي ممن كانوا يمولون المشروع في حياته، فتمكن من هؤلاء وأولئك أن يؤمن مصروف المعهد لعدة أشهر فقط، فاستمر بإعطاء الراتب الشهري للطلاب، ووصاهم بالرجوع إلى دروسهم، ريثما يفكر في الأمر على فارغ من الصبر، فمشت الأمور على ما يرام. وكان في الحوزة العلمية من أصدقاء المرحوم الشيرازي والشيخ الكلباسي، العلامة الوفائي، حيث كان له نشاط ملموس في الحوزة، فأخذ يستشيره بكل الأمور إلى أن طرح عليه فكرة متكاملة عن تنظيم جديد للدراسة بشكل حديث، فوافق عليه الشيخ الوفائي بعد المناقشة وضم رأيه إلى رأي الشيخ الكلباسي عن اجتماع عام لكل رجال الدين هناك، وقد ضم الاجتماع ما يعادل مائتي رجل دين من الأساتذة والطلاب، فقام فيهم الشيخ الكلباسي خطيباً ليحثّهم على مواصلة الدراسة ويطمئنهم على الاستمرارية وبيّن لهم الظروف التي كانت تعيشها الحوزة على عهد الشيرازي وما تعيشه اليوم، فذكّرهم بأن دور التأسيس قد انتهى وجاء الآن دور الاستمرارية والنظام، فعرض عليهم فكرته مدعمة بالأدلة المفعمة وخيّرهم بين قبول الفكرة بميزات مادية ومعنوية أو عدم قبولها، فتبقى أمورهم كما كانت، ونبّه إلى عدم قبول أي طالب جديد إلا حسب النظام الجديد، وعلى كل من التحق بالدورة الحديثة وقبل الانتماء إليها، فلا يحق له رفضها والرجوع إلى الحالة السابقة، ثم وزّع عليهم الاستمارات التي توضح الفكرة وتطالبهم بإدراج المعلومات الضرورية التي حددت لهم، وقبول الفكرة أو رفضها مع إقامة الدليل المقنع وإبداء اقتراحاتهم، فلاقى المشروع من كل العناصر

Digitized by Google

الفنيّة النشطة بالقبول إلا القليل ممن خرج بحكم العقل والعُرف من التقيد بالنظام ممن خارت قواه، فشكل اللجان لذلك، وجاء نهاية الشهر والكل كان قد سلّم باستمارته إلى اللجنة المختصة، فبعد الفرز علم أن القبول جاء بنسبة ٩٦٪، وجاء دور التمهيد لوضع النظام الداخلي والدراسي والإداري، فاجتمع الشيخ الكلباسي بالأساتذة والطلاب في فترات مختلفة لأجل وضع النظام الأنسب للحوزة هناك والمضمون تطبيقه، ومن ثم وضع النظام، وطُبّق بعد العرض عليهم بشهر.

٥ ـ عدد الطلبة وعوائلهم

قبل التكلم عن نظام الحوزة أو المعهد الإسلامي نقول إن الجاليات التي كانت تشكل الحوزة هناك حسب ترتيب الأكثرية هم الباكستانيون والأفغانيون والهنود والعراقيون واللبنانيون والسوريون والأفارقة والإيرانيون، يتراوح عددهم بين مائتين وخمسين طالباً وبين ثلاثمائة طالب، وتدل الإحصاءات خلال سنوات متعددة على أن عدد المتزوجين يفوق بنسبة الضعف على غير المتزوجين، فعلى هذا تكون نسبة الثلث إلى الثلثين، كما أن العوائل المرتبطة بالطلاب والمدرسين يفوق الستمائة شخص، حيث أن معدل كل عائلة هو خمسة أشخاص مع الأبوين، ولو استثنينا الطلاب أنفسهم والذين تكوّن نسبتهم الخمس في العدّ العائلي، يكون عدد الطلاب وعوائلهم معاً ثمانمائة وخمسين شخصاً، بما فيهم النساء والأطفال، فيما تتراوح أعمار الطلاب بين الثانية عشرة والخمسين عاماً، إلا أنه عدل في النظام الجديد، فحدد الأعمار بين الخامسة عشرة وحتى الثلاثين فقط.

Digitized by Google

٦ ـ مباني المعهد الإسلامي

حاول الشيخ الكلباسي في الفترة التي تولى أمور المعهد أن يطور المعهد في كل مرافقه وأن يعتمد المعهد على نفسه ضماناً للاستمرارية، فعمد إلى شراء المرافق التي يحتاجها المعهد من مكان للدراسة وآخر لسكن الطلاب غير المتزوجين وآخر مركزاً للاحتفالات ومستوصفاً ومكتبة عامة وما إلى ذلك. فقد اشترى للمعهد مكاناً للتدريس ورتّبه على شكل صفوف مؤثثة ومجهزة، وآخر سكن الطلاب غير المتزوجين، وجعلها مؤثثة ومجهزة بكل ما يحتاجه الطالب على الطراز الحديث، واشترى داراً للمعلمين وداراً للمتعلمين، ومركزاً واسعاً، على الطريق العام المؤدي إلى قبر السيدة زينب رضي الله عنها، بمنطقة الحجيرة التي تبعد عن القبر الشريف خمسمائة متر تقريباً، حيث فيها المركز الإسلامي، خصص الطابق الأول (الأرضي) منه لإقامة الصلاة وعقد المجالس والاحتفالات والندوات، والطابق الثاني لإنشاء مستوصف خيري لطلاب العلوم الدينية ومكتبة عامة لكل رواد العلم والثقافة، وإدارة عامة للمعهد، واعتبر الطابق الثالث مضيفاً للمعهد، إذ تؤم كل عام وفود من كافة أقطار العالم مقام السيدة زينب رضي الله عنها فتنزل ضيوفاً على هذه الحوزة.

نرجو من المولى جل شأنه أن يوفق الشيخ لإكمال بناءه فيكون جاهزاً للاستخدام خلال شهرين أو ثلاثة أشهر إن شاء الله.

Digitized by Google

٧ ـ التمويل

يموّل هذا المشروع الضخم التجار المؤمنون من الخليج ولبنان وسوريا وإيران وبشكل متقطع بعض تجار البلدان الأفريقية والأوروبية، وعادة يمولونها من أموالهم الخاصة والنذور الخاصة بالمشروع أو العامة، ولا يعتمد على الحقوق الشرعية إلا إذا كان أصحابها لديهم اذناً خاصاً من مرجعهم، إذ أن إدارة الحوزة لا تستلم الحقوق الشرعية من أصحابها إلا إذا كانوا مجازين في صرفها من قبل مرجعهم، كما أنها لا تتلقى أية مساعدات من الجهات الرسمية، وبذلك تكون الحوزة قد حافظت على استقلاليتها عن الانتماء، وعلى حريتها في تطبيق نظامها الدراسي.

وكان للشيخ الكلباسي فكرة إيجاد مشروع استثماري للمعهد، فقام لهذه الغاية بجولة في الخليج على أصدقائه للحصول على مبلغ مالي مناسب ليستثمره في صالح الحوزة، وبالفعل فقد توصل إلى هذا المشروع نسبياً بشكل لا بأس به[١]، فوضع ميزانية خاصة لأجل ذلك، وكانت تحدد قبل ستة أشهر، وكان المصروف الشهري الخاص بالحوزة يتراوح بين ربع مليون ليرة سورية وثلاثمائة ألف ليرة سورية، هذا بغض النظر عن تأسيس المؤسسات والمشاريع وتوسيع نطاق المعهد.

---

(١) وكان قد جمع ما يقارب النصف مليون دينار كويتي أودعها عند لجنة من التجار بغرض الاستثمار، وكان منها تدبير أمور الحوزة، إلا أن المبلغ صرف في رواتب الحوزة بعد رحيل الشيخ الكرباسي.

Digitized by Google

النظام الداخلي للمعهد (الحوزة الزينبية)

ينقسم النظام الداخلي إلى عدة أنظمة مترابطة بعضها مع البعض الآخر، فهناك الشروط لمن يريد الالتحاق بالحوزة وهناك نظام القسم الداخلي، ونظام قسم الدراسات، وهناك نظام الهيكلية العامة للحوزة.

شروط الانتساب

لا تستحضرني الآن كل الشروط، ولكن أتذكر أهمها:

١ ـ العمر، لا بد أن لا يقل عن ١٥ سنة ولا يزيد عن ٣٠ سنة.

٢ ـ أن يخضع الطالب للفحص الطبي من حيث الجسم والنفس، بحيث لا يكون مبتلى بالعاهات الجسمية أو مصاباً بأمراض نفسية بشكل تؤثر في التعليم أو تؤثر في الآخرين تأثيراً مباشراً وغير مباشر.

٣ ـ أن يكون متعلماً إلى مستوى الابتدائية على أقل التقدير.

٤ ـ يمكنه التعليم باللغة العربية قراءة وفهما.

٥ ـ يطالب بورقة تزكية من عالمين من علماء بلدته.

٦ ـ أن لا يعد مجرماً إنسانياً في نظر دولته.

٧ ـ أن لا يوجد خلل في أوراقه الرسمية ما عدا العراقيين[1].

---

(١) حيث كان العراقيون مضطهدون من قبل نظامهم.

Digitized by Google

٨ ـ أن لا يكون مطلوباً من قبل سلطات الجمهورية الإسلامية الإيرانية إن كان إيرانياً أو من سلطات الجمهورية العربية السورية إن كان سورياً.

٩ ـ يخضع الطالب للامتحان الدخولي.

١٠ ـ عدم التدخل في السياسة بتاتاً.

١١ ـ يطالب بورقة خطية من وليه بالموافقة على التحاقه بالحوزة.

المنهاج اليومي

يتألف المنهاج اليومي من شطرين، صباحي وآخر مسائي، حيث توزع الحصص الدراسية الست على الشطرين، ففي الصباح تدرس أربعة دروس وفي المساء درسين، كل درس يستغرق من الوقت ٤٥ دقيقة، تضاف إليه ١٥ دقيقة استراحة.

يبدأ الدوام صباحاً من الساعة الثامنة وحتى الثانية عشرة، ثم يعود ليبدأ من الساعة الرابعة وحتى السادسة مساءً، وما بين الفترتين يأخذ الطالب قسطاً من الراحة، حيث يذهب إلى سكنه لأداء الصلاة وتناول الطعام مع عائلته، ثم يعود ليكمل برنامجه اليومي.

الدورة التخريجية

حددت الدورة التخريجية بثمان سنوات، ووزعت المواد السبعة عشر على السنوات الثماني، حيث يتخرج الطالب منها وقد

Digitized by Google

أكمل المرحلتين في كل المواد، هما المرحلة البدائية والمرحلة الاستدلالية، والفرق بين المرحلتين هو أن المرحلة الأولى يتعلم الطالب فيها النصوص الواردة في تلك المادة ويتلقى معانيها وتفسيرها، وأما المرحلة الثانية يقوم بمناقشة النصوص الواردة وتحليلها وتذكر له الأدلة على تلك النصوص وردودها، ويحق للطالب المناقشة في ذلك وإبداء الرأي. وخلال السنوات الثماني يتهيأ الطالب لاستقبال إحدى المرحلتين إما الاستمرارية في طلب العلم أو ممارسة عمل ما، فمن أراد استمرارية طلب العلم، فهناك دورة قصيرة الأمد، وخلال فترة سنة واحدة يتأهب الطالب فيها للبحث الاستدلالي، فيدخل هذه الدورة ويبحث مع جماعة من الأساتذة وزملاؤه المسائل الفقهية والأصولية بشكل جماعي، وللمشتركين حرية الرأي والمناقشة، فبذلك تكون هذه المرحلة مقدمة لحضور جلسات دورات الفقه والأصول الاستدلالية لتخريج المجتهدين، والذي تقام عادة من قبل المراجع في المراكز العلمية الكبيرة كالنجف وقم. وبعد أن تنتهي هذه الدورة، يُرسل الطالب إلى مدينة النجف الأشرف، فيما لو ارتفع الكابوس عنها، أو مدينة قم، ليكمل دراساته العليا هناك، ويتخرج في صفوف المجتهدين.

وأما من يختار العمل، فعلى قسمين، قسم يُستخدم من قبل إدارة الحوزة للتدريس أو يشغل بعض المناصب الشاغرة في الإدارة، فالذي يروم التدريس لا بد وأن يشترك في دورة تعليمية اختبارية لمدة سنة في الدورات المتواجدة على جانب الحوزة والتي سيأتي بيانها، بعد ذلك يتم تعيينه مدرساً في المراحل

Digitized by Google

الابتدائية، أما العمل في الإدارة فلا يحتاج إلى فترة ممارسة مع الموظفين القدامى ليتسنى له استلام المنصب الذي يُعين له. وأما القسم الثاني للعمل فهو استخدامه كمبلّغ في العالم، وله حرية اختيار البلد الذي يريده، وبالطبع مع دراسة وضع البلد من قبل الإدارة، وهذا لا بد له من الخضوع إلى دورة لا تقل عن ثلاثة أشهر يتلقى فيها تعليمات تؤهله في كيفية إدارة المجتمع الذي سوف يعايشه، ومن ثم يبعث إلى البلد المنشود على نفقة الحوزة، وتبقى النفقة مستمرة له إلى أن تستقر به الأمور.

النظام الدراسي والعطل الرسمية

العطل الرسمية على قسمين، قسم يحدد بالزمان، كالعطل الفصلية والعطلة الأسبوعية يومي الخميس والجمعة، وقسم يحدد بالمناسبات كالأعياد وغيرها، ومن العطل الأخرى التي تقام إحياءً لذكرى استشهاد المؤسس السيد الشيرازي قدس الله روحه، وأخرى لإحياء مولد ووفاة السيد زينب رضي الله عنها، حيث الحوزة بجوارها ولها شرف التسمية باسمها، كما ويعتبر ابتداء السنة الدراسية من أول السنة الهجرية أي شهر محرم، إلا أن البدء العملي هو من شهر صفر، حيث أن شهر محرم يعتبر عطلة نهاية السنة، لأن السنة الدراسية تقسّم إلى ثلاثة فصول، كل فصل ثلاثة أشهر دراسية، ويفصلها شهر واحد كعطلة فصلية وهي على الشكل التالي:

شهر صفر ـ دراسة.

ربيع الأول ـ دراسة.

Digitized by Google

ربيع الثاني ـ دراسة.

جمادى الأول ـ عطلة الفصل الأول، وفي نهايته امتحان الفصل الأول.

جمادى الثاني ـ دراسة.

رجب ـ دراسة.

شعبان ـ دراسة.

رمضان ـ عطلة الفصل الثاني، وفي نهايته امتحان الفصل الثاني.

شوال ـ دراسة.

ذي القعدة ـ دراسة.

ذي الحجة ـ دراسة.

محرم ـ عطلة الفصل الثالث، وفي نهايته امتحان الفصل الثالث، وهو الامتحان النهائي.

وأما العطل الرسمية فتكون على الشكل التالي:

١ ـ العطل الفصلية ثلاثة أشهر وهي: محرم وجمادى الأولى ورمضان.

٢ ـ مواليد المعصومين الأربعة عشر.

٣ ـ وفيات المعصومين الثلاثة عشر.

٤ ـ ولادة السيدة زينب رضي الله عنها ووفاتها.

Digitized by Google

٥ ـ الأعياد الثلاثة، الفطر والأضحى والغدير.

٦ ـ يوم أربعين الإمام الحسين رضي الله عنه.

٧ ـ ذكرى استشهاد السيد الشيرازي، مؤسس الحوزة.

المواد الدراسية

إن المواد الدراسية تدرَّس على مرحلتين، بدائية وتحليلية كما بيناه سابقاً، والمواد هي كالتالي:

١ ـ العقائد.

٢ ـ الأخلاق.

٣ ـ الصرف.

٤ ـ التجويد.

٥ ـ الفقه والفقه المقارن.

٦ ـ اللغة الأجنبية.

٧ ـ التفسير.

٨ ـ الرياضيات.

٩ ـ التاريخ.

١٠ ـ النحو.

١١ ـ المنطق.

١٢ ـ الحديث والدراية.

Digitized by Google

١٣ ـ الرجال.

١٤ ـ الأصول.

١٥ ـ البلاغة والأدب.

١٦ ـ الاقتصاد.

١٧ ـ الاجتماع.

وقد حدد لكل مادة ومرحلة كتاباً خاصاً، وبما أنني لم أتمكن من تحصيل نسخة من النظام العام، لذلك اقتصرت على سرد النقاط الرئيسية التي نقلها لي بعض المدراء والأساتذة والطلاب خلال فترة تواجدي هناك.

الشهادة

تُمنح للطالب شهادة النجاح في آخر السنة، حيث تدرج فيها كل المواد والدرجات التي منحت له، وترتيبها أن تأخذ بمعدل الفصول الثلاثة، وعليه يكون الطالب فائزاً إذا كانت درجته خمسين بالمائة فما فوق، ويرقى إلى المرحلة الثانية أو يبقى في محله، وهناك امتحان آخر لمن كان معدله ٤٨٪ أو ٤٩٪، فإن اجتاز الامتحان في الدورة الثانية فيرتقي إلى الصف الثاني، وإلا سيُعيد دراسته لسنة كاملة.

شروط القسم الدراسي

١ ـ الحضور قبل بدء الدوام، وهو الساعة الثامنة صباحاً والساعة الرابعة مساءً.

Digitized by Google

٢ ـ عدم البقاء في القسم الدراسي بعد انتهاء الدوام أكثر من نصف ساعة.

٣ ـ الخضوع للامتحان التحريري بداية كل فصل دراسي.

٤ ـ المشاركة في المنهج الدراسي كاملاً.

٥ ـ مراعاة النظافة والهدوء.

٦ ـ عدم طرح أي موضوع استفزازي أثناء الدرس وخارجه.

٧ ـ عدم مناقشة أي موضوع خارج موضوع البحث مع الأستاذ المحاضر ضمن المحاضرة.

٨ ـ الالتزام بالقانون الداخلي للفصل، كالحضور والغياب، ويتعرض الطالب للطرد إذا بلغت ساعات غيابه أكثر من ثلاثة أيام، أي ١٨ ساعة في الفصل الواحد، من دون عذر شرعي.

٩ ـ مراجعة إدارة القسم الدراسي دون غيره في الأمور الدراسية.

نظام القسم الداخلي

لقد وضع للقسم الداخلي نظاماً دقيقاً يتناسب ومصلحة الطالب غير المتزوج، فقد خصص في كل غرفة ثلاثة أسرّة للنوم وثلاث طاولات وثلاث خزائن لثلاثة أشخاص، وقد جعلت المرافق كالمطبخ والحمامات خارجة عن الغرف، وكل من الغرف والمرافق مؤثثة ومجهزة على الطراز الحديث، وأسندت إدارة هذا القسم لثلاثة مسؤولين، يتناوبون على إدارة هذا القسم، مضافاً إلى شخصين لخدمة الطلاب، وللحراسة، والتنظيف.

Digitized by Google

وأهم شروط هذا القسم الداخلي (المنامة) هي:

١ ـ غلق باب القسم بعد ساعتين من غروب الشمس وحتى الفجر.

٢ ـ عدم رفع الصوت بعد أربع ساعات من المغرب حفاظاً على راحة الطالب، ولإتاحة الفرصة للمطالعة.

٣ ـ عدم استقبال الضيوف أثناء أوقات الاستراحة والمطالعة.

٤ ـ عدم بقاء الطالب خارج القسم ليلاً إلا بإذن خاص من إدارة القسم.

٥ ـ عدم قبول الطلاب المتزوجين.

مضافاً إلى قوانين أخلاقية وصحية أخرى.

الرواتب والمساعدات[١]

هناك نوعان من العطايا للطلاب والمدرسين، فقسم منها محدد بالوقت، وآخر منها بالمناسبات، فالأول ما يسمى بالراتب الشهري والآخر عبارة عن مساعدات.

الراتب الشهري: وضع بشكل دقيق يتناسب مع موارد الصرف، كما تراعى فيه الحالة المادية والمعنوية للطالب، حرصاً على تشجيعه في استمرارية تحصيل العلوم الإسلامية والإقبال

(١) تحديد الرواتب جاءت لبيان كيفية التعامل مع الأسرة المنتسبة لهذا المعهد، وكان مقدارها آنذاك مناسباً والحالة المعيشية.

Digitized by Google

عليها، فقد حُدد الراتب وفق المراحل الدراسية الثمانية، وعدد نفوس العائلة، مضافاً إلى راتب الانتساب، وللتوضيح نأتي بالأرقام للعام الدراسي (١٤١٠هـ ـ ١٩٨١م) وهي كما يلي:

غير المتزوج	المتزوج
١ ـ راتب الانتساب: ١٠٠	٢٠٠
٢ ـ السنة الأولى: ١٠٠ + ٢٥	٢٠٠ + ٥٠
٣ ـ السنة الثانية: ١٠٠ + ٥٠	٢٠٠ + ١٠٠
٤ ـ السنة الثالثة: ١٠٠ + ٧٥	٢٠٠ + ١٥٠
٥ ـ السنة الرابعة: ١٠٠ + ١٠٠	٢٠٠ + ٢٠٠
٦ ـ السنة الخامسة: ١٠٠ + ١٢٥	٢٠٠ + ٢٥٠
٧ ـ السنة السادسة: ١٠٠ + ١٥٠	٢٠٠ + ٣٠٠
٨ ـ السنة السابعة: ١٠٠ + ١٧٥	٢٠٠ + ٣٥٠
٩ ـ السنة الثامنة: ١٠٠ + ٢٠٠	٢٠٠ + ٤٠٠

أي أن كل فرد متزوج منتسب إلى الحوزة يقبض راتباً شهرياً قدره مائة ليرة، والمتزوج مائتي ليرة، يضاف لكل مرحلة من المراحل بالنسبة لغير المتزوج ٢٥ ليرة وللمتزوج ٥٠ ليرة. فالطالب الذي يدرس في سنته الأولى غير المتزوج يقبض ١٢٥ ليرة، فيما يقبض المتزوج ٢٥٠ ليرة، أما الذي في السنة الثامنة غير المتزوج يقبض ٣٠٠ ليرة، والمتزوج يقبض ٦٠٠ ليرة، هذا بغض النظر عن الأطفال والأم والزوجة الثانية والأخت وأمثال ذلك ـ بفرض وجودهم ـ ممن هم في عيلولة الشخص، فقد خُصص لكل طفل

Digitized by Google

١٠ ليرات، وللكبار كالأخ والأخت والأم ٥٠ ليرة، وللزوجة الثانية ١٠٠ ليرة، وعلى سبيل المثال لو كان الطالب متزوج وهو في المرحلة الثامنة من التعليم وله زوجتان وعشرة أولاد وأم وأخت وأم لزوجته، فيكون راتبه على الشكل التالي:

راتب الانتساب: ٢٠٠ لأنه متزوج.

كونه في المرحلة الثامنة: ٤٠٠.

الأولاد العشرة: ١٠٠.

الزوجة الثانية: ١٠٠.

الأم: ٥٠.

الأخت: ٥٠.

أم الزوجة: ٥٠.

المجموع الكلي: ٩٥٠.

وهناك المساعدات والجوائز، أما المساعدات فهي للأمور التالية:

١ ـ الإيجار: يدفع لكل غرفة يستأجرها المتزوج ما زاد على المائة ليرة من قيمة إيجارها.

٢ ـ شراء البيت: يدفع لكل من يشتري بيتاً لأول مرة خمسة آلاف ليرة.

٣ ـ الزواج: يدفع لكل من يتزوج للمرة الأولى خمسة آلاف ليرة.

Digitized by Google

٤ ـ المرض: يدفع للمريض ثمن وصفة الدواء، لمرة واحدة في الشهر.

٥ ـ الولادة: يدفع مساعدة لأجل الولادة مائتان وخمسون ليرة.

٦ ـ الختان: لو كان المولود ذكراً يدفع له خمسون ليرة لأجل الختان.

٧ ـ الحالة المرضية الصعبة والتي تستلزم البقاء في المستشفى أو يحتاج إلى إجراء عملية جراحية، ففي هذه الحالة تدفع له كامل التكاليف.

٨ ـ المساعدات الشتوية للوقود.

هذا بالإضافة إلى المساعدات الآنية أو الخاصة أو الطارئة.

أما الجوائز فهي على النحو التالي:

١ ـ يمنح الناجح في أي فصل من الفصول، جائزة مادية، تبعاً للمرحلة الدراسية، فلكل مرحلة ٢٥ ليرة.

٢ ـ لكل متفوق في الامتحان بالدرجة الأولى والثانية والثالثة، جائزة عينية.

٣ ـ خصصت جائزة عينية لكل من واظب على الحضور في الفصول الدراسية.

كما أن للمدرسين جوائز سنوية، تبعاً لحضورهم وعطائهم التعليمي، وفي رأس كل سنة دراسية، يؤخذ بعين الاعتبار الوضع

Digitized by Google

المعيشي العام للبلد، ويضاف إلى كل من الراتب والمساعدة نسبة معينة حسب الغلاء الطارئ.

الخدمات

إن الخدمات التي تقدمها إدارة المعهد الإسلامي هي كالتالي:

١ ـ التعليم المجاني.

٢ ـ الرواتب والمساعدات.

٣ ـ أماكن للدراسة.

٤ ـ أماكن للمطالعة.

٥ ـ سكن لغير المتزوجين.

٦ ـ تقديم الكتب الدراسية مجاناً.

٧ ـ تأمين الحصول على الإقامة بشكل رسمي.

٨ ـ تحصيل سمة المغادرة أو العودة دون أن يكلف بالوقت والمال، حيث هناك موظف خاص بالجوازات من قبل الإدارة لمراجعة الدوائر الرسمية.

٩ ـ مراجعة سفارات دولهم عبر الموظف المختص، توفيراً لوقتهم.

١٠ ـ إقامة ندوات خاصة لتعليم الخطابة، ولكتابة المقالات الأدبية.

Digitized by Google

١١ ـ تأمين سفرهم إلى بلدهم للتبليغ أو للالتحاق بالدروس الاجتهادية.

الإدارة العامة

إن النظام الإداري للحوزة يأتي على النحو التالي:

١ ـ المسؤول الأول.

٢ ـ الإدارة العامة التي تتولى كافة شؤون الطلبة، عن طريق الإدارات الخاصة واللجان.

٣ ـ إدارة القسم الداخلي.

٤ ـ إدارة القسم الدراسي.

٥ ـ لجنة المدرسين.

٦ ـ لجنة الخدمات العامة.

فالمسؤول الأول هو بالنتيجة صاحب الرأي في الأمور الهامة، فيما لو لم تتوصل الإدارات أو اللجان إلى رأي محدد، وبالتالي هو المسؤول عن كل الحوزة برمتها ومشاريعها ونظامها وتأمينها، حيث يعتبر المؤسس الثاني وصاحب فكرة التطوير وصاحب الرأي السديد، وهذا لا يعني أنه لا يستشير بل العكس، فإنه دائم الاستشارة من معاونيه والمدراء ورؤساء اللجان، ومن الذين أتذكر أسماءهم من رؤساء اللجان والإدارات هم:

Digitized by Google

المسؤول الأول والمؤسس الثاني: الشيخ صادق الكلباسي.

المعاون الأول: الشيخ عبد الرضا الوفائي.

المعاون الثاني: الشيخ الأميني.

مدير الإدارة العامة: الشيخ يوسف عبد الساتر.

مدير القسم الداخلي: السيد المشهدي.

مدير القسم الدراسي: الشيخ الفرقاني.

رئيس لجنة المدرسين: الشيخ المقدسي.

رئيس لجنة الخدمات العامة: الشيخ الأحمدي.

حرية التعليم

هناك شيء ترتاح إليه النفس، وهو أنني وجدت أن للطالب الحق في أخذ دروس إضافية خارج الدوام، وعليه فإنه حرّ في أن يتقدم ضمن السنة الواحدة مرحلتان، لكنه يخضع للامتحان الفصلي أو النهائي، فإن اجتاز الامتحان بنجاح ارتقى إلى مرحلة أعلى، فيكون بذلك قد منح فرصة للتقدم ولم يُحرم منها بسبب الآخرين، كما أن الذي لم ينجح وخلال محاولتين في مرحلة واحدة، فيتم طرده في المحاولة الثالثة، إلى غير رجعة.

الأهداف

سألت بعض المسؤولين هناك ممن كان يجيد اللغة العربية عن أهداف هذه الحوزة حسب تعبيرهم، فقال:

Digitized by Google

١ ـ تعميق اللغة العربية حيث أنها لغة القرآن والحديث.

٢ ـ تخريج الخطباء والمبلغين والعلماء، لنشر الإسلام.

٣ ـ استمرارية بقاء الحوزة العربية في القطاع العربي، بعدما حاولت السلطات الحاكمة في العراق القضاء عليها.

المشاريع التابعة للحوزة

هناك نشاطات اجتماعية وإسلامية وثقافية يقوم بها المعهد الإسلامي، أهمها:

١ ـ مشروع إرسال المبلغين إلى داخل وخارج القطر السوري، فقد أرسلت الحوزة المبلغين إلى بعض المناطق القطر السوري في أيام محرم ورمضان وذلك بطلب من أهالي البلدة وكذا بالنسبة إلى لبنان، كما أرسلت المبلغين لموسم الحج إلى الديار المقدسة لإرشاد الناس للمسائل الشرعية أثناء الحج، وإرسال المبلغين إلى انكلترا وباكستان، وذلك على نفقة المعهد.

٢ ـ تعليم المسائل الشرعية والمبادئ الإسلامية عبر دورتين برعاية السيد الحلي والأخرى برعاية الشيخ المفتح، وكانت كلتا الدورتين يدرَّس فيها الفقه الإسلامي، والأدب العربي، والاقتصاد الإسلامي، كل حسب برنامجه الخاص.

٣ ـ الدورة التمهيدية لتعليم اللغة العربية والمبادئ الإسلامية، شكلت هذه الدورة برعاية السيد أبو الحسنين، لتأهيل الذين يريدون الالتحاق بالمعهد الديني الكبير، حيث أن الدراسة باللغة العربية.

Digitized by Google

٤ ـ إقامة المجالس العامة في المناسبات الدينية والإسلامية المختلفة في حسينية الحوزة، عبر الخطباء المحليين وغيرهم.

٥ ـ إقامة صلاة الجماعة في حسينية الحوزة وفي مقام السيدة رقيّة، عبر الشيخ المقدسي والشيخ الوفائي.

٦ ـ إقامة المجالس النسائية لتعليم المسائل الشرعية والأخلاق الإسلامية وكيفية المعاشرة في الحياة الزوجية، عبر السيد الحيدري.

٧ ـ تأسيس دورة للصغار الذين لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشرة، لتعليمهم العقائد والقرآن والمسائل الشرعية، وأشعار المولد النبوي، عبر الشيخ التوسلي.

٨ ـ تأسيس دورة في أيام العطل لتنمية قدرات الخطباء، ودورة أخرى لتنمية القلم والأدب، عبر الأستاذ عارف الصوص.

٩ ـ تأسيس مكتبة عامة للمطالعة في الحوزة، ليستفيد منها رواد العلم والثقافة، عبر الشيخ جمعة.

١٠ ـ تأسيس مكتبة أبو الحسنين في حي السيدة زينب عبر الأستاذ أبو الحسنين، لتأمين الكتب الإسلامية.

١١ ـ بناء وتشييد المساجد والحسينيات في أرجاء القطر، وقد تحقق بعضها في المناطق الشمالية، هذا بالإضافة إلى المشاريع الصغيرة كنشر بعض الكتب الإسلامية للمؤلفين من الحوزة، وطبع بطاقات معايدة بمناسبة عيد الفطر والأضحى المباركين، ورعاية شؤون الأرامل والأيتام والمعوزين.

Digitized by Google

خاتمة المطاف

كان بودي أن أشرح البرنامج الدراسي أكثر فأكثر وأتعمق في البحث عن المعهد الإسلامي ـ الحوزة ـ، وأجري دراسة عن حياة المؤسس المرحوم الشهيد الإمام الشيرازي قدس سره، والمؤسس الثاني العلامة الكلباسي، صاحب الفضل في تطوير وتأسيس المشاريع، إلا أنه لم تتح لي فرصة ثانية لزيارة المرقد الزينبي المقدس إلا مرة عابرة، التقيت بأحد السادة الأجلاء من أئمة الجماعة، فاستخبرت عنه أمر الحوزة، فقال: والحمد لله على ما يُرام، واستفسرت على العلامة الكلباسي، فقال لي: ترك الحوزة وسلمها للسيد الخاتمي، فسألته عن سبب ذلك، فلم يجبني، فأصررت عليه، فقال: إنه رفض الخضوع للضغوط التي مورست عليه لجعل الحوزة منتمية إلى بعض الجهات الدينية، وعلى أثر الضغوط المتزايدة تخلى عن المسؤولية، كي يحمل إصرها غيره، وسكت فلم يزد شيئاً. فقلت وماذا عن الشيخ الوفائي، قال: إنه الثاني ترك أيضاً، حيث أن ابنه الأكبر استشهد في جبهة الحق في إيران الإسلامية، ففضل العودة إلى الجمهورية الإسلامية والبقاء هناك، وسألته عمن أعرفهم والتقيت بهم سابقاً، فقال كلهم بخير، وهم لا زالوا موجودين، إلا العلامة يوسف عبد الساتر، فإنه ترك وسافر إلى بلدته في بعلبك لظروف عائلية، كما يدعي. قلت إن له خدمات جليلة ومواقف مشهودة في الحوزة، وقد التقيت به، فوجدته كريم النفس واليد، فقال لا أعلم شيئاً، والأمر عند السيد الخاتمي. فسألته عن السيد الخاتمي وكيف لي أن ألتقي به، فقال لي قد سافر إلى لبنان لأيام وسيرجع، وعندئذٍ

Digitized by Google

يمكنك أن تلتقي به، فقلت وأنا مسافر، ثم سألته: لا بد وأن يكون السيد الخاتمي جديراً بالإدارة والمسؤولية، حتى أن الشيخ الكلباسي حمّله المسؤولية وكلّفه بإدارة الحوزة، فقال: بما أن السيد الخاتمي كان من الأصدقاء الحميمين للشيخ الكلباسي ومن الذين يثق بهم، وكان له إلمام بالحوزة، فكلفه بها. وأخذت منه عنوان السيد الخاتمي لكي أراسله، وسألته سؤالي الأخير، هل الحوزة في تطور، فقال: كلا، فالآن في حالة جمود وبحاجة إلى الدعاء، ولم يزد، فودعته مغادراً الحي الزينبي لأغادر دمشق بعد أن سألته عن مكان وجود الشيخ الكلباسي فقال والحسرة بادية عليه، يقال إنه في بيروت، فعلمت أن وجوده كان يبعث الطمأنينة إلى نفوس الطلاب المقيمين هناك. وعندما رجعت إلى بلدتي، جاءتني فكرة كتابة هذا الكراس باعتبار أن هذا المعهد جدير بأن يكون رائداً لبقية المعاهد الإسلامية الحرّة، حيث جمع فيه بين التطور الحديث وحرية التعليم والتعمق العلمي القديم، فراسلت السيد الخاتمي كي يزودني بمعلومات عن الحوزة، وذكرت له في الرسالة أني حاولت لقاءه بالشام، لكنه كان مسافراً، ولكني مع الأسف لم أتلق منه أي رد، وكان بودي أن يبعث لي بنسخة عن النظام المتبع الذي وضعه العلامة الكلباسي للحوزة، كي أدرجه بحذافيره في هذا الكراس. وبما أنني لم أتمكن من تحصيل عنوان الشيخ الكلباسي كي أتصل به، فلذلك أعتذر للقراء عما إذا وقعت بعض الأغلاط في تقديم بعض البنود أو تأخيرها أو إساءة التعبير فيها، فإنني لم أتمكن من الحصول على نصّ النظام بل نقلت لي بالمعنى.

Digitized by Google

وفي الختام أسأل الله أن يتغمد الفقيد الشهيد السيد الشيرازي برحمته الواسعة، ويوفق العلامة الكلباسي فيما يقدم عليه من إنجازات ومشاريع، حيث سمعت أنه قد أنشأ أول مؤسسة كبيرة للطبع والنشر وأخرى للتأليف والتحقيق وغيرها، مما له علاقة بالكتاب خلال وجوده في بيروت وغيرها، وأرجو أن يسدد السيد الخاتمي بما فيه خير الحوزة وتطويرها إلى الأحسن، وأن يخطو على خطى السيد الشهيد وعلى خطى العلامة الكلباسي، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وبالمناسبة فقد سمعت من طلاب الحوزة في سفرتي الثانية أن بعض الجماعات جاءت من لاهور وقم لدراسة الوضع الدراسي في الحوزة الزينبية ليتسنى لها أن تطبق بعض الأنظمة في حوزاتها.

كلمة الوداع

عندما انتهيت من وضع مقالتي هذه أخذت أراجعها لأجري فيها بعض التعديلات كما هي عادة المؤلفين، زارني بعض الأصدقاء ـ من الإمارات المجاورة ـ ممن ساهم في تمويل هذا المعهد، فأخذته عبارة الحوزة الزينبية ـ التي رسمت على واجهة الأوراق، حيث لم تكن هذه الكلمة غريبة عليه، فسألني عما في يدي، فشرحت له، وأخذ الكراس وأمضى فيه وقال: هل لك أن تتركه لي، فقلت له وَلِمَ؟ قال: لعلني أنشره، حيث أنني معجب بالمعهد هذا، كما أنني معجب بالمقدس الشيرازي والعلاّمة الكلباسي، لأنني التقيت بهما مراراً خلال زياراتي إلى مقام السيدة

Digitized by Google

زينب رضي الله عنها، فسلّمته الكراس نزولاً عند رغبته للقيام بنشره، بعد أن أستأذنته في أن أختمه بكلمة الوداع هذه، ولعل العمر لم يف بي لأراها منشورة بين يدي القراء.

وفي النهاية أعتذر من القارئ الكريم أن يغفر لي زلتي، فإني لست من أرباب القلم، كما أن اختصاصي بعيد عن الأدب العربي، ومن الله أرجو التوفيق وهو سبحانه تعالى من وراء القصد.

الشارقة في ١٩٨٣

الدكتور

غيث العبد الله

Digitized by Google

وفي نهاية المطاف لا بد لي أن أشيد بجهود آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي وآية الله الفقيه الشيخ محمد صادق الكرباسي ومن تبعهما بإحسان في إرساء دعائم هذه الحوزة المباركة.

كما أود أن أشير ثانية إلىٰ أن الحديث عن هذه الحوزة أخذت حيزاً أكثر من غيرها وذلك لأنه لم ينشر عنها إلا القليل وبعد لم يأخذ مكانتها، وقد قام الأستاذ الفاضل الشيخ حسين الفاضلي أخيراً بإلقاء نظرة عامة عن هذه الحوزة في مجلة المرشد الغراء، ونرجو لها الدوام والاستمرارية.

Digitized by Google

Digitized by Google

الحوزات الفرعية

وعلاوة على الحوزات العلمية الشيعية، التي تطرّقنا إليها، وكيفية تأسيسيسها، فهناك حوزاتٌ أخرى موجودةٌ في زوايا وجوانب عالم الشيعة، ولها أنشطةٌ وفعالياتٌ لا بأسَ بها.. أهمّها:

حوزة أبهر:

وهي إحدى الحوزات الشيعية القديمة، وقد نشطت في بداية وصدر الإسلام إلاّ أنّها غير مشهورة ولا معروفة، إلاّ على نطاق ضيق ومحدود.

وحوزة أبهر فرعٌ من حوزة قزوين أيّام عطائها، وإلى جانب الحوزة الشيعية في هذه المدينة توجد مدرستان نشيطتان غير شيعيتين:

أولاهما: مدرسة المذهب المالكي التي ذكر اسمها عبد الكريم السمعاني (م٥٦٢هـ) [في الأنساب (١/ ٧٧)]، وقد أشار تلميحاً إلى الحوزةِ الشيعية هناك.

وثانيتُهما: مدرسة الشافعي، التي ذكرها حمد الله المستوفي

Digitized by Google

في نزهة القلوب. وهذا كلّه يدلُّ على أن أبهر كانت إحدى المراكز العلمية.

إلاّ أن الحوزةَ الشيعيةَ لهذا المركز الفقهي والصرح التربوي، كانت تضمُّ مجتهدين وفقهاء وعلماء ربانيين، مثلما في الحوزات العلمية الشيعية الكبرى.

وتنقسم هذه الحوزةُ الشيعيةُ أيضاً إلى قسمين:

المدرسة الإمامية المتشرّعة، والمدرسة الشيعيّة للعرفان والتّصوف.

أمّا بالنسبة للعلماء المهمين القدماء في حوزة أبهر فهم:

أحمد بن إسحاق الأبهري (م ح: ٢٠٠هـ)، الذي ذكر له الشيخ الطوسي في التهذيب رواية في المزارعة.

والسيد طالب بن علي العلوي الحسيني الأبهري من علماء حوزة أبهر، دولة شاه ابن الأمير علي الحسيني في القرن السادس الهجري، والسيد كمال الدين الرضا الحسيني من كبار السّادة الحسينية، والسيد شمس الدين الحسيني الأبهري من مُنجمي العصر الصفوي المعروف بالفاضل الأبهري من متكلمي الشيعة في عهد الشاه طهماسب الصفوي ومن مؤلفاته كتاب «منهج الفاضلين في معرفة الأئمة الكاملين»، وأبو الوزير ابن أحمد الأبهري القزويني صاحب (طِبُّ النبي ﷺ) وهو يشرح بعض أنواع العقاقير الطبية. وسيف الدين أحمد الأبهري من فحول العلماء وله آثارٌ منها: حاشية شرح مختصر الأصول، والشيخ ميرزا الكافي ابن أبي الفتوح الأبهري، زعيم حوزة «أبهر» العلميّة في قزوين وأبهر،

Digitized by Google

هذا بالإضافة إلى علماء كثيرين وفقهاء آخرين من حوزة أبهر.

ولحوزة أبهر العلميّة آثارٌ قيّمةٌ باقيةٌ إلى الآن منها:

«إيساغوجي» و«هداية الكلمة» لأثير الدين مفضل الأبهري. (م٦٦٣هـ) وفيها شروحٌ كثيرةٌ على هذا الكتاب.

الحوزة السَّيّارة:

أو المدرسة السيارة، وهي من حوزات القرن الثامن الهجري، التي أسّسها العلامةُ الحلي (م٧٢٦هـ)، في معسكر السلطان (خدا بنده).

كانت هذه الحوزة تتحرك مع جيش السلطان، وتقام حلقاتُ درسها تحت الخيم في كل مكان يقيم فيه جيش السلطان، كانت الحوزة دائمة الحرَكة، في مدن العراق وإيران وفي حالة انتقال دائم، آخذة على عاتقها نشر ثقافة «أهل البيت عليهم السلام» وفلسفة التشيّع.

وقد تخرّج من هذه الحوزة فحول العلماء فيما بعد ممن كتبوا بعد دراستهم فيها مؤلفاتٍ علمية دقيقةً وعميقة ومنهم:

الشيخ شمس الدين محمد الآملي، وهو من خريجي هذه الحوزة السيَّارة وله مؤلفاتٌ كثيرة أنهاها في الحوزة السّيارة ومنها أثرُهُ المشهورُ: نفائسُ الفنون في عرائسِ العيون (دائرة المعارف الكبرى)، والكتاب باللغة الفارسية وقد كتب فرعاً منه في الحوزة السيَّارة.

وكتب الشيخ آقا بزرك الطهراني ما يلي:

Digitized by Google

«إنّ شمس الدين محمد الآملي، هو أحد المتخرجين من المدرسة السيّارة للعلامة الحلي..

وكذلك كان القاضي نور الله الشوشتري، كَشمس الدين محمد الآملي خريج المدرسة السلطانية وهي الحوزة السيارة للعلامة الحلي».

وكانت هناك حوزات علميةٌ شيعيةٌ أخرى مثل:

حوزة نيشابور، حوزة بيهق، وهما حوزتان كانت لهما آثارٌ مهمةٌ علميةٌ منها عدّةُ كتبٍ متنقلةٍ في المعالم العلمية وشرح أحوال العلماء وتراجمهم وقد كتبت هذه المؤلفاتُ في هذه الحوزات.

وختاماً فإنّه جديرٌ بالذكر أن نقول:

بأنّ أكثر البلاد الشيعية، خاصة في إيران تشتملُ على حوزاتٍ علميةٍ في الوقت الحاضر تماماً مثلما كانت في السّابق.

وقد تعرّض كتابُ (دائرة المعارف الشيعيّة) إليها على وجه الإجمال والإشارة، وذلك في مطاوي مجلّدات هذه الدائرة التي تبنت طرحَ جميع هذه المعلومات أو أغلبها ممّا يرتبط بالمسلمين الشيعةِ مأجورةً مشكورة[1].

بالإضافة إلى الحوزات الجديدة القائمة في بيروت والجنوب والبقاع، وفي مدن أفغانستان وأذربايجان والخليج والهند وباكستان وسائر دول العالم التي لم أتمكن من التحدث عنها في هذا المختصر وكلّي أملٌ من القيام بهذه المهمة في المستقبل القريب بعون الله تعالىٰ، والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(١) دائرة المعارف الشيعية: ١/ ١٨٨ و١/ ٢٢٣.

Digitized by Google

أهم المصادر والمراجع

- أعيان الشيعة.
- أمل الآمل.
- الحسين والتشريع الإسلامي.
- الحقائق الرافضة.
- حوزات الشيعة العلمية.
- خطط جبل عامل.
- دائرة المعارف الشيعية.
- الذريعة.
- رياض العلماء.
- سير أعلام النبلاء.
- شذرات الذهب.
- شهداء الفضيلة.
- كشف المحجوب.

Digitized by Google

- لسان الميزان.
- مجالس المؤمنين.
- مجلة الحوزة القمية.
- مجلة المرشد الدمشقية.
- مذكرات سفر.
- المعهد الإسلامي بدمشق.
- المكتبة الرضوية في الآستانة.
- نقباء البشر.

Digitized by Google

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة الناشر ٧
المقدمة ٩
الحوزة ٢١
تأسيس الحوزات العلمية الشيعيّة ٢٣
العلاقة بين الحوزةِ والمسجد ٢٤
المدارسُ والجامعاتُ الأولى ٢٥
أ ـ الحكومة الإسماعيلية الفاطمية (٢٩٧/٥٦٧) ٢٥
ب ـ الحكومة البُوَيهية (٣٢١ ـ ٤٤٨هـ) ٢٦
المسيرة الفكرية والتاريخ السياسي للحوزات ٢٧
أولاً: حوزة كربلاء القديمة. ٣٣
ثانياً: حوزة النجف الأشرف. ٣٣
لغة التدريس في الحوزات العلمية ٣٧
أوقات التعليم في الحوزات العلمية ٣٨
أماكنُ التدريس في الحوزات ٣٩
الإجازات والعطل الرسميّة في الحوزة ٤٠

Digitized by Google

التدريس في الحوزات العلمية ٤٢
أسلوب وطرق التدريس في المراحل الثلاث ٤٣
تحوّل أسلوب التدريس ٤٥
مراحل التدريس في الحوزة ٤٦
دورة المقدمات ٤٦
دورة السطوح ٤٧
دورة بحث الخارج ٤٧
الدورة الثانية لبحث الخارج ٤٨
الاختبارات والامتحانات في الحوزات العلميّة ٥٤
الألقاب والعناوين الحوزويّة ٥٦
المصادر المادية ونفقات الحوزات العلمية ٥٧
الكتب الدراسية في الحوزات ٥٩
تفصيل الكتب الدراسيّة في الفروع المختلفة ٦٠
كتب الحوزة في علم الأصول والفقه ٦٤
الحوزات العلميّة في المدن المختلفة حوزة مكة المكرمة ٧١
حوزة المدينة المنورة ٧٧
حوزة الرّيّ ٨٩
حوزة المدائن ٩١
الحوزة العلمية في كربلاء ٩٣
جامعة كربلاء العلمية في عصر الصادق والكاظم عليهما السلام ٩٥
مدرسة الصادق عليه السلام العلمية في كربلاء المقدسة ٩٦
دار الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة ٩٩

Digitized by Google

جامعة كربلاء المقدسة في عصر الإمام الكاظم عليه السلام ١٠١
الحوزة العلمية في الكوفة ١٠٩
حوزة البصرة ١١٥
حوزة بغداد الشيعية ١٢١
حوزة النجف الأشرف.. العلميَّة ١٢٩
حوزة اليمن ١٣٥
حوزة الأندلس ١٣٩
الحوزة العلمية في الحلّة ١٤٣
حوزة جبل عامل ١٤٧
حوزة جزّين ١٥١
حوزة جبع (جباع) ١٥٣
حوزة كَرَكُ نوح ١٥٧
آثار ومعالم مدرسة جبل عامل ١٥٨
حوزةُ ري ١٦١
حوزةُ قزوين العلميَّة ١٦٣
حوزة ألموت ١٦٩
حوزة قُم العلمية ١٧٣
حوزة مشهد العلميّة (خراسان) ١٧٧
حوزة إصفهان ١٨٣
الحوزة العلمية الزينبية ١٨٩
أولاً: يذكر الشيخ الكرباسي عن عهده (١٤٠٠ ـ ١٤٠٦هـ) ١٩٥

Digitized by Google

ثانياً: ما صدر عن بعض المنشورات التي أصدرتها الحوزة بالشام ١٩٩
ثالثاً: مشاهدات الدكتور غيث العبد الله الذي أوردها ضمن كتيب صغير تحت عنوان المعهد الإسلامي بدمشق بين عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٨٣م والمطبوع بالقاهرة في مطبعة المشهد الحسيني ٢٠٨
تمهيد ٢٠٨
١ ـ سبب التأسيس ٢١٣
٢ ـ المؤسس ٢١٥
٣ ـ الوضع البدائي ٢١٧
٤ ـ تنظيم المعهد ٢١٩
٥ ـ عدد الطلبة وعوائلهم ٢٢٣
٦ ـ مباني المعهد الإسلامي ٢٢٤
٧ ـ التمويل ٢٢٥
النظام الداخلي للمعهد (الحوزة الزينبية) ٢٢٦
شروط الانتساب ٢٢٦
المنهج اليومي ٢٢٧
الدورة التخريجية ٢٢٧
النظام الدراسي والعطل الرسمية ٢٢٩
المواد الدراسية ٢٣١
الشهادة ٢٣٢
شروط القسم الدراسي ٢٣٢

Digitized by Google

نظام القسم الداخلي ٢٣٣
الرواتب والمساعدات ٢٣٤
الخدمات ٢٣٨
الإدارة العامة ٢٣٩
حرية التعليم ٢٤٠
الأهداف ٢٤٠
المشاريع التابعة للحوزة ٢٤١
خاتمة المطاف ٢٤٣
كلمة الوداع ٢٤٥
الحوزات الفرعية ٢٤٩
حوزة أبهر ٢٤٩
الحوزة السَّيّارة ٢٥١
حوزات أخرى ٢٥٢
أهم المصادر والمراجع ٢٥٣
الفهرس ٢٥٥
إصدارات بيت العلم للنابهين ٢٦١

Digitized by Google

Digitized by Google

إصدارات بيت العلم للنابهين

١ ـ آل الكرباسي (تراجم).

٢ ـ الأدلة القرآنية (دراسة).

٣ ـ بصار النور (دراسة).

٤ ـ بين الظلال (شعر).

٥ ـ التشريع في مناهله (دراسة).

٦ ـ الجامعة في الزيارات الجامعة (زيارة).

٧ ـ حوار مع دائرة المعارف الحسينية ـ العقل والنقل (دراسة).

٨ ـ الحوزات العلمية في الأقطار الإسلامية (تاريخ).

٩ ـ دور المراقد في حياة الشعوب (دراسة).

١٠ ـ ديوان الشيخ محسن أبو الحب الكبير (شعر).

١١ ـ الرؤيا بين الحقيقة والوهم (دراسة).

١٢ ـ الزنبقة في التقاريظ المنمقة (شعر).

Digitized by Google

١٣ ـ زيارة الروضتين الحسينية والعباسية (زيارة).

١٤ ـ زيارة عاشوراء ودعاء علقمة (زيارة).

١٥ ـ زيارة عرفة والأربعين (زيارة).

١٦ ـ شمس المرأة لا تغيب (دراسة).

١٧ ـ صحيفة الإمام الحسين عليه السلام (أدعية).

١٨ ـ عبق الشعر الحسيني (شعر).

١٩ ـ العين الباصرة (دراسة).

٢٠ ـ قراءات في السيرة الحسينية (دراسة).

٢١ ـ كربلاء الأمس واليوم (شعر).

٢٢ ـ ملحمة المراقد (شعر).

٢٣ ـ المنهاج في دراسة الحسين والتشريع الإسلامي (دراسة).

٢٤ ـ الموال في دراسة معمقة (دراسة).

Digitized by Google

Digitized by Google

9781908286680

Digitized by Google

Digitized by Google

المُعدّ في سطور

- الباحث الاستاذ عبد الحسين بن حسن الصالحي.
- ولد سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م في كربلاء المقدسة.
- درس العلوم الحديثة والإسلامية في كربلاء على أعلامها.
- تخرج من معاهد كربلاء كاتباً فاضلاً ومحققاً باحثاً وزود بعدد من الشهادات العلمية.
- تخرج من جامعة بغداد.
- انتقل الى مدينة قزوين في إيران عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م ومن هناك يواصل عمله كباحث.
- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات العلمية.
- عضو محرر (دائرة المعارف تشيّع) طهران.
- عضو محرر (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) بيروت.
- عضو محرر (مستدرك أعيان الشيعة) بيروت.
- عضو محرر (بنياد فرهنك قزوين شناسي).
- عضو محرر (داشنامة إيران واسلام).
- ضليع بالأدب العربي والفارسي.
- له مقالات باللغتين العربية والفارسية.
- له مولفات عدة.

بيت العلم للنابهين

ص.ب: ١٤-٥٧٣٣ المزرعة بيروت - ١١٠٥٢٠٧٠ - لبنان. هاتف: ٠١/٥٥٠٩٩٢

Digitized by Google